جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانيّة
قسم اللغـة العربيـة

سِيمْيَاءُ الْعَوَاطِفِ فِي الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ

أُطرُوحةٌ تقدَّمتْ بها الطَّالبةُ

زهراءُ عبدِ الحميدِ غالي زغير المسعودي

إلى مجلسِ كليَّةِ التَّربيةِ للعلومِ الإنسانيّةِ ـ جامعة كربلاء

وهي جزءٌ من متطلباتِ نيلِ درجةِ الدّكتوراه في فلسفةِ اللُّغةِ العربيةِ وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

حربي نَعيم مُحَمَّد الشِّبلي

١٤٤٥هـ

٢٠٢٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيّ العَظِيم

الفتح : الآية ٢٩

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (سيمياء العواطف في الصحيفة **السجادية**) التي قدمتها الطالبة (**زهراء عبد الحميد غالي زغير المسعودي**) جرى تحت أشرافي في قسم اللغة العربية ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة كربلاء ، بمراحلها كافة وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها / أدب ، وبناءاً على ذلك أرشحها للمناقشة .

الإمضاء :

المشرف : أ. د. حربي نعيم محمد الشبلي

التاريخ :٢٥/ ٦/ ٢٠٢٣

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

رئيس قسم اللغة العربية

الإمضاء :

الاسم : أ. د. ليث قابل الوائلي

التاريخ :٢٥/ ٦/ ٢٠٢٣

Scanned by TapScanner

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أنّنا قد اطلعنا على الأطروحة الموسومة بـ (**سيمياء العواطف في الصحيفة السجادية**) التي قدمتها الطالبة (**زهراء عبد الحميد غالي زغير المسعودي**) ، وناقشناها في محتوياتها ، وفي ماله علاقة بها ، ونرى أنّها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها / أدب

بتقدير (جيد جداً عالٍ) .

الإمضاء

الاسم : أ.د. حسن حبيب الكريطي

رئيساً

التاريخ : ١/١٠/ ٢٠٢٣

الإمضاء

الاسم : أ.د. كريمة نوماس المدني

عضواً

التاريخ : ١/١٠/ ٢٠٢٣

الإمضاء

الاسم : أ.م.د فلاح عبد علي سركال

عضواً

التاريخ : / / ٢٠٢٣

الإمضاء

الاسم : أ.د. حسن حميد الفياض

عضواً

التاريخ :٢/١٠/ ٢٠٢٣

الإمضاء

الاسم : أ.د. عبد الأمير مطر فيلي

عضواً

التاريخ : ١/١٠/ ٢٠٢٣

الإمضاء

الاسم : أ. د. حربي نعيم محمد الشبلي

عضواً ومشرفاً

التاريخ : ٤/١٠/ ٢٠٢٣

صدّقها مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ.د. حسن حبيب عزر الكريطي
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة كربلاء
التاريخ : ٤/ ١٠/ ٢٠٢٣م

Scanned by TapScanner

الإهـــداء

- إليكَ سيدي زين العابدين ...

حُبّاً وولاءً وأمناً ورحمةً ومودةً في القربى...

- رَبّـاه إنّـي مـدَدْتُ يـدي أن تجمعنـي وأَبـي عنـدك في الجنـة ... صبِّرني فلا العين تقر ، ولا القلـب ينسـى ، ولا الـنفس تهـدأ ولا الـروح تسـكن مـن دون اعتراض على حُكمك سبحانك...

إليـك أَبـي تطيـر عـواطفي بأجنحـة الحـروف إلـى شواطئ الوفاء...

زهراء

الشكر والتقدير

اللَّهُمَّ صَل عَلى مُحمّدٍ و آلِ مُحمّدٍ، و ارزُقني الحقَّ عند تقصيري في الشُّكرِ لكَ بما أنعمتَ عليَّ في اليُسرِ والعُسرِ و الصّحّةِ و السّقمِ، حتّى أتعرّفَ مِنْ نفْسي روحَ الرِّضا و طُمأنينةَ النّفسِ مِنّي بما يجبُ لكَ فيما يحدثُ في حالِ الْخَوفِ و الْأَمنِ و الرِّضا و السُّخطِ و الضّرِّ و النّفعِ . .

شكري وامتناني للسيد عميد كلية التربية الأستاذ الدكتور حسن حبيب الكربطي ، والأستاذ الدكتور ليث قابل عبيد الوائلي رئيس قسم اللغة العربية ، وشكري وامتناني باقٍ ، متواصلٍ ، لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور حربي نعيم محمد الشبلي على ما بذله من جهد ووقت في تقويم الأطروحة و أغنائها بملاحظاته القيمة ، كما اتقدم بالشكر والتقدير لأساتذتي الذي تتلمذت على ايديهم في دراسة البكالوريوس ، و دراسة الماجستير ، ودراسة الدكتوراه ، فلهم مني خالص الدعاء بدوام الصحة والعافية .

كما لا يفوتني ان اقدم شكري وتقديري لكل من الأستاذ الدكتور ثائر سمير الشمري من كلية التربية الأساسية ، والأستاذ الدكتور جاسم حميد جودة من كلية التربية للعلوم الإنسانية ، والدكتور عياد حمزة شهيد الويساوي من كلية التربية للعلوم الإنسانية ، من جامعة بابل ، لما غمروني به من نصائح و إرشاد إلى الكتب المهمة ، التي أفادت الدراسة وأغنتها .

وجزيل الشكر والامتنان أرفعه إلى من شاركني مقاعد الدراسة وكان خير سندٍ لي على ما اعترضني من مصاعب ، وأخصّ منهم بالذكر صديقاتي: تبارك حميد ، حوراء فريق ، لمى سلام ، منتهى حسون .

ولا يمكن أن أنكر فضل العاملين في المكتبات الذين كانوا خير معين لي طيلة مسيرتي ، وأخص منهم بالذكر العاملين في مكتبتي العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية ، والمكتبة المركزية – جامعة كربلاء ، ومكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء ، ومكتبة كلية الآداب - جامعة بابل .

وشكري وتقديري يبقى لزوجي الذي كان خير سندٍ وعونٍ لي ، ولأولادي الذين أخذتُ من وقتهم كثيراً ، ولأسرتي التي طالما كان دعاؤها يقويني في المصاعب كلها .

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد المصطفى الهادي الأمين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

الباحثة

فهرس المحتويات

فِهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدّمة	١ – ٦
التمهيد : سيمياء العواطف – قراءة في المصطلح وإشكاليته–	٨ – ٢٧
أولاً: قراءة في المصطلح	٨ – ١٧
١– مصطلح السيمياء ونشأته:	٨ – ١١
٢– أصول النظرية	١٢ – ١٦
٣– تسمية النظرية	١٧ – ٢٠
٤– الهدف من النظرية	٢٠ – ٢٣
ثانياً: إشكالية المصطلح	٢٤ – ٢٧
١ – إشكالية الترجمة	٢٤ – ٢٥
٢ – إشكالية التطبيق	٢٥ – ٢٧
الفصل الأول : مبادئ سيمياء العواطف في الصحيفة السجادية	٢٩ – ٨٩
توطئة	٢٩ – ٣٢
المبحث الأول : سيمولوجيا العنوان	٣٣ – ٥٢
١. دلالة العنوان	٣٥ – ٤٤
٢. وظيفة العنوان	٤٥ – ٥٢
أ ـ الوظيفة التعيينية	٤٦ – ٤٧
ب ـ الوظيفة الإيديولوجية	٤٧ – ٥٢
المبحث الثاني : المربع السيميائي (النموذج التأسيسي)	٥٣ – ٦٨

المبحث الثالث : المخططات العاطفية	٦٩ – ٨٩
الفصل الثاني : البناء النموذجي للعوامل العاطفية في الصحيفة السجادية	٩١ – ١٦٢
توطئة	٩١ – ٩٥
المبحث الأول : سيمياء العوامل العاطفية للرحمة والظلم	٩٧ – ١١٩
١ـ سيمياء عاطفة الرحمة	٩٧– ١١٠
٢ـ سيمياء عاطفة الظلم	١١١ – ١١٩
المبحث الثاني : سيمياء العوامل العاطفية للحب والكره	١٢٠ – ١٤١
١ـ سيمياء عاطفة الحب	١٢٠– ١٣١
٢ـ سيمياء عاطفة الكره	١٣١ – ١٤١
المبحث الثالث : سيمياء العوامل العاطفية للخوف والأمن	١٤٢ – ١٦٢
١ـ سيمياء عاطفة الأمن	١٤٣ – ١٥٢
٢ـ سيمياء عاطفة الخوف	١٥٣ – ١٦٢
الفصل الثالث : المكون السردي والتصويري لسيمياء العواطف في الصحيفة السجادية	١٦٤ – ٢٣٥
توطئة	١٦٤ – ١٦٨
المبحث الأول : بناء البرنامج السيمو– سردي للعواطف في الصحيفة السجادية	١٦٩ – ١٨٨
١ـ الترغيب بالعواطف	١٧٤ – ١٨١
٢ـ التحذير بالعواطف	١٨١ – ١٨٨
المبحث الثاني: السيميائيات السردية في الصحيفة السجادية	١٨٩ – ٢١٤

١ـ التزمين	١٩١ – ٢٠٣
أ ـ الاسترجاعات السردية	١٩٤ – ١٩٩
ب ـ الاستباقات السردية	١٩٩ – ٢٠٣
٢ـ التفضية (التفضيء)	٢٠٣ – ٢١٤
أـ المكان المفتوح	٢٠٥ – ٢٠٩
ب ـ المكان المغلق	٢٠٩ –٢١٤
المبحث الثالث : المكون التصويري في الصحيفة السجادية	٢١٥ – ٢٣٥
١ـ المسار الصوري لسيمياء العواطف	٢١٧ – ٢٢٧
٢ـ الأدوار التيماتيكية(الموضوعاتية) لسيمياء العواطف	٢٢٧ – ٢٣٥
الخاتمة	٢٣٧ – ٢٤٢
قائمة المصادر والمراجع	٢٤٤ – ٢٥٩
ملخص الأطروحة باللغة الانكليزية	A – b

المقدمة

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم ، من عموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولاها ، وأشهد أنْ لا اله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد...

حاولَ النَّقدُ الحديثُ مُقاربةَ الأَجناسِ الأَدبيَّةِ القديمةِ ، وكَشف الأَبعاد الثَّقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ والسّياسيَّةِ عَبْرَ فَكِّ القَيْدِ القَديمِ عن الإبداعِ الأَدبيِّ ، بتحليلِ الخِطاباتِ ، وتَأويلِ الدَّلالاتِ ، وتَفكيكِ المضامينِ ، ومُعالجةِ أَبرزِ مُكوِّناتها اللُّغويَّةِ وغيْرِ اللُّغويَّةِ في الخطابِ الَّذي يُحرزُ مَكانًا واسعًا ، ويُسجِّلُ حُضُورًا في البيئةِ اللُّغويَّةِ والأَدبيَّةِ ؛ لأَنَّهُ بِمَثابةِ صورَةٍ حاملةٍ لأَفكارِ ورُؤى الإنسانِ وغَاياتِهِ المُختلفةِ ، لذا يأخُذ النَّقدُ السيميَّائيّ مكانةً خاصَّةً في الدِّراساتِ العربيَّةِ المعاصرةِ ؛ لأَنَّهُ يَعتنِي بمجالاتِ الفعلِ الإنسانيِّ ، فأَصبَحَ أَداةً لقراءةِ الانفعالاتِ الإنسانيَّةِ ، بدْءًا من المشاعِرِ البَسيطةِ ، مُرُورًا بِالمُمارَساتِ والطُّقوسِ المُختلفةِ ، وُصُولًا إلى الأَنساقِ الإيديولوجيَّةِ الكُبرَى هذا من جانبٍ ، ومِن جانبٍ آخَرَ تُعَدُّ الصَّحيفَةُ السِّجاديَّةُ من أَهمِّ كُتُبِ التُّراثِ العَرَبيِّ ، ومِن مناحِمِ كُتُبِ البلاغَةِ والتَّربيَةِ والأَخْلاقِ ، والأَدبِ فِي الإسلامِ ، ونَظرًا لأَهَمّيَّتِها البالغَةِ فَقَدْ سَمَّاهَا كِبارَ رِجالِ الفِكْرِ والعِلْمِ ، بِأُخْتِ القُرْآنِ ، وإِنْجيلَ أَهْلُ البَيْتِ ، وزَبورَ آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهُمْ أَجْمَعِينَ) ، وممَّا زادَ في أَهمّيَّتِها أَنَّها جَاءتْ في عَصْرٍ طَغَتْ فِيه الأَحداثُ والمشاكلُ السّياسيَّةُ القائمةُ على حَياةِ المُسلمينَ ، فَقَدْ دعَتْ إلى التَّبتُّلِ وصفاءِ الرّوحِ والحُبِّ بأَنْواعهِ المُختلفةِ ، المُتَّصلةِ بالجوانبَ الدّينيَّةِ ، وطهارةِ النَّفسِ والتَّجرُّدِ من الأَنانيَّةِ ، والجشَعِ ، والطَّمَعِ ، وغيرِ ذلك من النَّزعاتِ الشِّريرةِ ، وكذلكَ دَعَتْ إلى الاتِّصالِ باللَّهِ تعَالى خالقِ الكوْنِ ، وواهبِ الحياةِ الَّذِي

هو مصدرُ الخَيرِ لجميعِ الكائِناتِ ، فَأَفصَحتْ عن أَرقى مَراتبِ البلاغةِ والفصاحةِ ، وقَدْ كانَ البارزُ فيها جمالَ الأُسلوبِ ، وبداعةَ الدّيبّاجةِ ، ورقةَ الأَلفاظِ ، والعاطفةَ المُتجلّيةَ بأَنواعٍ مُتعدِّدةٍ ، ولَمّا كَانَ عُنصرُ العاطفةِ من العناصرِ البارزةِ في الصَّحيفةِ السِّجاديَّةِ والمُؤثِّرةِ في حياةِ الفردِ والمجتَمعِ ، تَطلب تتبُّعُ هذهِ العواطفِ ودراستها منهجًا عميقًا ينماز بوسائلهِ المُتعدِّدةِ – وهذه الوسائلُ مُتمركزةٌ في منهجِ سِيمياءِ العواطفِ الَّذي يُعدُّ أَحدَ الاتِّجاهاتِ الَّتي انبثقتْ عن السّيميائيَّةِ – والناجعةِ في فَكِّ شفراتِ النُّصوصِ وتحليلِها عاطفيًّا ، ومدى تأثيرِ هذه العواطفِ وكثافتها في النُّصوصِ ، لذلك وقعَ الاختيارُ على منهجِ (سيمياءِ العواطفِ) الَّذِي وضَعَهُ العالمانِ أ . ج . غرِيماس وجاك فُونتني صاحبَا كتابِ(سيميائيات الأَهواء مِن حالاتِ الأَشياءِ إلى حالاتِ النَّفسِ) ، إِذْ يقومُ هذا المنهجُ على كشفِ العواطفَ في النُّصوصِ عَبْرَ وسائلَ إجرائيَّةٍ عديدةٍ منها : ما يأتي ضمنًا في مبادئ النَّظريَّة ، كالمربَّعِ السيميَّائيِّ القائمُ على أَساسِ قواعدَ التَّحولُ العاطفيُّ من العلاقاتِ إلى العمليَّاتِ ، والمخطَّطاتِ العاطفيَّةِ الَّتي تعملُ على قياسِ درجةِ الانفعالِ العاطفيِّ بمراحلَ يتمُّ أَنتاجُ العاطفةِ في ضَوْئها ، ومن الوسائلَ الأُخرى العواملُ النَّموذجيَّةُ ، وتشملُ الموضوعَ والذَّاتَ ، والمُرسِلَ والمُرسلَ إليْهِ ، والمُساعدَ والمعارضَ ، فضلًا عن العلاقاتِ الجامعةِ بينهم ، ومنها المُكوَّن السَّرْديّ والتَّصويريّ ضمن المساراتِ العاطفيَّةِ ، وما يخرُجُ من مفاهيمَ تحت هذه المُكوِّناتِ ، فوقعَ اختيار أُستاذي المُشرف (أ . د . حربي نَعيم مُحمَّد الشبليِّ) – مشكُورًا ومُتفضِّلًا – على موضوعِ (سيمياء العواطف في الصَّحيفةِ السِّجاديَّةِ) عُنوانًا للدِّراسةِ ، لإبرازِ تلك العاطفةِ المُتجلّيةِ في كلامِ الإمامِ السَّجّادِ (عليه السَّلام) وبيانِها ؛ لأَنَّ الصَّحيفةَ السِّجاديَّة تُعدُّ وثيقةً معرفيَّةً مُنطويةً على كثيرٍ من الحقائقَ المُتعلِّقةِ بعلاقةِ الإنسانِ مع ربِّهِ ، فضلًا عمَّا تضمَّنتهُ من مبادئَ وحُقوقٍ وواجباتٍ ، وعالجتْ مشاكلَ الفردِ والمُجتمعِ هذا من

جانبٍ ، ومن جانبٍ آخر أَنَّنا لم نجدْ دراسةً تبحثُ في استخراجِ العواطفِ وتحليلِها من النُّصوصِ الموجودةِ في الصَّحيفةِ على الرَّغمِ من كثرةِ الدِّراساتِ الَّتي درست الصَّحيفةَ السِّجاديَّةَ في مجالاتٍ شتَّى منها : الأُسلوبيَّةُ ، واللُّغويَّةُ ، والدَّلاليَّةُ ، والتداوليَّةُ ، والتَّلقِّي ، فضلًا عمَّا تقدَّمَ فإنَّنا وجدنا دراسةً في كليَّةِ الآدابِ جامعة ذي قار للطَّالبِ حيدر نعيم مغتاض ، وهي رسالةُ ماجستير بعنوان (سيمياء العواطف في نهج البلاغة).

وعلى أَساسِ المُرتَكزاتِ الَّتي يقومُ عَليها منهجُ سيمياءِ العواطفِ انتظمت الدِّراسةُ في تمهيدٍ و ثلاثةَ فُصولٍ تَسبقُها مُقدِّمةٌ وتقفّوها خاتمةٌ .

جَاءَ التَّمهيدُ مُعنونًا بِـ(سيمياء العواطف – قراءةً في المُصطلحِ وإِشكاليَّتِهِ –) وتناولتُ فيه أَهمَّ ما يخصُّ المُصطلح السيميَّائيَّ بصورةٍ عامَّة، ثُمَّ ما يخصُّ النَّظريَّةَ بصورةٍ خاصَّةٍ ، وانقسمَ على محورينِ ، دَرَسَ الأَوَّلَ : مُصطلحَ السّيميائيَّة ونشأَتهِ ، وأُصولَ النَّظريَّة وتسميتَها والهدفَ منها ، ودَرَسَ الثَّاني : إِشكاليَّة المصطلحِ من حيث التَّرجمة والتَّطبيق.

وتناولَ الفصلُ الأَوَّلُ (مبادئَ سيمياء العواطف في الصَّحيفَة السِّجاديَّة) المتحكِّمة في الإِحساس والتَّفكيرِ الإِنسانيِّ بالدِّراسةِ ، واشتملَ على ثلاثة مباحث ، جاء الأَوَّلُ منها بعنوانِ : سيميولوجيا العنوان بوصفِهِ من الوسائلِ الإِجرائيَّةِ الَّتي تحملُ أثرًا دِّلاليًّا في فكِّ شفراتِ النَّصِّ واستكناه محمولاته ، وهذا المبحث جاءَ على محورينِ ، الأَوَّلُ : في دلالةِ العُنوانِ ومدى الانسجامِ والتطابق الحاصل بينه وبين أَلفاظ النَّصِّ ، والثَّاني : في وظيفةِ العُنوانِ المُنضويةِ على أَنظمةٍ سيميولُوجيَّةٍ وتخرجُ تبعًا لنوعِ الوظيفةِ ومدى ارتباطها بمدلولاتِ الأَلفاظِ ، فَقَدْ تَكون الوظيفةُ تَعيينيَّةً ، وقَدْ تَكون إِيْديولوجيَّةً ، ودَرَسَ المبحث الثَّاني : المربَّعُ السيميَّائيّ (النَّموذجُ التَّأسيسيُّ)

الَّذي يتمُّ فيه تحديدُ المُقابلاتِ والعلاقاتِ على وفْقِ القيمِ ووصفها والوُلوجِ في حيثيّاتِ الخطابِ ، والبحثِ عن الدَّلالةِ ، واستخْراجِ العلاقاتِ المُلائمةِ منها ، وفي المبحثِ الثّالثِ : تناولتُ المخَّططَات العاطفيَّة بالدِّراسةِ وما تمَّتْ دراستُهُ في هذه المُخطَّطاتِ المُخطَّط العاطفيِّ النِّظاميِّ فحسب ، ولَمْ تتعرَّضْ الدِّراسةُ إلى المُخطَّطِ التّوتريِّ وتطبيقهِ ؛ لأَنَّنا وجدناهُ لا يتلاءمُ مع العواطفِ الواردةِ في أَدعيةِ الصَّحيفَةِ السِّجاديَّةِ ولا ينْسجمُ معها ؛ لأَنَّ العواطف في المُخطَّطِ التّوتريِّ تعتمدُ الإحساس الحاصل بينَ الشِّدَّةِ والانفعالِ ، وإخفاءِ النَّقص العاطفيِّ وملْءِ فراغهِ بوساطةِ الامتدادِ العاطفيِّ وشدَّتهِ ، وعدمِ التَّوازنِ في الانفعالِ ما بين هيجانٍ وهُدوءٍ ، وهذا ما لمْ نجده في الصَّحيفَةِ السِّجاديَّةِ عَبْرَ رصْدنا للعواطِفَ فيها وتتْبُعنا لها في الدِّراسةِ.

ودَرَسَ الفَصلُ الثَّاني : (البناءُ النَّموذجيّ للعواملِ العاطفيَّةِ في الصَّحيفَةِ السِّجاديَّةِ) الَّتي تتكوَّن من ستَّةِ عواملَ ، تجمعُها ثلاثُ علاقاتٍ ، وانقسمَ الفصلُ على ثلاثةِ مباحثَ دَرسَ الأَوَّل منها : (سيمياء العوامل العاطفيَّةِ للرَّحمةِ والظُّلمِ) ، ودَرَسَ الثَّاني : (سيمياء العوامل العاطفيَّة للحُبِّ والكرهِ) ، فيما دَرسَ الثّالث : (سيمياء العوامل العاطفيَّة للخوفِ والأَمنِ) .

وقَدْ يجدُ القارئُ أَنَّ هُناك تداخُلًا في أَنواعِ العواطفِ ، ضمنَ بعضِ النُّصوص وهي تصلحُ لعاطفَةٍ أُخرى ؛ لأَنَّ نصوصَ الصَّحيفةِ السَّجاديَّةِ نصوصٌ مُكتنزةٌ ، يُمكن قراءتُها في أَكثرِ من وجهٍ ، فتجد النَّصَّ الواحد مُتضمِّنًا أَكثرَ من عاطفةٍ واحدةٍ، ولكنَّنا دأَبنا على إبرازِ العاطفةِ الأَكثرِ حُضورًا في النَّصِّ ، فأَدرجنا النَّصّ تحتَ ذلكَ العُنوانِ .

أَمَّا الفصلُ الثّالِثُ فَقَدْ تناولَ : (المُكوَّنَ السَّرديَّ والتَّصويريَّ لسيمياءِ العواطفِ في الصَّحيفَةِ السِّجاديَّةِ) بالدِّراسةِ ، وانقسمَ بدورهِ على ثلاثةِ مباحثَ أَيضًا ، الأَوَّلُ

منها بعنوانِ : بناءُ البرنامجِ السيمو – سرديٍّ للعواطفَ في الصَّحيفةِ السِّجاديَّةِ وقَد تناوَلَتُ فيه محورينِ الأَوَّل : في مفهوم التَّرغيبِ ، والثَّاني : في مفهوم التَّحذير ، بمحطّاتٍ يسير في ضوْئها الانفعال العاطفيُّ من تحريكٍ ، وكفاءةٍ ، وإنجازٍ ، وتقويمٍ ، وجَاءَ المبحثُ الثَّاني بعنوانِ : السِّيميائيَّات السَّرديَّة في الصَّحيفةِ السِّجاديَّةِ ، وهذا انقسمَ على محورينِ الأَوَّل : في التزمينِ ، والثَّاني : في التَّفضيةِ ، لأَنَّهما من العناصر السَّرديَّة الَّتي تُسهم في بناءِ النَّصِّ وتكوين معانيه ، وتمَّت دراستهُ على وفق العواطفِ الموجودة في نصوص الأَدعية ، وتناولتُ في المبحث الثالث : (المكوَّن التَّصويريَّ في الصَّحيفَة السِّجاديَّةِ) بالدِّراسةِ وهو أَحد مستوياتِ المسارِ التّوليديِّ ، ويَقوم بدراسةِ الأَدوارِ التِّيماتيكيَّةِ والعامليَّةِ للفاعلِ .

أَمَّا الخاتمةُ فَقَدْ عرضنا فيها أَبرزَ النَّتائجَ الَّتي توصَّلتْ إليها الدِّراسة ، وألحقتْ بثبتٍ للمصادرِ والمراجعِ الَّتي اعتمدتْ في الدِّراسةِ .

ولَقَدْ اعتمدت الدِّراسةُ على مصادرَ مُتنوِّعةٍ ، فكانَ كتابُ غريماس وجاك فونتاني (سيميائيَّات الأَهواء من حالات الأَشياء إلى حالات النَّفس) الأَساسَ الَّذي اعتمدته الباحثةُ ، كما اعتمدت على الكتب السّيميائيَّة ، والكتب السَّرديَّة ، والنَّقديَّة الَّتي استدعاها البحث ، فضلًا عن الرَّسائل والأَطاريح الجامعيَّة والبحوث الَّتي اشتملت عليها المجلَّات والدَّوريَّاتِ والحُوليَّات الرَّصينة ، إذْ أَسهمتْ تلك النتاجات برفدِ الدِّراسةِ وتدعيم حُجَّتها العلميَّةِ بما ينسجمُ مع المنهجِ المتَّبعِ في التَّحليلِ.

وهُنا لا بدَّ لي من تقديمِ الشُّكر والامتنان ، والإشادة بالجهدِ المُباركِ لأُستاذي المُشرف الأُستاذ الدُّكتور حربي نعيم محمّد الشبليِّ ، لما أَغدقهُ عليَّ من فيض علمه الثرَ وأَدبهِ الجمَّ ، فضلًا عمَّا تجشَّمهُ من مشقَّةٍ في قراءةِ هذه الدِّراسةِ وتقويمِها ، وما أَسداهُ من مشورةٍ دقيقةٍ وتوجيهٍ سديدٍ ، فأَسالَ اللَّه تبارك وتعالى أَن يمُنَ عليهُ بلباسِ

العافيةِ وتمامها وشمول السَّلامةِ ودوامها ، وأَن يُجزيه عنِّي وعن طلبةِ العلمِ خيرَ جزاءِ المُحسنينَ .

كما أَتقدَّم بالشُّكرِ والتَّقديرِ والامتنانِ إلى السَّيِّدِ عميدِ كُلّيَّةِ التَّربيةِ للعلوم الإنسانية في جامعةِ كربلاءَ الأُستاذ الدّكتور حسن حبيب الكريطيِّ ، وإلى أَساتذتِي في قسمِ اللُّغةِ العربيَّةِ و لاسيَّما السَّيِّد رئيس القسم الأُستاذ الدكتور ليث قابل عبيد الوائلي، اسأَل اللَّه لهم جميعًا دوام الصِّحَّة والعافية أَنَّه سميعُ مُجيب .

وأَخيرًا ، أَقولُ إِنَّني حاولتُ بما قَدَّرَ اللَّه ليِّ ، فإِنْ أَصبتُ فَبِفَضْلِ اللَّهِ وَمنِّهُ ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمَن نَفْسِي وَنَشَدانُ الكَمالَ غايةٌ لَا تُدرك ، والحمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ والصَّلاة والسَّلامُ عَلَى النَّبيِّ الأَمينُ مُحَمَّدِ المُصْطَفَى وَآلِهِ اَلْطَيِّبينِ اَلْطاهِرينِ .

التمهيد

سيمياء العواطف – قراءة في المصطلح وإشكاليته -

أولاً: قراءة في المصطلح

١ - مصطلح السيمياء ونشأته

٢ - أصول النظرية

٣ - تسمية النظرية

٤ - الهدف من النظرية

ثانياً : إشكالية المصطلح

١ - إشكالية الترجمة

٢ - إشكالية التطبيق

سيمياء العواطف – قراءة في المصطلح وإشكاليته –

أولاً: قراءة في المصطلح

١ – مصطلح السيمياء ونشأته:

يعد هذا المصطلح من المصطلحات الغربية الحديثة التي ظهرت بداياتها في الساحة النقدية في النصف الأول من القرن العشرين ، وترجع هذه اللفظة إلى الأصل اليوناني(Semeion) الذي يراد به العلامة ، ودراسة هذه العلامة من رموز وإشارات ، والعلاقة بينها وبين وجودها الخارجي والداخلي ، ويقع ظهور هذا المصطلح في الثقافة الغربية متأرجحاً ما بين الدراسات القديمة والدراسات الحديثة ، وقد تمثلت الدراسات القديمة بانطلاقات متعددة ، والسبق سجل في دراسات الرواقين في جانبها اللغوي عبر الكشف عن (الدال والمدلول)، فقد((تنبهوا إلى أن الاختلاف بين أصوات اللغة إنما هو في حقيقته اختلاف شكلي ظاهري لمعان أو مرجعيات متشابهة))[١]، في حين جاءت العلامة في نطاق الفكر الفلسفي عندما ظهرت في دراسات أفلاطون والاهتمام بطابعها المحاكاتي ، وخاصيتها الاعتباطية ، وفي نطاق الدراسات المنطقية مع أرسطو في نظريته حول المعنى وحول الشعر ، والتمييز بين الكلام والأشياء[٢] ، ثم انتقل التفكير السيميائي مع القديس أوغسطين وسؤاله حول التفسير والتأويل ، ضمن إطار المشكلة المطروحة من قبل المسيحية ومواجهتها للكتابات المقدسة ، حتى استقر علماً في مرحلته الحقيقية عند جون لوك حينما صنف العلوم ، وميز السيمياء عن غيرها واضعاً تحتها نظرية المعرفة والمنطق ، حتى

(١) الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي ، إسكندر غريب : ٩.

(٢) ينظر : السيمياء العامة وسيمياء الأدب– من أجل تصور شامل ، د. عبد الواحد المرابط : ٢٥.

توالت ضمن الدراسات والأبحاث فظهرت ضمن أعمال فيكو و لايبنتز ، وأعمال كوندياك[١]، وهذا مثّل أهم مراحل تطور التفكير السيميائي منذ الانطلاقة الأولى له وحتى وصوله إلى مراحل منهجية مهمة نتناولها ضمن دراسات سندرس بيرس ودي سوسير.

يعود الفضل في تأسيس السيميائية الحديثة إلى العالم الأمريكي بيرس (الأصل في التيار السيميو طيقي) ، والسويسري دي سوسير(الأصل في التيار السيميولوجي)[٢] ، إذ عمل الأول على تأسيس السيميائية بوصفها علماً قائماً على المنطق ، والفلسفة الظاهراتية ، والرياضيات ، والمقصود بها النظرية العامة لقواعد التفكير الإنساني ، وهي ذاتها النظرية العامة للعلامات ، والتي أطلق عليها (السيميوطيقا) ، وارتبطت عنده بثلاث مراحل ، المرحلة الكانطية عبر مراجعة المقولات الكانطية ، والمرحلة المنطقية تعويضاً للمنطق الأرسطي وربطه بالمقولات والعلامات ، والمرحلة السيميوطيقية القائمة على نظرية العلامات

(١) ينظر : الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي : ٩-١٠-١٨.

(٢) (السيميوطيقا ، السيميولوجيا) : هما كلمتان مركبتان يعود أصلهما إلى الكلمة اليونانية (semeion) التي يراد بها (السمة أو العلامة) وهما متشابهتان من حيث المعنى ، لكن الاختلاف يكمن في الجزء الثاني من الكلمتين (Logos) تعني الخطاب ، و(Tique) تعني الديداكتيكية وأصلها يعود إلى اللغة اللاتينية ، والقدماء لم يميزوا بينهما ، إذ عرف عند الإغريق بـ (التشريح) ، وعند افلاطون بـ(فن الإقناع) ، وعند جون لوك بـ(مناهج المعرفة الفلسفية) حتى تطور إلى علم العلامات ، مع ذلك فإن الأمر باستعمال المصطلح بقي أمره عند الباحثين واجتهاداتهم في توظيفه ، ولا فرق بينهما من حيث التطبيق، سوى أن أتباع بيرس عملوا على أشاعة مصطلح السيميوطيقا ، وأتباع دي سوسير استعملوا مصطلح السيميولوجيا، أمَّا عند العرب فقد تعددت التسميات ، فاستعمل (السيمية ، السيماء ، السيمياء ، السيميائية ، السميائيات ، سيميولوجيا، سيميوطيقا ، علم العلامات، علم الأدلة ، الرموزية ، الدلائلية)؛ لأن هذه المفردات لها ما يقابلها عند العرب (الدليل ، الإشارة ، العلامة ، السمة ، الرمز ، الأمارة ...) ، ينظر : السيمياء العامة وسيمياء الأدب – من أجل تصور شامل : ١٣-١٤-١٥-١٦.

والمرتبطة بفلسفته المتضمنة الاستمرارية ، والواقعية ، والذرائعية[١]،إذ عمل على الماهية والكيف لجنس العلامة ، فتعامل مع الإشارات جميعها، لغوية كانت أم مادية ، على وفق نظام سيميائي مستنداً إلى نظرية دلالية[٢]، وجاء عمله مغايراً لسوسير ، إذ ربط السيميائية بالمنطق من جهة ، بعدّه القواعد الأساسية للتفكير والحصول على الدلالات المختلفة ، ومن جهة أخرى ربطه بالفينومينولوجيا ؛ بوصفها تمثل منطلقاً لتحديد الإدراك ولحظاته[٣]، والبحث عن عمق المعنى في الفعل الإنساني ، مُصرِّحاً بهيمنة السيميائية في دراساته بعلوم مختلفة: ((لم أكن في يوم ما قادراً على دراسة كل ما درسته – رياضيات ، ذهن ، ميتا فيزيقيا، تجاذب ، علم الحراريات، البصريات ، الكيمياء ... ما لم تكن دراسة سيميائية))[٤]، وبهذا فقد اعتمد بيرس في صياغة نظريته على الفلسفة والمنطق ، فكانت الفلسفة وسيلته في البحث عن ماهية العلامة وتفسير ظواهرها ، والاهتمام بكل التجارب الإنسانية ، تلك التي تسجل دوراً فاعلاً في بناء المجتمع ، وتفتح ثقافاته على ثقافات أخرى ، مما تسمح بفسح المجال أمام نتاجاتها ، والبحث في أفكارها.

أمَّا دي سوسير (مؤسس العلوم اللسانية اللغوية الحديثة) فقد تطورت السيميائية عنده وفق البحث الأَلسني – المرتبط بالنسق اللغوي ، المعبر عن العلامات ، الحامل للأفكار–، الذي وصف بالمرونة والاتساع ، واحتوائه في ميادين دراسية مختلفة ، ولهذا فقد كان عنده ((الدور الأساسي في سنّ المفاهيم العلميّة الأولى التي استخدمتها السيميائية ، مثل: اللّغة/ الكلام ، الدّال / المدلول ، الوحدة / الاختلاف))[٥] ، وقد أخذت بوصفها ثلاث

---

(١) ينظر : السيميائيات أو نظرية العلامات ، جيرار دولو دال ، جوويل ريطوري ، ترجمة : د.عبد الرحمن بو علي : ١٩–٢٠.

(٢) ينظر : النقد والدلالة – نحو تحليل سيميائي للأدب ، محمد عزام : ١٠.

(٣) ينظر : السيميائيات – مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بنكراد : ٨٧.

(٤) آليات أنتاج النص الروائي – نحو تصور سيميائي ، عبد اللطيف محفوظ : ٢٤.

(٥) مباحث في السيميائية السردية ، د. نادية بوشفرة : ١٠.

فرضيات ، تمثلت أولاً في: اللغة موضوع شكلي: فهي شكل لها طبيعة متجانسة تحتمل التحليل ، وثانياً: اللغة موضوع دلالي ، وثالثاً: اللغةُ موضوعٌ اجتماعيُ ، نابعٌ من طبيعتها الاجتماعية المتفق عليها من قبل الجماعة[١]، وبرأيه يمكن((أن نتصور علماً موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع ، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام ، وسأطلق عليه semiology... وسيمكننا علم العلامات من معرفة ماهية العلامات والقوانين المسيرة لها. وبما أن هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى حد الآن ، لم يمكن التكهن بطبيعته وماهيته ، ولكن له حق الظهور إلى الوجود ، فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام))[٢]، لهذا تقترن حياة العلامة بالمؤسسة الاجتماعية ؛ لأنها توجد داخل تلك المؤسسة ، وهذا يساعد على الإمساك بالخصائص اللسانية ، التي تُعد وسيلة اتصال ببقية المؤسسات ، عبر القواسم المشتركة والأنساق الثقافية ، ومن بينها الأنساق السيميائية والنسق اللساني ، لذا يقرر أن المشكل اللساني هو سيميائي بحت ، واللغة هي الظاهرة السيميائية التي يتجلى عبرها المشكل اللساني ، فالربط يتم ما بين الجانب الاجتماعي وما بين الجانب النفسي عبر العلامة اللغوية في ثنائية (الدال/ المدلول) ، وهذا يستدعي العمل على رفع خصائص المؤسسة السيميائية على حساب خصائص المؤسسة الاجتماعية ؛ لتكتسب السيميائية الشمولية عبر قوة التميز وقوة التواصل[٣].

(١) ينظر : مباحث في السيميائية السردية: ١٠.

(٢) أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة – مدخل إلى السيميوطيقا ، إشراف: سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد : ١٤٩.

(٣) ينظر : معالم السيميائيات العامة – أسسها ومفاهيمهما ، عبد القادر فهيم الشيباني : ١٤-١٥.

٢ – أصول النظرية

لقد تعددت الأصول التي ارتكزت عليها نظرية سيمياء العواطف ، فجاءت متنوعة في أصلها الفلسفي ، واللساني ، والمعرفي ، إذ استوعبت سيميائية غريماس مفاهيم مختلفة ، ولا سيما أن غريماس بدأ في أول الأمر ببناء نظرية جديدة للتحليل السردي وربطها بالجانب السيميائي ، فكان الخطاب الفلسفي محطته الأولى معتمداً عليه في جوانبه المختلفة حتى((بات الارتباط متيناً إلى حدِّ التّطابق بين السيميائيات والمنطق ونظرية المعرفة وإن كان التّأويل السيميائي للخطاب الفلسفي ذا طبيعة أكثر خصوصيّة وأكثر تعقيداً ، ذلك لأنّ التّفكير بالعلامات وحول العلامة في آن واحد ظلّ يشغل بال الفلاسفة منذ العصور القديمة ومروراً بالعصور الوسطى والحديثة إلى أيّامنا هذه))[١] ، فاستمدت السيميائية قسم من مبادئها ((من الفلسفة الوضعية في جنوحها إلى الشكل ، وفي اتصافها بالنزعة العلمية ، والفلاسفة الوضعيون هم الذين اعتبروا اللغة كلها رمزاً))[٢]، وهذا يعود إلى اعتمادهم العلامة التي عُدَّت ركناً من أركان التواصل بين إنسان وإنسان آخر ، وبين الإنسان والطبيعة المحيطة به[٣] ، وفي الواقع فإن هذا الأصل قد اعتمد المنطق والفلسفة الظاهراتية ، التي ظهرت عند بيرس ومن تابعه ، فقد عمل بيرس على دراسة العلاقات الصورية بين الوحدات ، والاهتمام بالعلاقات الدلالية ضمن حقل التداول ، في مستويات ثلاثة متداخلة ، يبحث الأول عن عالم من الأحاسيس المفصولة عن الزمان والمكان ، مثل : حالة الفرح قبل التحقق كانت حالة شعورية محتملة ، وبحث في الثاني عن التحقق الفعلي بعدما كانت الحالة محتملة أصبحت فعلية ، والمستوى

---

(١) الدّلالات المفتوحة – مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، أحمد يوسف: ٩.

(٢) محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر– دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية ، بشير تاوريريت : ١١٣ .

(٣) ينظر : أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة – مدخل إلى السيميوطيقا : ١٤.

الثالث كان بمثابة جهاز مفاهيمي في تأويل السلوك ووصفه بالدلالة على الفرح لا الحزن[١]، وقد وجدت هذه المستويات صداها دخل نظرية غريماس ، ولا سيما في المكون التصويري.

وكذلك استوعبت السيميائية الأصل الألسني ، إذ عمل الشكلانييون الروس على طروحات دي سوسير المتضمنة مقولاته السيميائية ، فكان نموذجه اللغوي الركيزة الأساسية في السيمياء العامة عموماً ، والأَثر العميق في ظهور النموذج العاملي الغريماسي خصوصاً، ولعل الانعطاف نحو بناء التحليل السيميائي في مقابل التحليل اللساني قد أرخ له غريماس حينما عطف المسار من البنيوي إلى السيميائي في كتابه (الدلالة البنيوية) ، مقدماً فيه شبكة من المفاهيم تضاهي مفاهيم الأنموذج اللساني[٢] ، فقد ركز سوسير على ((كل القوانين العامة التي ترجع إليها كل الظواهر اللغوية ، لذلك أخرج كل اللسانيات من اهتماماتها القديمة ، الفيلولوجية والتاريخية ، وجعل منها علماً وصفياً ذا منهج مقرر وأدوات فعالة))[٣] ، حتى وجدنا غريماس ينادي بتلك الأدوات حينما تحدث عن السيميائية السردية ، والتي ارتبطت بـ ((الإرث اللساني من خلال مجموعة من المفاهيم ، ففي مقاله الصّادر سنة ١٩٥٦(راهنيّة النزعة السوسيريّة) يرى غريماس ضرورة إفادة العلوم الإنسانية من ثنائية سوسير بحيث يشير إلى كون أصالة مساهمة سوسير في تحول نظريته الخاصة التي تخص فهم العالم باعتباره شبكة من العلاقات أو بوصفه بناء لأشكال ذات معنى إلى نظرية للمعرفة ومنهاجية لسانية))[٤] ، وتطرق سوسير للعلامة واعتباطيتها كان له أثرٌ واضحٌ ، ولا سيما في الثنائيات ، ومبدأ

(١) ينظر : السيميائيات واللسانيات – المصطلح وأيديولوجيا التأصيل ، د. عبد السلام أبو زكري شرماط: ٤٥٧. (بحث)

(٢) ينظر : السيميائيات الواصفة – المنطق السيميائي وجبر العلامات ، د. أحمد يوسف:١٠.

(٣) السيمياء العامة وسيمياء الأدب – من أجل تصور شامل : ٣٩.

(٤) المرجعية المعرفية للسميائيات السردية – جريماس نموذجا ، سعيد بوعيطة : ٤٩. (بحث)

الاختلاف ، والملفوظ ، التي تجلت فعاليته في صياغة المفاهيم داخل نظرية غريماس فيما بعد ، مما أدى إلى تنوع مناهجها ، وتعدد فروعها ومجالاتها ، فاهتدى إلى ((تصور جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدلالية ، لاستيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى من دون الاكتراث لطبيعته في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين (على الأقل) تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى))[١] ، وقد استثمر ذلك في الوصول إلى المعاني والعلاقة الرابطة عبر الاتصال والانفصال ، عبر وحدات معنوية (السيمات)، والتي تنتظم بوجود عنصر آخر تجمعهما علاقة ووظيفة تساعدنا على بلورة المقصد منهما[٢] ، مما يعني أدراك اللفظ وفهمه ، وضبط معناه ضمن سياقه.

أمَّا الأصل المعرفي فإن غريماس اتكأ عليه في صياغة نظريته ، إذ ضم هذا الأصل المرجعيات الأدبية والنقدية في الدراسات الأدبية ، فصاغ منها مفاهيم عدة من مثل : (النموذج العاملي ، البرنامج السردي ، الخطاطة السردية ، التفضية والتزمين ، المكون التصويري ، الأدوار التيماتيكية ، المربع السيميائي) حتى يجد الباحث عن تلك المرجعيات أن ((الابستمولوجيا الغريماسية القائمة على استثمار المفاهيم المرتبطة بحقول معرفية محددة لتحديد مفهوم العامل وإدراجه ضمن الهيكل العام للسيميوطيقا السردية بوصفه مفهوماً إجرائياً على مستوى تحليل التركيب السردي، مرجعيتها النظرية في التركيب كما قدمته البنيوية وفي علم تحليل الحكاية الشعبية وفي الدراسات حول الخطاب الدرامي))[٣]، ولعل أعمال الشكلاني فلادمير بروب ومؤلفه في الحكاية الشعبية (مورفولوجية الحكاية العجيبة الروسية) من أبرز الدراسات الأدبية ، التي ركزت على استخراج النصوص في بنيتها العميقة ، وتنظيم شخصياتها وإنجاز أفعالها ، ضمن

(١) مقدمة في السيميائية السردية ، رشيد بن مالك : ١٠.

(٢) ينظر : السيميائيات السردية ، رشيد بن مالك : ٣٠.

(٣) التحليل السيميائي للخطاب الروائي / البنيات الخطابية – التركيب – الدلالة ، عبد المجيد نوسي : ٢٠٧-٢٠٨.

وظائف ثابتة حددها بإحدى وثلاثين وظيفة[١] ، فعمل غريماس على استثماره ، باختزال هذه الوظائف ، وتطبيقها على نموذجه العاملي ، وجعلها عامة وشاملة لكل الأجناس الأدبية ، مما منحها العمومية والشمولية ، على العكس من عمل بروب المحدد بالنصوص الروائية فقط ، إذ عمل على ((تعميق مفاهيمه وبلورتها في تصور منطقي شامل للأجناس السردية ، كيفما كانت طبيعتها الدلالية ، وهذا هو الفارق الجوهري بينه وبين بروب الذي لم يعر انتباها لتلك الأجناس ، الأمر الذي جعل بحثه يدور في نطاق ضيق، لا يتجاوز حدود الاشتغال بالحكاية الخرافية))[٢] ، ولعل الانتقادات التي وجهها كلود ليفي ستراوس لمشروع بروب كانت من العوامل المساعدة لغريماس في تنظيم نظريته ، ولاسيما في جانب البنية السطحية والعميقة ، فكانت دراسته ((سبباً في التمييز الذي أولاه بالبعد النظمي لمساعدته على التطبيق الميكانيكي ، وتوقف التحليل على مستوى البنيات السطحية ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالأبحاث الميثولوجية المقارنة))[٣] ، ولم يكتف غريماس بهذه الدراسات إنما نجده قد أتجه نحو المسرح ، إذْ أخذ نموذج إيتيان سوريو وعمله في استنباط الوظيفة الدرامية ، وأدخله في مفهوم العامل مع العوامل الأخرى من عامل الذات والموضوع ، والمساعد والمعارض ، فضلاً عن العلاقات الرابطة بينهم ، حتى كوّن الأدوار العاملية ، إذ ((ميز سوريو شخصيات الأدوار التي يسميها " الوظائف الدرامية" ويلمح لإمكانية توزيع غير منظم للقسمين وهذه الأدوار هي كالتالي: " القوة الموضوعاتية الموجهة ، ممثل الخير مرغوب فيه ، القابض المفترض لهذا الأخير (الذي تعمل لصالحه القوة الموضوعية الموجهة) : المعارض العشوائي ، فاعل الخير ، المساعدة ، مضاعفة إحدى الجهود السابقة))[٤] ، كما أننا نجد غريماس قد ركز على

---

(١) ينظر : التحليل السيميائي للخطاب الروائي / البنيات الخطابية – التركيب – الدلالة : ١١٠.

(٢) مباحث في السيميائية السردية : ٤٧.

(٣) م ، ن : ١٩.

(٤) مفاهيم سردية ، تزفيطان تودوروف ، ترجمة: عبد الرحمن مزيان : ٧٧.

أعمال تسنيير ونظريته في النحو البنيوي الخاص ببناء الجملة البسيطة ، والدور الذي يمنحه للفعل في الجملة الفعلية ((حيث تصبح الوظائف التركيبية عبارة عن أدوار تلعبها الكلمات : الفاعل هو الذي ينجز الفعل ، والموضوع هو الذي يقع عليه الفعل))[١] ، إذ إفاد منه في صياغة النموذج العاملي ، ومنحه بعداً يتجاوز حدود الجملة ، في الخطابات السردية ؛ وذلك لأن الجملة من الناحية التركيبية تتسع لأكثر من فاعل ، ولأكثر من فعل، ولأكثر من مفعول به ، فإنّ نقل هذا النموذج إلى ميدان آخر غير اللسانيات يتطلب إلحاق تعديل يمس طبيعة الفرجة ، وطبيعة الأدوار ، فالأمر يتعلق بالأساس الذي يستند إليه الباث في توظيف مضامينه[٢] ، مما يساعد على الانتقال من وضع القوالب التركيبية وتنظيمها إلى وضع استشراف الفعل وحصر معناه ، ونصل إلى نتيجة استثمار غريماس لمجموعة من الأصول في بناء نظريته ، ووضع أجراءته التطبيقية من اتجاهات مختلفة ، كان لها الدور الفعّال في تأسيس نظرية عامة شاملة لدراسات على وفق أنساق ثقافية مختلفة ، سواء في الدراسات السيميائية السردية أم في الدراسات السيميائية العاطفية.

(١) التحليل السيميائي للخطاب الروائي / البنيات الخطابية – التركيب – الدلالة : ٢٠٨.

(٢) ينظر : السيميائيات السردية / مدخل نظري ، سعيد بنكراد : ٥٥.

٣ - **تسمية النظرية:**

تتأرجح التسمية ما بين سيمياء الأهواء ، وسيمياء العواطف ، والتسمية الأولى قد عرفت في دراسات أهل المغرب والجزائر[١] وعند مترجمي هذه النظرية ؛ ولعل هذا السبب الأقوى في اشتهارها بهذا الاسم ، والتسمية الثانية قلَّ ذيوعها في الأوساط الثقافية ، وعرفت في قسم من الدراسات الجزائرية والمغربية[٢] والدراسات العراقية[٣] ، ولكن بحسب الدلالة

(١) ينظر : قسم من الدراسات التي أطلقت تسمية سيمياء الأهواء ، وهي كثيرة لا يمكن أن نذكرها جميعها ؛ كونها تأخذ مساحة منا ، ومن هذه الدراسات : سيمياء الأهواء في رواية مالك الحزين لإبراهيم أصلان ، بلعور مليكة ، رسالة ماجستير ، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥قالمة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٤م ، سيمياء الأهواء في رواية " ٢٠٨٤حكاية العربي الأخير" لواسيني الأعرج" ، عطا الله مليزة ، رسالة ماجستير ، جامعة أكلي محند أولحاج ، الجزائر ، ٢٠١٦م، سيمياء الأهواء في ديوان بشار بن برد ، درقاوي سميرة، بن حامد رقية ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٩م ، سيمياء الأهواء في تائية الشنفرى، حمزة العيفاوي ، د. إبراهيم فضالة ، مجلة المدونة ، جامعة البليدة ، المجلد(٥)، العدد(١) ، ٢٠١٨م ، وغيرها من الدراسات .

(٢) ينظر : سيمياء العواطف في قصيدة" أراك عصي الدمع " لأبي فراس الحمداني ، عمي ليندة، رسالة ماجستير. وينظر: سيمياء العواطف – قراءة في قصيدة الأسود بن يعفر ، موسى ربابعه ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، المجلد(١٥) ، العدد(١) ، ٢٠١٨م ، سيمياء العواطف في القصيدة المغربية المعاصرة – قصيدة نداء لنبيلة حماني نموذجاً ، مرشد ماجد قائد قاسم ، مجلة المرتقى ، المجلد (٤) ، العدد (١) ، مارس ٢٠٢١م.

(٣) ينظر : سيمياء العواطف في نهج البلاغة، حيدر نعيم مغتاض ، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة ذي قار، ٢٠١٨م. وينظر : سيمياء العواطف في دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام ، د. أحمد عباس كامل الأزرقي ، مجلة جامعة ذي قار للعلوم الإنسانية ، المجلد(١١) ، العدد(١) ، ٢٠٢١م ، وينظر : العاطفة موضوعاً سيميائياً – قراءة في خطابات النبي الأعظم محمد ، د. هادي شندوخ حميد ، مجلة العميد ، المجلد (٨) ، العدد(٣٠)، ٢٠١٩م ، مع الإشارة إلى إن هناك دراسة عراقية حملت أسم (سيمياء الأهواء في الأعمال القصصية الكاملة للقاصة ذكرى لعيبي) للباحثة كوثر عاشور عبد الحسين ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة ميسان ، ٢٠٢٣م.

العملية لمعنى العواطف والأهواء ، فإن العواطف أشمل من الأهواء ، إذ تقسم العواطف إلى الأفعال: التي تفسر بطبيعة الفرد المنفعل ، أي الناتجة عن ماهيته ، والأهواء: التي تفسر عبر الفعل الممارس من الأشياء الخارجية[١]، فالأهواء بوصفها تسمية تمثل الجانب السلبي فحسب ، في حين أن العواطف تضم كلا الجانبين الايجابي والسلبي ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها مترجموا هذه النظرية وفي مقدمتهم سعيد بنكراد – مترجم كتاب غريماس وجاك فونتاني (سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس) ، وقد تابعه على ذلك كل من محمد الداهي وجميل حمداوي ، مع أن هؤلاء النقاد لهم باع طويل في هذا المجال – ، إلاَّ إن عودة الدكتور خالد بن محمد الجديع إلى المصطلح الأصل في اللغة الفرنسية قد أثبت معناه بـ (الشَّغف) ، والتي يراد بها (سيميائية المشاعر) إذ تبدأ عبرها ثيمات العواطف المختلفة[٢]، فضلاً عن ذلك أثبت الدارسون أن لفظة الأهواء تعني (الشنيع) في اللغة الفرنسية ، ويقصد به اللفظ المستبد بالعقل الذي يقوضه ؛ لأن الطبيعة الإنسانية تحتاج إلى العمل بالحرية عندما يتم التعامل مع العقل ، بينما الأهواء تهدد النظام الطبيعي ، وتخمد جذوة الذكاء[٣] ، مما يثبت لدينا أن تسمية النظرية بسيمياء العواطف وليس سيمياء الأهواء ، والعواطف في مجملها نظام متمركز فيه القيم والمبادئ ، المرتبطة بجماعة معينة متقاربة أحياناً ، وأحياناً مختلفة بين مكان وآخر ، تكشف عن التصور الثقافي الظاهر في كينونته ، إذ (تصوّر غريماس وأتباعه إمكانيّة وصف سيرورة تقود من أبسط الأشكال الوجودية للقيم وأكثرها تجريديّة إلى مستويات تتميّز ببعد تشخيصيّ مرئيّ ومتحقّق في فعل

(١) ينظر : العواطف والأهواء عند أسبينوزا ، محمد الخشين ،
tafalsouf.com/PagePassionSpinoza

(٢) ينظر: سيميائية الأهواء – مصطلح قار.. ودلالات متفلتة ، د. خالد بن محمد الجديع
https://www.al-jazirah.com

(٣) نقلاً عن : سيميائية الأهواء ، محمد الداهي: ٢١٩. (بحث)

لإنسانيّ مدرج ضمن وضعيّات تستوعب هذه القيم وتمنحها وجوداً مخصوصاً))[١] ، ولهذا فإننا نقف مع التسمية الثانية ؛ لأن واضعي النظرية – غريماس ، جاك فونتاني– قد ركزا عليها بحسب ما جاء في تصريحهم ، فنظرا نظرة مختلفة للعواطف ، وفرقا بين عدة مفاهيم تدور في دائرة العاطفة، منها: (الانفعال ، الإحساس ، الميل ، الاستعداد ، الطبع ، العاطفة)، فالانفعال مرتبط بالانطباع، والمزاج، وحالات النفس، والإحساس يبدو أكثر قوة وخصوصية، وأكثر ثباتاً، لأن الإحساس شيء سابق في الوجود على التجلي الدلالي ، السابق على أي تمفصل سيميائي ، وهو يولد خارج حدود الخطاب ، هذا الإحساس لا يمكن أن يصبح مرئيا ، إلا عن طريق تجزيئه وتحويله إلى وحدات ، وهو ما يطلق عليه في اللغة بـ(الاستعداد ، والشعور، والميل ، والكراهية ، والحب ، ...) [٢]، أَمَّا الأهواء فترتبط بالرّهاب، والهوس، والهواجس، والحب، والانفعال ، كاهتزاز النفس مِمّا يحدث اضطراباً مؤقتاً، يؤدي إلى فقدان التحكم في السلوك، ويبرز عبر الانفجار والانهيار، بينما العاطفة مستقرة في المدة ، حتى وإن كانت عابرة ، فتميز أسلوب صاحبها ، وتُظهر موضوع ثابت ، قد يمثل قيمة مهمة في العالم[٣]، وتتجلى هذه القيمة من قيمة الملفوظات المكونة للخطاب، وكذلك من أهمية الجهة الصادرة عنها الخطاب ، كما أننا وجدنا أن غريماس في دراسته قد ركز على العواطف وليس الأهواء ، من مثل عاطفة الغيرة ، وعاطفة البخل ، فضلاً عن ذلك قد درس عاطفة الغضب في مقال سابق ؛ لأنه قد وضع فاصلاً بين الهوى : الذي يقود إلى الفوضى، ويشوش العقل، ويقوده إلى المعاصي ، وبالنتيجة يتحول إلى طاقة تعيق من تقدم المجتمع ونموه ، وتقضي على مؤهلاته الثقافية ؛ لأنه يمثل الخروج عن الحدِّ الموضوع

---

(١) سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، ألجيرداس.ج. غريماس ، جاك فونتاني ، ترجمة: سعيد بنكراد : ٢٥.

(٢) ينظر : م ، ن : ٦٨-٦٩.

(٣) ينظر : سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير لمالك الحداد) ، بشار سعيدة : ١٢. (رسالة ماجستير)

إلى فواعل ممكن أن تؤثر سلباً في المجتمع ، نتيجة الإفراط في المشاعر، وبين العاطفة التي تحتكم إلى حالات معتدلة تفرضها الثقافة [١]، وهذه تعد نوعاً من أنواع العواطف ، لذا هو ركز في دراسته على العلامات والآثار المعنوية المتولدة عن الخطاب عبر مستويين في العلاقات النصية ، المستوى السطحي المتعلق بالمكون السردي ، وهو القائم على تنظيم حالات الشخصيات وتحولاتها ، والمستوى العميق الذي يتحكم في تنظيم الصور وكشف آثارها المعنوية.

٤ - الهدف من النظرية

جاءت سيمياء العواطف – التي أسس لها غريماس– منبثقة وممتدة من السيمياء العامة، إذ ركزت الدراسات السابقة على البعد المعرفي والتداولي للخطاب ، مما ولّد فراغاً في إهمال البعد العاطفي ، وجعل الدراسة خالية من القيم المعرفية ، القائمة على الاهتمام بالعواطف ، والرغبات الكامنة في الذات إثناء ممارستها للفعل ، ولا يعني أن الدراسات السيميائية السابقة لم تركز على البنيات العاطفية ، ولكن إهمالها يعود إلى صب الاهتمام على بنيات الأشكال التعبيرية المختلفة والتي ترجع إلى الشكل الظاهراتي ، وبالنتيجة أهملت العواطف الإنسانية ودلالاتها[٢] ، لذا أصّلَّ غريماس مع جاك فونتاني لاتجاه (سيمياء العواطف) وعملا عليه دون الاعتماد على الدراسات النفسية ، أو سلسلة العواطف عند الفلاسفة ، أو الأحكام الاجتماعية والأخلاقية التي تدين هذه العاطفة أو تلك ، إنما استثمار القواعد العامة التي حققها الدرس السيميائي ، وبناء دلالات جديدة تبحث في إطار اشتغال تلك العواطف[٣] ، والبحث عنها في البعد العاطفي المسؤول عن الأحاسيس والعواطف والحالات الشعورية المختلفة التي تمرّ بها الذات الانفعالية ، فالبعد العاطفي يمثل أثراً مسجلاً

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٠.
(٢) ينظر : ما هي السيمولوجيا ، برنار توسان ، ترجمة: محمد نظيف : ٩٧.
(٣) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١١.

ومشفراً في الخطاب ، ولا يُبحث فيه عن الجانب التأثيري العاطفي ؛ لأن العاطفة تمثل ((حالة شعورية وفكرية ، قوية بما يكفي كي تسيطر على حياة النفس (الإنسان) عن طريق شدة آثارها أو استمرارية حدثها))[١] وهذا يتم عبر إطار علاقة الإنسان بالعالم المحيط به ، والأفعال التي يمارسها والانتقال فيها من حالة الفصل إلى حالة الوصل وعلى النقيض ، في مقابل رد الفعل على ما يتلقاه ، و وصف العاطفة لغة يجعلها في حدود العقلانية ، التي تعمل على إبعادها عن التقليدية القائمة على التقابل ما بين العقل والعاطفة ، والأصح في ذلك هو مقابلتها بالفعل في مختلف تنوعاته الثقافية[٢]، من أجل تحليل العواطف بعدّها لغة التعرف على الحالات الشعورية ، وربط الحالات العاطفية بحالات الأشياء ، والمؤثرات التي تحدثها في النفس ، عبر تحديد الكفاءة ، والرغبة في إنجاز الفعل ، فضلاً عن القدرة على تشكيل نظام مولد للمعنى العاطفي ، مما يعني أن سيمياء العواطف تبحث في ذاكرة العواطف ، وفي تحققاتها ، وقدرتها على استخراج نسخ فرعية ، تكون مداخل في تحديد حالات الاعتدال ؛ لأن ((الإنسان لا " يفعل " فقط ، إنّه بالإضافة إلى ذلك يُضمّن الفعل شحنةً انفعاليّة تحدّد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها هذا الفعل))[٣] ، مما يشير إلى أثر الذات الفاعلة ودورها في التحققات الخطابية.

---

(١) سيمياء العواطف من السيمياء الأدبية لدوني بيرتران ، ترجمة: أ عمي ليندة ، https://philpapers.org/rec

(٢) ينظر : المداخل المفاتيح لسيميائية الأهواء ، آمنة بلعلى ، ٨٤- ٨٥ . (بحث)

(٣) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٢.

سيمياء العواطف ليست من الاتجاهات المستحدثة ، إنما يعود تأسيسها إلى محاولات أولية عند باحثين مختلفين ، فتضرب جذورها في مراحل مبكرة [١]– ولم تقعد إلا في العقود الأخيرة – لكن أهم هذه الدراسات ما ورد في كتاب غريماس (المعنى) ، الذي عالج فيه عاطفة الغضب ، على أنه تركيب متعب للذات الحاملة له ، على وفق برنامج حكائي ، يمرّ عبر مراحل ثلاث (الحرمان ، السّخط ، العدوانية)[٢] ، ثم صدرت دارسة غريماس وجاك فونتاني في كتاب (سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس) في سنة ١٩٩١م ، فاهتما بحالة الأشياء بوصفها تؤثر على الحالة الانفعالية للذات ، وركزا على الفعل السردي وتحولاته ضمن الخطاطة السردية والبرنامج السردي ، وهنا قد يتساءل القارئ الكريم عن العلاقة التي تربط سيمياء العواطف بالسيميائية السردية؟ لذا لابد لنا من الإشارة إلى تلك العلاقة التي تجمع ما بينهما ، إذ عمل غريماس بعد إنشاء نظريته وربطها بالبعد الانفعالي والتركيز عليه من جهة ، لكنه من جهة ثانية ربطها بالسيميائية السردية في ضوء (الوجود السيميائي المتجانس) ؛ بوصفها تنطلق من أن كل ما في العالم يجب أن يكون خاضعاً للسيميائية ، فإذا كانت السردية تبحث في استجلاء العناصر السردية، فإن سيمياء العواطف تبحث في دراسة الانفعالات والحالات التي تمرّ بها الذات ،

---

(١) ومن الدارسات في مجال سيمياء العواطف ما خصصه هرمان باريت عنها في دراسات متفرقة ، ثم جمعها في كتاب بعنوان (الأهواء محالة في تخطيب الذات) ، معالجاً إياها من جوانب ثلاثة (مورفلوجية الأهواء" الأهواء المتقاطعة ، الأهواء الإنتعاضية ، الأهواء الحماسية" ، تركيب الأهواء ، تخطيب الأهواء) ، وغريماس وجاك فونتاني صاحبا النظرية ، ثم نجد بحث آن إينو بحث العواطف في كتابه (السّلطة بوصفها هوى) عبر دراسته على يوميات (أرنوداديلي) ، فتوصل إلى تثبيت ثلاث حالات تتحكم في ممارسة الحكم وهي (حالة حبور ، حالة تنبيه ، حالة الخيبة والفشل)، ينظر : نقلاً عن سيميائية الأهواء : ٢٢١–٢٢٢ – ٢٢٨– ٢٣٤–٢٣٥.

(٢) ينظر : سيميائية الأهواء (مداخلة مقدمة لليوم الدراسي : الرواية الجزائرية في ظل المناهج النقدية المعاصرة) ، د. سعدية بن ستيتي ،

http://dspace.univ-msila.dz

سواء أكانت في حالة الترغيب أم في حالة الترهيب ، عبر تركيبها الدلالي ، وممكناته الكامنة في سلسلة الحالات ، فتعمل على وصف آليات أشتغالها عبر التركيز على المكون التوتري ، والمكون الانفعالي ، مما ينبثق عنه كينونة المعنى ، وإنشاء الإدراك العاطفي للذات[١] ، والبحث عن مدونة العواطف وتمفصلاتها الثقافية، بعدما كان التعامل يتم سابقاً مع سيمياء العمل واستبعاد الذات بفعل الخلفية البنيوية ، بل جاك فونتاني قد صرح بذلك بحسب ما نقله المترجم ((يُمكن القول إنّ البناء النظري الخاصّ بالأهواء يستمدّ مبادئه ومفاهيمه وتصنيفاته الأساسيّة من "السيميائيات الكلاسيكية " بتعبير فونتاني ، أي ممّا جاءت به سيميائيات الفعل ، أو السيميائيات السردية بحصر المعنى))[٢] ، فكانت أعمال غريماس في أولها ضمن المجال السردي ، ثم نقل ما أسسه في هذا المجال إلى نظريته الجديدة بعدما قام بوضع مفاهيم تخص الجانب الانفعالي ، وبذلك أسس لنظرية قائمة بذاتها من جانب التركيز على البعد الانفعالي ، ومرتبطة بالسردية من حيث خضوع كل ما موجود للسيميائية، ولأهمية المكون السردي أخذ ((مكانةً مهمةً وحيوية داخل النظرية السيميائية بصفة عامة وسيمياء الأهواء بشكل خاص من حيث أن النماذج والمدونات السردية تمثل البنية الثابتة في للخطاب ، وهي بنية تتمحور حول الشكل النظامي الموجود ما بين المدونات السردية والموضوع الذي يتولد عن طريق مسار المرسل والذات المرسل إليه))[٣]، وهذا ما تجلى في نظرية العامل النموذجي ، والكشف عن الشروط القبلية في تشكل الدلالة ، فالعواطف بحاجة السردية ، والعكس صحيح ، كما صرح غريماس ((في النصوص التي حللناها كنا نلغي كل ما له علاقة بالنسق العاطفي كتأثير الشعور، وهنا يكمن النقص، لهذا أحدثنا نوعاً من العودة إلى الوراء، لماذا هذا الرجوع كان ممكناً؟ لأنه كانت هناك أداة هي آلية النحو الصيغي، فلاحظنا أنه لو أردنا وصف عاطفة ما كعاطفة البخل والغضب مثلاً،

(١) ينظر : السيميائيات والتأويل – مدخل لسيميائيات بورس ، سعيد بنكراد : ١٧٠ .

(٢) سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٥.

(٣) السيميائيات والتأويل – مدخل لسيميائيات بورس : ١٧١.

فإنه بإمكاننا وصفها بمصطلحات البنية الصيغية))[1] ، فالهدف من النظرية أولاً : البحث في كيفية الأثر الذي تتركه العواطف ، فضلاً عن المنطق الحاكم لها من توترات وانفعالات ضمن أفق محدد ، لكن بتنوعات ثقافية مختلفة ، ثانياً: البحث في مراحل ثلاث ، الأول : البحث عن شروط الدلالة ، والثاني : البحث عن المستوى السيميو–سردي ، والثالث: في مستوى الخطاب.

ثانياً : إشكالية المصطلح

١ – إشكالية الترجمة

مما لا شك فيه أن ترجمة أي مصطلح ونقل المفاهيم الخاصة به يكون بحاجة إلى جهود المختصين ، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية والأدبية ، فيجب أن يكون هناك توافق في الترجمة مع المصطلح ، وهذا ما لم يتوافر لأغلب المصطلحات المترجمة، ومنها مصطلح السيميائية الذي لم يستقر لحد الآن على تسمية محددة ، على العكس من ذلك فإننا نجد بعض النظريات قد استقرت نحو (البنيوية ، والأسلوبية ، والشعرية...) ، وأخذت مساحتها في الساحة الأدبية ، سواء من حيث التنظير أم من حيث التطبيق ، ويُرجع الباحث محمد العبد السبب في تعدد تسمية مصطلح السيميائية إلى تفضيل المترجمين لما هو ملائم ومطابق للمفهوم العربي ، فيقول:((يبدو الموقف عندهم – حينئذٍ– موقف تفضيل اسم عربي (أصيل) : " سيميائية " على أسماء أخرى معرّبة : " سيميوطيقا" و" سيميولوجيا"))[2] ، وربما يعود إلى حيرة المترجم في وضع التسمية المناسبة للمصطلح ، مما يضطره إلى وضع

(١) المداخل المفاتيح لسيميائية الأهواء : ٧٩.

(٢) إشكاليات المصطلح السيميائي ، محمد العبد : ١٥٦. (بحث)

المرادف له ، والذي لا تتوافر فيه الدقة الوافية ، والملائمة لروح المصطلح هذا من جانب ، ومن جانب آخر تعدد المرادفات للمصطلح الواحد الموضوعة من قبل المترجمين[١] ، ونتيجة لذلك يصبح لدينا تحريف في المعنى ، وتعدد وجهات نظر في تطبيق النظرية ، ويواجه القارئ العربي صعوبة في فهمها وتطبيقها ، وفك رموزها وتمثيلها ، ولعل غياب الدراسات العاملة على توحيد المصطلحات من الأسباب المولدة لتضارب الأفكار وغموضها ، والخلط في المفاهيم واضطرابها[٢] ، لذا فإنه من الأفضل أن يعمل المترجم على مقابلة المصطلح بالمعنى الأصلي ، أولاً من أجل الأمانة العلمية ، وثانياً تجنباً للوقوع في الإشكاليات التي تسببها تلك الترجمات.

ومصطلح سيمياء العواطف – كبقية المصطلحات – قد واجه إشكالية في الترجمة ، كما ذكرنا ذلك في تسمية النظرية ، وفضلاً عن إشكالية الترجمة ، وقبل ذلك فإنه في واقع الحال قد واجه إشكالية في طرحه ضمن المجال السيميائي ؛ لأنه قد جاء ضمن الإطار الفلسفي ومناقشاته المتعددة ، من حيث التفريق بين العاطفة وبين العقل ، أو بين الجسد والروح ، ثم عُدَّ تراجعاً عن المدخل (النص) المعتمد للولوج إلى السيميائية ، كذلك ربطه بعضهم بالذاتية الرومانسية ، وإشكالية ترجمة العاطفة المدروسة من قبل أصحاب النظرية في لغات أجنبية أخرى كالألمانية والإيطالية...[٣] ، ولكن هذه الإشكالية تنتهي مع اعتماد الباحث على دراسة العواطف في جانبها الانفعالي بعيداً عن الدراسات النفسية ، وكذلك بعيداً عن ربطها بالعقل.

---

(١) ينظر : المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك ، كمال جدي : ١٢٧.

(٢) ينظر : السيميائية أصولها وقواعدها ، ميشال أرنيه ، جون بيار جيرو ، لوى بانينيه ، جوزيف كورتيس ، ترجمة: رشيد بن مالك : مراجعة وتقديم : عز الدين المناصرة : ٥-٦.

(٣) ينظر : المداخل المفاتيح لسيميائية الأهواء : ٨٠- ٨١ .

٢ - إشكالية التطبيق

تكمن الإشكالية في لفظة العواطف التي ظهر على أثرها اتجاهان ، الأَول اعتمد على إظهار((البعد العاطفي ابتداءً من سيمياء الفعل والتي تعير أمثلتها وترسمها في بُعدها النّحوي (في معناه السيّميو- سردي))[١] ، وهذه لا تهتم بالعواطف في إطار العلاقة النفسية، إنما تعمل بضمن فضاء البرنامج السردي ، والذي يكون عبر الرغبات ، والطموح ، والصراع الذي يحقق الأفعال ، ويساعد على الوصول إلى المراد [٢]، والعاطفة في هذا الاتجاه تُنتج في وضع مميز ، وذلك بمقابلة الذات لتلك العاطفة وما يُنجز من ورائها من أفعال تقاس ضمن التوترات ، ومدى القدرة للتركيب الصيغي ، وفعاليته بالانصهار مع التركيب المزاجي[٣] ، أمَّا الاتجاه الثاني فقد عمل على إظهار((البعد العاطفي ابتداءً من الدّور الخاص لذات العاطفة المضاد لذات التقييم المركز على أشكال الهوية الذَاتية ، هذا الاتجاه يعيد تفعيل الفئة الموضوعاتية العاطفة / العقل))[٤]، وفي الواقع فإن هذا الاتجاه بعيد عن النظرية التي اعتمدناها في الدراسة ؛ لأنه يرتبط بعمل الفلاسفة ، وحضور الأول ينفي وجود الثاني كما أن وجود الثاني ينفي حضور الأول؛ لأن العاطفة تمنع العقل من أداء وظيفته بحسب رأي أصحاب هذا الاتجاه[٥].

---

(١) سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير لمالك الحداد) : ٢٣.

(٢) ينظر : سيميائية الأهواء (مداخلة مقدمة لليوم الدراسي : الرواية الجزائرية في ظل المناهج النقدية المعاصرة) .

http://dspace.univ-msila.dz

(٣) ينظر : م ، ن .

(٤) : سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير لمالك الحداد): ٢٣ -٢٤.

(٥) ينظر : م ، ن .

في حين أن الاتجاه الأول هو ما تبناه غريماس في تأسيس النظرية ، لكن الإشكالية ظهرت في بداية التأسيس فحسب – وهذا لا تخلو منه أي نظرية في بداية نشأتها ؛ لأنها في المراحل التأسيسية –، حينما أسس الكفاءة الصيغية للذات السردية وأطلق عليه بـ (الوجود الصيغي للذات) متمثلاً بـ (القدرة ، المعرفة ، الوجوب ، الرغبة) ، مشكلاً بذلك قطبا المزاج (اللذة والألم) ، ولكن أضاف إلى ذلك المخططات التي أسهمت في تحويل الهوية والقيم الصيغية ومشاركتها في البحث عن الآثار العاطفية ، ومزجها بالتوترية وعناصر الشدة والكثافة من جهة ، ومن جهة أخرى ربطها بالشعور[١] ، وكما أثبت غريماس نظريته عبر تقعيد مفاهيمها ، وتطبيقها – في تناول عاطفتي البخل و الغيرة – وتبويبها في كتابه (سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس) ، عبر رحلة ضمنها ثلاثة مستويات ، الأولى البنية العميقة ، والثانية البنية السطحية ، والثالثة أشكال التجلّي [٢] ، وداخل هذه التقسيمات وزع المفاهيم كلاً بحسب عمله واشتغاله في وسط البنية.

(١) ينظر : سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير لمالك الحداد) : ٢٦.

(٢) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٩.

الفصل الأول

مبادئ سيمياء العواطف في الصحيفة السجادية

المبحث الأول : سيمولوجيا العنوان

المبحث الثاني : المربع السيميائي(النموذج التأسيسي)

المبحث الثالث: المخططات العاطفية

مبادئ سيمياء العواطف في الصّحيفة السجّادية

توطئة

هناك مجموعة من المبادئ الأولية التي تتحكم بالتفكير والإحساس الإنساني ، ومنها العمليات الذهنية والانفعالية ، عبر معرفة الظواهر والمفاهيم والإبعاد ، وبما إن العاطفة أحدى هذه العمليات المهمة لذا ينبع تأثير العاطفة من الأبعاد المعنوية والسلوكية ، التي تظهر في جوانب الذات المختلفة ، ويصل هذا التأثير في بعض المسائل حدِّ الإغراق والإسراف، متجلياً في التفكير البعيد عن المنطقية والموضوعية، وقد يكون ضمن الحدود التي يتقبلها التفكير المنطقي ، فيتحرك بالمسار العاطفي السليم ، الناتج عن((التنظيم الذاتي الذي بدوره يقوم بتحفيز الفرد على استعادة توازنه في الحياة وتحويل إخفاقاته و إحباطاته إلى قوة ؛ لأن قوة الهوى لا تكمن فقط في إصدار الانطباعات بل كذلك في إعادة إصدارها ، وهذا ما يجعل الهوى انطباعاً وتفكيراً في الآن نفسه))[1]، وهذا يعني أنَّ تكوين العواطف لا ينشأ من العاطفة فحسب ، إنما تضطلع الأفكار والأحاسيس معاً في إظهار الفعل والشعور بالفعل عبر المتعة أو الألم ، والنفس الإنسانية يجول في بعديها العاطفي والانفعالي كثير من الرغبات والميولات ، والانفعال والهيجان ، والحب والكره ، والقلق والاطمئنان وغيرها من الانفعالات ، لكن النفس السوية هي الدافع المحرك في اتجاه توفر الحاجات المعنوية والمادية على وفق انتظام وتوازن[2] ، ولإعطاء العاطفة أهميةً ودوراً ، تم التركيز على معناها فـ((استقطبت الأهواء مجالات عديدة، بحكم أنها

(١) ينظر : سيميائية الأهواء : ٢١٥.

(٢) ينظر : العاطفة كالماء – مقاربة سايكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها ، جاسم حسين المشرف : ١١.

تمس جانباً أساسياً في حياة الإنسان وهو ما يتعلق بحالته النفسية وما ينتابها من مشاعر وإحساسات متأرجحة ما بين اللذة والألم ، فإلى جانب أن العامل يعمل فهو يحس ، ويحتاج إلى الحالتين معاً لإثبات وجوده ، والصدع بمشاعره ومواقفه ، وإدراك مبتغاه ، والتأثير في الآخرين))[1] ، لذا تم إدخال البعد العاطفي ضمن الدراسات السيميائية بحذرٍ شديد ، وهذا كان بحاجة إلى بناء دلالة قائمة بهذا البعد،لأن العاطفة في واقعها لا تُدرس من جانبها النفسي الذي يخرجها عن الإطار العاطفي ، إنّما تُدرس من جانبها الدلالي ، الذي تحمله المعاني المشفرة والمسجلة سابقاً في الخطاب ، فتُسهم في إنتاج تمثلاتها الثقافية المختلفة ، والتي عبرها يتم إعطاء أولوية لهذه العواطف على حساب عواطف أخرى[2] ، فالنص في المنظور السيميائي يتكون من بنية التجلي المعنية بدراسة العتبات النصية من (العنوان،الأيقونات ، الهوامش ، المقدمات ...)، فضلاً عن البنية الدلالية الأوّليّة التي تضم عناصر البنية السطحية والبنية العميقة ، والتي تنتظم عِبر الفرد أو المجتمع ، بما تُضمن من مضامين قيمة ، تخرج للتداول والاستهلاك ، فيما يخصص الوجود الثقافي للقيم ، وعناصر البنية السطحية التي توحي إلى الوجود التركيبي لهذه القيم ، بما يجعل هذه القيم مشخصة[3]، وهذا يعني أن البنية في جميع حالاتها تعدّ شبكة من العلاقات، الحاضنة لمجمل الروابط العاملة على تكوين الأشكال التنظيمية الأولى للدلالة ، وهذا يجعلنا نكتشف الشروط التي أنتجت في ضوئها الدلالة ، وبالنتيجة معرفة التحولات التي حصلت فيها ، والقدرة على استيعابها ضمن مسارها

(١) سيميائية الأهواء : ٢١٣.

(٢) ينظر : سيمياء العواطف في قصيدة "أراك عصيّ الدّمع" لأبي فراس الحمداني : ١٧.

(٣) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٩ ، ينظر : الاتجاهات السيميوطيقية – التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية – ، د. جميل حمداوي : ٧٢.

التوليدي[١] ، والعمل على تأويل تلك الدلالات ، عبر تحولاتها المختلفة ، بما يتناسب مع المعنى الوارد في النص فعملت سيمياء العواطف على إكمال النقص الذي تركته سيمياء العمل، لأن ((سيميائية العمل بتركيزها على مفاهيم الحالة والعامل والتحويل كونها شروطاً لقيام التركيب، تكون قد أغفلت إمكانات مفهوم الحالة الذي أفرغته من طاقاته الحيوية ، فالحالة قد تشكل في المقابل بالنسبة إلى الذات الفاعلة بداية أو نهاية للفعل ،فهناك مثلا (حالة الأشياء) العالم التي يتم تحويلها بواسطة الذات ، وهناك (الحالة النفسية) للذات المؤهلة في انتظار الفعل ، يؤشر هذا الحديث على إمكان فك لغز الانتقال من حالة إلى أخرى في سيمياء العمل بالاعتماد على توسيط (الجسد المدرك) بين الذات والعالم))[٢] ، مما يعني أن سيمياء العمل ركزت عملها على عامل الذات والموضوع بعيداً عن الظروف الخارجية التي تحيط بالنص ، معتمدةً في ذلك على الدراسة البنيوية التي تحاكي النص بعيداً عن بيئته ، في حين عملت سيمياء العواطف على الذات والعوامل الخارجية ، التي تترك أثرها في الذات في أثناء الفعل ، أو قبل وقوعه ، لأن عامل الذات يخضع لبعد استهوائي في إنجاز فعله ، مرتبط بالعالم الخارجي ، الذي يُعدُّ عاملاً مؤثراً ومساعداً للذات في تحقيق موضوعها وإنجازه [٣] ، وقد صب غريماس جهده واهتمامه على ألفاظ البنى العميقة، وهو تركيز واهتمام بالمعنى الخفي ، فينظر إليه من حيث هو مجموعة من الأحداث المترابطة والمتوالية بالحالات والتحولات فيما بينها ، فمحوره الذي يدور حوله هو الكيفية التي خرج فيها النص ، أي عملية أنتاج المعنى ، والبحث عن الشروط

---

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٢٢.

(٢) سيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة أبيستمولوجية) ، محمد بادي : ٣٠٣ . (بحث)

(٣) ينظر: السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة – دراسة في ثلاثية " حكاية بحار لحنا مينه" ، جريوي آسيا:٢٠. (أطروحة دكتوراه)

الداخلية التي تتحكم بالدلالة[١]،لأن المرونة التي تتمتع بها اللّغة، يمكن أن تمنح المتكلّم مساحة أوسع في تنويع مستويات الخطاب بحسب المقاصد ومقامات القول، وما يساعد في ذلك أن اللّغة رابط مشترك بين المتخاطبين بها، في إبلاغ رسائلهم وتأويلها، متجاوزين في ذلك التنظيم الداخلي لها، إلى آخر خارجي متجاوزاً لقيد البنية اللغوية، يقوم على قواعد الخطاب ومبدأ التعاون، غير أنّه لا يقصي البنية اللّغوية بل يبقى موجّها لها ومؤثراً فيها[٢]، وهذا يعنى وجود تصور جديد يقتضي الاقتراب من المسائل الدلالية ، من أجل استيعاب الاختلافات التي تنتج عن المعنى ، بغض النظر عن طبيعة البنية التي تُدرك عن طريقها تلك الدلالة، لكن يجب تسجيل حضور لعنصرين تربط بينهما علاقة ما بطريقة أو بأخرى ، تؤسس للسيمات التي يقوم عليها المعنى بعلاقاتها الانفصالية أو الاتصالية [٣]، ولهذا تميزت دراسة غريماس بالعلمية والإجرائية ، فضلاً عن التنظيمية في سبيل الوصول إلى المعنى ؛ لأنها تبين بوضوح الجدل القائم بين البنيات المكونة للنص ، والتي تفاعلت فيما بينها لإنتاج المعنى ، في مختلف النصوص وهو الهدف المنشود[٤] ، وهذا يعني أن نقدم الخطابات – على اختلاف أنواعها – بوصفها بنية جدليةً ، والوصول معها إلى كلية النص ، واستنطاق المعنى المراد.

---

(١) ينظر : السردية ومستويات التحليل السيميائي للنصوص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجاً) ، د. عقاق قادة : ٥-٧ .

(٢) ينظر : الاقتضاء في التداول اللساني، د. عادل فاخوري : ١٤١. (بحث)

(٣) ينظر : مقدمة في السيميائية السردية : ١٠.

(٤) ينظر : سوسيولوجيا النص – تاريخ المنهج وإجراءاته ، نعيمة بو لكعيبات : ٢٦. (رسالة ماجستير)

المبحث الأَوّل

سيمولوجيا العنوان

إن تمفصل الوحدات الدالة في الخطاب من الوحدات السيميائية التي يعتمد عليها ، فتمثل في واقعها جوهر السيرورة السيميائية ، عبر نظام تواصلي متنوع ، يحقق النزعة الاجتماعية للإنسان ، ويشكل الموضوع الفعلي ، وهو الوسيلة الجوهرية التي يستخدمها البشر بوصفهم مكلفين ومتكلمين ، والعنصر المميز الذي يكّون هذا النظام هو العلاقة القائمة بين هذه الوحدات بالنظر إلى طبيعتها الدلالية والإبلاغية فـ ((تناول معطيات البنية العميقة المستثمرة كل الأنظمة الدالة المنطوي عليها النتاج الإبداعي ، مقتفياً أثر كل العلامات السيميائية الموظفة فيه لاستكناه المعاني المسكوت عنها ، سواء أكانت هذه العلامات لغوية أم غير لغوية))[1]، يسهم في أن تستمد المعاني في السياق الحالي والسياق اللغوي الذي تنتظم فيه المفردات واستنطاق المظاهر التي يوفرها النص من السابق واللاحق والمتناقض والمتشاكل والمتناص وغيرها من المظاهر الأخرى و التي يتم عبرها التوافق بين المحمولات الدلالية والمعطيات المسجلة في الخطاب ، ومن بين تلك الوحدات التي تنطوي في الخطاب العنوان الذي يأخذ أهمية – ولا سيما – في النصوص النثرية ويؤكد جون كوهن:((أن كل خطاب نثري علمياً كان أم أدبياً يتوفر دائماً على عنوان ، في حين أن الشعر يقبل الاستغناء عنه ، على الرغم من أننا نضطر إلى اعتبار الكلمات

(١) كيفية تحليل البنية العميقة للنص الأدبي في ضوء المنهج السيميائي ، بو معزة رابح : ٣٨٥.(بحث)

الأولى في القصيدة عنواناً ، وهذا ليس إهمالاً ولا تأنقاً))[1]، لذا يعد العنوان من الممارسات الإجرائية التي حظيت بأهمية كبيرة داخل النظرية السيميائية ؛ وذلك لأنّ دلالته ترتبط بالنص بوصفها علامة تترك أثراً ، فيتداخل في تأليفها عنصران متضافران، الأول: المعنى الحرفي الذي تقدمه الألفاظ للعنوان، والثاني: السياق الثقافي والاجتماعي العام الذي يحيط بالنص ويغلفه من جوانبه المختلفة[2]، فالعنوان بمثابة إقامة عقد أدبي ما بين المؤلف والكتابة من جانب ، وعقد قرائي ما بين المؤلف و جمهوره وقرائه من جانب آخر[3]، لذا فإن العلاقة التي تربط بين العنوان والنص علاقة جدلية ،((فبدون النص يكون العنوان وحده عاجزاً عن تكوين محيطه الدّلالي ، فهو عتبة دلالية توجّه المتلقي إلى استكناه مضامينه ، وتفكيك شفراته ، واستكناه محمولاته الدّلالية بما يعطيه من انطباع أوليّ عن المتن ، وبما يمارسه من غواية وإغراءٍ للمتلقي ، فهو أول مثير سيميائي في النص))[4] ، ولكن يجب إن نشير إلى نقطة مهمة وهي أنه ليس بالضرورة أن يكشف العنوان عن تلك الأعماق المتراكمة في داخل النص ، فلا يكون العنوان مفتاحاً لفك تلك الأغوار ، إنّما قد يصدم المتلقي بما هو نقيض ذلك ، فتكون هناك علامة فارقة ما بين العنوان والمادة التي يتكون منها النص ، وبالنتيجة لا يكون العنوان ذلك المفتاح الذي يفتح الباب

(١) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ، محمد العمري : ١٦١.

(٢) ينظر : الخطاب الروائي في الكويت، أنماط العنونة ومستويات الصوت السردي، مرسل فالح العجمي:١٤. (بحث)

(٣) ينظر : عتبات من النص إلى المناص ، جيرار جينيت ، ترجمة : عبد الخالق بلعابد : ٧١.

(٤) سيميائية العنوان في ديوان شظايا ورماد للشاعرة نازك الملائكة ، د. لطيف يونس حمادي الطائي : ١٤٦. (بحث)

على مصراعيه أمام المتلقي ، إنّما يعتمد على تلك البنيات السطحية التي تخبئ خلفها بنيات عميقة تساعده على فك رموز النص وسبر أغواره .

ويمكن لنا دراسة سيمولوجيا عناوين أدعية الصَّحيفة السجّادية[١]، وقد تفاوتت نسخ الصَّحيفة السجّادية ، كما تفاوتت عدد الأدعية في تلك النسخ ، حتى وصل الأمر إلى وضع أسماء الأدعية كما يُلحظ ذلك في بداية قسم من الأدعية كلمة (دعاؤه)[٢] ، فأحياناً يستعصي الوصول إلى المعنى الكلي للخطاب ، فتدل أجزاؤه عليه ، وأحياناً تختلف تلك الأجزاء عن المعنى الكلي ، فنكون بحاجة إلى إثبات أشكاله وصوره وعناصره عبر التحققات التي تتولد من الوحدات البنائية المختلفة ، وهذا ما يتطلب استخراج الوحدات من بين النسيج المكون لها ، وتقطيعه إلى وحدات دلالية صغرى تكشف البنى العميقة في النص و على النحو الآتي :

١ – دلالة العنوان

يكشف البحث في الدلالات المختلفة عن تلك البنية العميقة المترسبة بين طبقات النص ، عبر تأويلها واستنطاقها وتفكيك البنى الداخلية المكونة لها ، فوحدة العنوان تمثل مفتاحاً أساساً في استكناه النصّ الأدبي ومقاربته في بنياته الدلالية والرمزية وإضاءة ما غمض منه[٣]، فالوحدات الدلالية التي انتظمت بها دلالة عناوين أدعية الصَّحيفة السجّادية تمثلت بذلك المسند إليه في مهمة الكشف عن الأفكار

(١) مع الإشارة إلى إن عنوان (الصَّحيفة السجّادية) قد درس من قبل الباحث عمار حسن عبد الزهرة تحت عنوان (الصَّحيفة السجّادية الكاملة – مقاربة سيميائية –) : ٩ . (بحث)

(٢) ينظر : النص والخطاب في الصَّحيفة السجّادية ، د. محمد كريم الكوّاز: ٢٨– ٢٩.

(٣) ينظر : سيميوطيقا العنوان : ٨.

الواردة في الأدعية ؛ لأن ((نص الصَّحيفة عسير على عامة الناس ، وبالناس حاجة إلى التفصيل بكشف الدقائق ، وشرح الأفكار ، وبهم حاجة أخرى إلى التعرف على الدلالات العميقة بالحفر في طبقات النص ، وتأويل علاماته ، بإرجاعها إلى المهاد الفكري الذي أولدها))[1]، وهذا الكشف يبدأ من العتبة الأولى الحاملة لدلالات النص المضمونية ، والتي ترتكز على اللفظة الحاملة لتلك الدلالات ، فتبنى ألفاظ الأدعية على المعرفة لا التنكير ، ولكن في البدء يجب أن نشير إلى عناوين أدعية الصَّحيفة السجّادية بصورة عامة و المتمثلة بانطلاقها عبر مسارات كبرى ، تبدأ من عنوان دعاء الحمد والثناء لله عز وجل ، والصلاة على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحملة العرش ، وإتباع الرسل ، مروراً بالأدعية التي تتناول موضوعات في جوانب الحياة مختلفة ، سواء أكان على الصعيد الفردي أم على الصعيد الجمعي، وصولاً إلى التعقيبات و التسبيحات والتي تمثل المحطة الأخيرة في مراحل الدعاء المفرد ، فمثلت الأدعية محطة كاملة من محطات أي دعاء ينطلق فيه العبد ، بذكر الخالق وحمده ، والصلاة على رسوله والملائكة باختلاف أصنافهم، وما يعالجه الدعاء من مشكلات ترتبط بحياة الفرد ، انتهاءً بالتعقيب ، وهذا يعطي دلالة على مدى الانسجام والتلاؤم والترابط ما بين الأدعية ، فَمثَّل كل دعاء حلقة بدأت من نقطة معينة حددها الإمام (عليه السلام) حتى اكتملت فارتبطت بحلقة أخرى وهكذا انتظمت أدعية الصَّحيفة السجّادية في نسقٍ متسلسلٍ في حلقاته مع تعدد العناوين وشمولها الواسع لموضوعات متعددة.

أمَّا إذا أردنا أن ننتقل إلى التفصيلات الدقيقة التي تخص دلالة المفردة في عناوين الأدعية فإننا سوف نوضح المفردات التي هي بحاجة إلى الإفصاح عن بنيتها العميقة ، والتي ترتبط مع المعنى العام لمضمون الدعاء ، ونأخذها بضمن

(١) النص والخطاب في الصَّحيفة السجّادية : ١٦.

عواطفها التي تجمعها ضمن العاطفة نفسها ، والأدعية الحاملة للمفردة نفسها ، وإن كانت متأخرة عنها في التسلسل، ونقسمها بحسب نوع العاطفة في الصَّحيفة السجّادية، من ذلك عناوين أدعية الإمام (عليه السلام) في (الصلاة على الرسول[١] ، الصلاة على حملة العرش[٢] ، الصلاة على إتباع الرسل ومصدقيهم[٣] ، الصلاة على آدم (ع)[٤]) ، إذْ يراد بمفردة (الصَّلاةُ) : الرُّكوعُ والسُّجودُ ، والجمع صلوات ، فالصَّلاة من الله الرحمة اللائقة به ، ومن الملائكة دعاءٌ واستغفار ، ومن البشر دعاء بعضهم لبعض ، ومن الطَّير والهوامِّ التسبيح[٥]، ففي جميع معانيها تخرج إلى الرحمة و العطف المحسوس والمعقول ، فمعنى الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تعظيمه في الحياة الدنيا ورفع منزلته ، عبر إعلاء كلمته ، والسير على شريعته ، وفي معنى الصلاة على حملة العرش ، إذْ استأنف الدعاء ((**اللّهُمَّ وَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ** ...)) عبر حرف (الواو) في مواصلة للدعاء السابق ، فجعل الصلاة تشمل فئة الملائكة من حملة العرش أيضاً ، وينطبق هذا مع دعائه (عليه السلام) المعنون بـ(الصلاة على إتباع الرسل ومصدقيهم) ممن اقتدى بالرسل في كل ما يأتون ، ومصدقيهم فكل تابع هناك مصدق له وبالنقيض ، وكذلك (دعاؤه في الصلاة على آدم (ع)) فطابق العنوان الدلالات الواردة في الدعاء بالحديث عن نبي الله آدم (عليه السلام) ، وهذه الأدعية تنتمي في سياقها الدلالي وانسجامها العنواني إلى عاطفة الحب وعاطفة التعلق والرغبة.

---

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة ، تقديم : سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر: ٢٥ – ٢٨.

(٢) م ، ن : ٢٨– ٣٢.

(٣) م ، ن : ٣٣ – ٣٦.

(٤) م ، ن: ٢٦٩– ٢٧٠.

(٥) ينظر : لسان العرب : ١٤/ ٤٦٤، مادة (صلا).

كذلك نجد في عنوان الدعاء الأول ما يشير إلى اكتنازه بعاطفة الحب ، فضلاً عن دلالته الداخلية ، فـ(الحمد لله والثناء عليه)[١] ، تمثل فكرة تتجول في الفكر والشعور الإنساني ، لتعيش في مواقع الحمد في صفاته ، في أسمائه ، في ذاته ، مما تسمح بانفتاح المعرفة أمام الإنسان ، وبروز الوعي في الإيمان ، والالتزام بالطاعة ، وتجسيدها محبة ، وتصويرها أفعالاً ، في الحمد والشكر لله وحده ، والتناغم والانسجام ما بين العنوان وألفاظ الدعاء ودلالاته الداخلية التي انقسمت في الجزء الأول منه إلى الحديث عن صفاته ومعاني جماله وجلاله التي لا تدرك ، وفي الجزء الثاني تناول قضية الحمد في خلق الإنسان وهذا كان مثالاً على إبداعه واختراعه ، وإكمال الحمد في الجزء الثالث لأنه نعمة يجب إن يدركها الإنسان ، ليشعر بسموها الروحي في الحاجة لله عز وجل ولا حاجة به لغيره ، مما يقربه إلى الله ، ويختزنه عبر حبه له ، وخوفه منه ، ورغبته إليه ، وخشوعه وخضوعه له ، ليكون وسيلةً وطريقاً يسلكه إلى رضوانه وجنته ، وهذا يظهر مدى انسجام عنوان الدعاء مع مضمونه ودلالاته ، التي جاءت تعبيراً عن ذلك الحمد والثناء للذات الإلهية.

ومن العناوين التي حملت دلالاتها عاطفة الحب (مناجاة المحبين)[٢]، التي جاءت متناسقة مع مجموع دلالات المضمون ، لتمنح المتلقي أُنموذجاً في الحب الإلهي ، فالحب ليس مجرد تأمل أو أحساس ، إنما سلوك حياتي إيماني ينطلق من القلب ليتجلى في الجوارح ، ويستقر بالقرب من الذات الإلهية ، بما ((يفصح عن تحقق الحب في صدور المحبين ، أي أنه واقع فعلاً (موجود) عزز ذلك التصور

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ١٩– ٢٥.

(٢) م ، ن : ٣١٢ – ٣١٤.

هيمنة الأفعال الماضية في أبنية النص))[١] ، مما يكسب الإنسان القوة والشجاعة في مواجهة البلايا والمصائب ويصل فيه إلى مستوى الاستقرار والاطمئنان ، مما يرتسم أمام الذات الإنسانية أمل لا يقهر في مواقف الشدة ؛ لأنه الله (عز وجل) اصطفاه لقربه وولايته ، وأخلصه لوده ومحبته.

أمّا عناوين الأدعية التي جاءت في عاطفة الكره فإنها أقل من العناوين التي جاءت في عاطفة الحب ، وهي واضحة المعاني ، ولسنا بحاجة إلى بحث دلالاتها وارتباطها مع مضمون ودلالات الدعاء ، ومن ذلك دعاء الإمام (عليه السلام) (في الاستعاذة من المكاره)[٢] ، ودعاؤه (إذا ذكر الشيطان)[٣].

وأمَّا عناوين الأدعية التي وردت ضمن عاطفة الرحمة فإنها تعددت تبعاً لتعدد عناوينها ، فضلاً عن أن بعض الأدعية لم تحمل عناوينها هذه العاطفة إلاَّ أن القارئ يجدها قد تغلغلت فيها، فاتصل كل ما يدور في محور الرحمة من مفاهيم في داخل هذه العاطفة ، ومن عناوين أدعية عاطفة الرحمة دعاء الإمام (عليه السلام) (في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله جلّ جلاله)[٤] ، إذ حملت كلمة (الاشتياق) معنى الانفتاح الروحي والعاطفي على الرغبة المتضمنة للبوح بتلك المحاولة التي تبحث فيها الذات الإنسانية عن طريق الاتصال بالذات الإلهية ، في موضع الطلب، ومنح المغفرة ، عبر اللطف والرأفة الإلهية ، وتحويل الغضب إلى رضا ، والعقوبة

---

(١) المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين – دراسة أسلوبية– ، د. إدريس طارق حسين : ١١٢.

(٢) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٤٨

(٣) م ، ن : ٧٨

(٤) م ، ن: ٥٠ –٥٢ .

إلى عفوٍ ومحبةٍ ، فتطابقت مادة الدعاء مع عنوانه في تصوير حالة الاشتياق وتجسيدها في عمق الذات .

وفي الدعاء الذي عنوانه (في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى)[١] ، تتعانق هذه المفردات مع مضمون الدعاء لتفصح عن مراحل تفصيلية يمرّ بها الإنسان ، وهو في موضع المعترف بذنوبه ، الباحث عن مغفرة الله ، فتتعلق كلمة الاعتراف بالعمق النفسي ، الذي يختزن الإنسان فيه إسراره المخفية ، مع أن الله عالم بالخفايا والأسرار ، فلا يسبب ذلك الاعتراف أي حرج للإنسان ، ومن أجل التخلص من حجم هذا الثقل لا يجد سبيلاً سوى الوقوف معترفاً ومُقرّاً بالذنوب كله والتي تعيق الوصول إلى الخالق ، فانفتاح النفس الإنسانية وانشراحها في ذلك الاعتراف يتطلب منها الانتقال إلى طلب التوبة ، في سبيل تحقيق التغيير ، والسمو بالنفس في مدارج الكمال ، وما يُلحظ في مضمون الدعاء أنه قد انقسم على قسمين الأول : جاء في مراحل ذلك الاعتراف والتقصير الذي خرج منه ، من التباطؤ في تنفيذ الأوامر ، والإسراع إلى النواهي ، وعدم شكر النعم ، ثم فصل في القسم الآخر في طلب التوبة وتأثيرها في العمق الداخلي والعمل بها في الخارج عبر تجاوز الأخطاء ، مما جعل دلالات المضمون تتطابق تطابقاً كلياً مع العنوان ، وكأن العنوان أفصح عن مكنون الدعاء .

وكذلك نجد عاطفة الرحمة متغلغلة في عنوان دعاء الإمام (عليه السلام) (في ذكر التوبة وطلبها)[٢] ، إذْ يترك هذا الذكر في وقعه أثراً في الانفتاح القلبي والروحي على الواقع الذي يعيش فيه الإنسان ، في العودة من الذنب بعد الإحساس الذي يصيبه بعد الوقوع في الخطأ ، وفي هذه الحالة يجب أن تسير التوبة في مسار

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٥٥ –٦٠ .

(٢) م ، ن: ١٣٣ – ١٤١.

ترتيبي طبيعي ، يستطيع عبرها أن يمارس حياته بصورة اعتيادية ، فتكون إرادة الرغبة واعية ، مبنية على الانتصار على نوازع الشر ، في حين إذا سارت التوبة في مسار غير طبيعي أي عندما تأتي في الوقت الضيق من حياة الإنسان ، فسوف تكون مبنية على حتمية الوقت وليست على إرادة الرغبة النقية النابعة من الذات ، فإنها لا تجدي نفعاً ، وفي مضمون الدعاء تفصيلات دقيقة متفرعة في ذكر التوبة ، منها الحديث عن الشعور الداخلي الذي يعيشه التائب وهو في خضم الحديث عن توبته ، ثم هناك تفصيل لعملية الاعتراف بالخطايا ، بأسلوب استعطافي إيحائي في وعي الإنسان ، واعترافه بالذنوب وحصوله على المغفرة والرحمة ، وهناك أيضاً حديث عن الالتزام بالطاعة وتعميقها في النفس وتحريكها بوعي ، ثم يعود الحديث إلى التوبة عبر ذكر الذنوب الكبيرة والصغيرة والظاهرة والباطنة، والقلق والاضطراب الذي يعيشه ، ليكون الطلب عصمة الله له من هذا القلق ، لتتسع التوبة في شمولها لتقف في مخالفة كل ما خرج عن إرادة الله ، وأزال عن محبته ، لتتناغم كلمات الدعاء وتنسجم مع عنوانه في تجسيد تلك التوبة في العمل والحركة ، وتطبيقها من داخل النفس وخارجها.

وتتنوع الموضوعات المطروحة في عنوان دعاء الإمام السجّاد (عليه السلام) (في طلب العفو والرحمة)[1] ، عبر طرح المشكلة المتضمنة في الموضوع وذكر علاجها ، لتتسع تلك الموضوعات بسعة عنوان الدعاء في تحقيق ذلك العفو ، وتتفتح ما بين انفعالات الإنسان الداخلية ، وممارسته في الحياة مع الآخر ، في خضم الآفاق السماوية الواسعة عبر موقع الرحمة والعفو ، فالموضوع الأول ينطلق من السيطرة على غرائز النفس الداخلية وشهواتها وانضباطها عن طريق الابتعاد عن المحارم ، والالتزام بخط التقوى الذي يوصله إلى المسار الصحيح ، وهذا يكون فيه

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ١٦٢ – ١٦٦.

بحاجة إلى عون الله وقوته في تجاوز نقاط الضعف ، ثم ينتقل إلى مسألة الحقوق التي تتشق باتجاهين ، يبحث الأول في حقه عند الآخر الذي سبب له الإساءة ، ليقف بين يدي الله في العفو والمغفرة له ، مما يجعل النفس الإنسانية في هذه النقطة منفتحة بالسمو والصفاء ، عندما لا تريد السوء ولا تضمر الحقد للآخر ، وفي الاتجاه الآخر يبحث فيه عن حق الآخرين عنده ، ممن لحقهم سوء أو وقع عليهم ظلم منه ، فيطلب من الله أن يفيهم حقهم عنه عبر العفو والمغفرة ، ثم نجد الحديث يعود إلى النفس الداخلية التي أثقلتها الخطايا والذنوب ، والرغبة في العودة إلى عفو الله ، وتخليص النفس من المعاصي التي أثقلتها، بما يجعل الروح مشدودة إلى ذلك الأمن والطمأنينة التي تتغلف برحمة الله وعفوه ، وما بين الأمن والطمأنينة والقلق والخوف تعيش الذات ذلك الاضطراب ، وفي هذه النقطة تلجأ إلى الله في جعلها كالذين وقعوا في الخطأ وأخرجهم منه ، وسعدوا وانطلقوا في حياتهم بكل ثقة وأمان ؛ لأن الله جلّ أسمه هو في موقع الربوبية التي تعطي الفضل لكل فرد في الخلق ، وهذا يعني أن الموضوعات ومعالجاتها بدأت من نقطة ثابتة في الارتكاز على السبب والنتيجة ، حتى استوعبت كل ما يوقع الذنب ويجلبه ، فمثلت دورة شاملة في حياة الفرد للوصول إلى محو ذلك الذنب بعاطفة الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء ، فتطابقت دلالات النص مع دلالة العنوان.

وفي عنوان دعاء الإمام (عليه السلام) (في التذلل لله عزّ وجلّ)[1] ، نجد الانفتاح الذاتي في التذلل للذات الإلهية ، الذي يجعل النفس الإنسانية ترتفع في روحها كلما ذُلت أمام الذات الإلهية ، فتبدأ بذلك التذلل في الأحاسيس والمشاعر والكلمات والحركات بطريقة ترفع من روحها إلى مدارج الكمال ؛ لأن الذل أمام الذات الإلهية يعني العز ، وتدور دلالات الدعاء الداخلية حول الذنوب التي تشعر معها

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٢٥٩ – ٢٦٠ .

بانقطاع الكلام ؛ لأن الخالق لم يترك للذات أي حجة في عصيانه والتمرد عليه ، وهذه الذنوب تجعلها تقف موقف البعيد عن طاعة الله ، المتردد في الاعتراف بالخطايا ، لينطلق التسبيح في موقف التعظيم لله عزّ وجل في حال السؤال عن تلك الجرأة التي تجرأت بها الذات ، ليتحول ذلك إلى نوع من الاستعطاف والتذلل للذات الإلهية في منحها الرحمة والمغفرة التي تنجيها من زلة القدم والانحراف عن الخط المستقيم ، فالتذلل في عنوان الدعاء تمثل بتفصيل تلك الذنوب والاعتراف بها والحصول على عاطفة الرحمة التي تنجيها وتخلصها.

وفي دعاء آخر حمل عنوان (في التذلّل)[1] ، إذ تعددت الثنائيات الضدية في هذا الدعاء لتفصح عن تلك الرحمة والمغفرة الإلهية التي تستوعب العلاقة المتمحورة حول إيمان الذات الإنسانية ومدى الارتباط مع الذات الإلهية ، والذي تظهرهُ في ذلك الالتزام ، فتحمل المتقابلات الدلالية ما يوحي معنى الذل أمام عظمة الخالق ، والفرق بين العنوان الأول والثاني أن الأول تحدث عن الذنوب والخطايا التي تفحم الذات وتجاوزها بالسير على الخط المستقيم ، في حين أن العنوان الثاني تحدث عن مفهوم التذلل بطريقة أخرى ، تقوم على إثبات كل لفظة أو صفة تتصف بها الذات الإلهية تضادها لفظة أخرى من صفات الذات الإنسانية ؛ لأن الله هو المولى والإنسان هو العبد.

وفي عنوان (مناجاة الراغبين)[2] نجد الموازنة واردة بين ألفاظ الدعاء ما بين مجيء عاطفة الخوف والخروج منها عبر عاطفة الأمن ، فالخوف من العقوبة يقابله الشعور بالأمن عبر التسلح بالرجاء ، وحسن الثقة بالله ، والاستئناس ببُشرى الغفران والرضوان ، فتتحقق آمال الذات الإنسانية بعواطف الرحمة ولطائف البرِّ ؛ لأن الذات

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٢٧٥ – ٢٧٧ .

(٢) م ، ن : ٣٠١– ٣٠٤ .

المقدسة أهلٌ للمغفرة والرحمة ، فقد مازجت دلالات الدعاء ما بين الرغبة الكامنة في الذات وما بين الرحمة الإلهية المتحققة لها .

وفي مقابل عناوين عاطفة الرحمة التي أخذت مساحة ضمن أدعية الصَّحيفة السجّادية ، فإننا لم نعثر على عنوان ضمن الأدعية يشير إلى عاطفة الظلم.

أمّا الأدعية التي حملت عناوين توحي إلى عاطفة الخوف فإنها جاءت واضحة الدلالات ، ولسنا بحاجة إلى ذكر تفاصيلها ، منها دعاء الإمام (عليه السلام) (إذا اعتدي عليه)[١] ، ودعاؤه (متفزعاً إلى الله)[٢] ، ودعاؤه (في الرهبة)[٣] ، وكذلك دعاؤه (مما يحذره ويخافه)[٤] ، وفي (مناجاة الخائفين)[٥].

ولم نجد عناوين تشير إلى عاطفة الأمن بمعناها العاطفي ، ولكنها جاءت ضمناً في دلالات وألفاظ قسم من الأدعية ، حتى وأن لم تأتِ بمعناها المباشر ، ولعل عنوان دعاء الإمام (عليه السلام) (إذا نظر إلى الهلال)[٦] دليلاً على تغلغل عاطفة الأمن فيه ، وكذلك الأمر ينطبق مع دعائه (إذا دخل شهر رمضان)[٧] ، فإن القارئ يجد أن عاطفة الأمن تغلغلت بين في دلالات الدعاء .

---

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٦٤ .

(٢) م ، ن : ١٢٨.

(٣) م ، ن : ٢٤٨.

(٤) م ، ن : ٢٧٣.

(٥) م ، ن : ٢٩٦.

(٦) م ، ن : ١٧٨.

(٧) م ، ن : ١٨٠ .

٢ – وظيفة العنوان

يساعد تحديد وظيفة العنوان في تفسير المضمون المنضوي في الخطاب ، وبيان مدى انسجام ألفاظه وترابطها؛ لأنها تمثل أنظمة دلالية سيميولوجية حاملة لقيم مختلفة قد تكون اجتماعية أو سياسية أو دينية أو ثقافية أو أخلاقية وغيرها[١] ، وتتعدد وظيفة العنوان تبعاً للمعنى الكامن في سياق النص ويطلق عليها الوظيفة التعيينية ، أو بحسب التفاعلات الموجودة والمستنتجة من القراءة والتأويل الناتجة من إسقاطها على المجتمع وتسمى بالوظيفة الإيديولوجية ، والوظيفة الوصفية والإيحائية التي يراد بها أن العنوان يتحدث عن النص شرحاً وتفسيراً وتأويلاً وتوضيحاً ، والإغرائية التي تعمل على تشويق اهتمام القارئ وإثارته ، فضلاً عن الوظائف التي حددها جاكبسون [٢]، وما نُلحظه في عناوين أدعية الصَّحيفة السجّادية إنها تشير إلى أكثر من جانب ، مع أن المتداول عنها أنها أدعية تخص الثقافة الدينية فحسب، لكن الإمعان في المفردات التي تكونها مادة الأدعية تنقل القارئ إلى عوالم تبيّن مدى الانسجام والاتساق على مستوى بناء النص مع العنوان ، فضلاً عن تناولها جوانب مختلفة تبحث في أهمية حياة الفرد واستقراره وما حوله من أمور تحتاج إلى قانون ينظم تلك الجوانب ، والإجابة عن ذلك القانون تكمن في تلك الألفاظ التي تتضمنها الأدعية ، وعلى أساس تنوع تلك الجوانب نقسم وظائف العنوان بحسب الأنواع الواردة وعلى النحو الآتي :

---

(١) ينظر : سيميوطيقا العنوان : ٢٢.

(٢) ينظر : إشكالية مقاربة النص الموازي وتعدد عتبة العنوان نموذجاً، د. محمد التونسي جكيب : ٥٤٠ –٥٤١ . (بحث) ، وينظر : سيميوطيقا العنوان : ٢٣.

أ – **الوظيفة التعيينية** : تشير لفظتها إلى العلاقة الجامعة ما بين العلامة اللسانية والعالم الطبيعي [١] و تكون متعددة الوظائف تبعاً لتعدد مكامن النص ، وتتكفل بتسمية العمل وتثبيته[٢] وهي عامة شاملة تشترك الأسامي فيها و يفرق بها بين العناوين عبر ملفوظاتها التي تعلن عن فحوى النص[٣]، ونجدها في الدعاء الأول الذي جاء عنوانه باسم (**دعاؤه في التحميد لله والثناء عليه**)[٤]، منسجماً ومتناسقاً مع مضمون الدعاء ، فالألفاظ في مجملها بحثت في جامعيّة الأوصاف الجمالية الكاملة الواجبة والجلالية المشتملة على حكمة وتعظيم للذات الإلهية ، والكمالية المنزه عن النقائص ، واستمرارها وتواصلها في جميع الأزمنة الماضية والحاضرة والمستقبلة، وهذه حقيقة ثابتة وحاضرة في ذهن السامع الذي لا يستطيع أن ينكرها ؛ لأنها مؤيدة بالأدلة والبراهين.

ونجد هذه الوظيفة موجودة أيضاً في عناوين الأدعية الآتية :

١ – دعاؤه في الصلاة على الرسول

٢ – دعاؤه في الصلاة على حملة العرش

٣ – دعاؤه في الصلاة على أتباع الرسل

٤ – دعاؤه لنفسه وأهل ولايته

٥ – دعاؤه عند الصباح والمساء

٦ – دعاؤه في الإعتراف وطلب التوبة

---

(١) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش : ١٥٦.

(٢) ينظر : سيميوطيقا العنوان : ٢٣ ، وينظر: إشكالية مقاربة النص الموازي وتعدد عتبة العنوان نموذجاً : ٥٤٠.

(٣) ينظر : براعة الاستهلال في صناعة العنوان ، محمود الهميسي : ١١١– ١١٢. (بحث)

(٤) ينظر : الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ١٩–٢٠–٢١–٢٢–٢٣–٢٤–٢٥.

٧ – دعاؤه في طلب المغفرة من الله

٨ – دعاؤه بخواتيم الخير

٩ – دعاؤه إذا اعتدي عليه

١٠ – دعاؤه إذا ذكر الشيطان

١١ – دعاؤه إذا سأل الله العافية

فضلاً عن أدعية الأيام ، والمناجيات الخمس عشرة ، وأدعية المناسبات الدينية من مثل دعاء دخول شهر رمضان ودعاء وداع شهر رمضان ، ودعاء عيد الفطر المبارك ، ودعاء عيد الأضحى ، وغيرها من الأدعية التي جاء العنوان فيها منسجماً مع مضمون الدعاء ، مع الإشارة إلى أن العناوين التي جاءت في الصَّحيفة السجّادية مطابقة لمضمون الدعاء ، وقد تحدَّثت عن موضوع كليٍّ واشتملت على مسائل تتفرع عن ذلك الموضوع لتشير إلى الجزئيات المنضوية فيه ؛ لأنها تشكل الموضوع وتعالجه من جوانبه المختلفة[١].

ب – **الوظيفة الإيديولوجية** : ويراد بها الأفكار والأحكام والمعتقدات الخاصة بمجتمع ما ، ويبحث فيها عن القوانين والخصائص والمعاني والأصول الموجودة في تلك الأفكار[٢] والبحث عن التفاعلات الموجودة والمستنتجة من القراءة والتأويل الناتجة من إسقاطها على المجتمع[٣] وقد وردت الوظيفة الإيديولوجية في عناوين أدعية الصَّحيفة السجّادية إذ ضمت أكثر من جانب ، مع أن العنوان واحدٌ إلاَّ أن التناول كان يدور حول مفاصل متعددة في الموضوع ، فمثلاً في عنوان دعاء (أهل

---

(١) ينظر : الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٩٦ – ١٣١– ١٢٠ .

(٢) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ٥٨ ، وينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس : ٧٠.

(٣) ينظر : إشكالية مقاربة النص الموازي وتعدد عتبة العنوان نموذجاً: ٥٤١ ، وينظر : سيميوطيقا العنوان : ٢٣.

الثغور)[1] نجد الدعاء يبحث عن مقاربة في ترجيح كفة الحق والعدل مع المسلمين على حساب الأقوام الأخرى ؛ لأنهم أمة الإسلام والمسلمين ، فيرتبط العنوان في علاقة إيديولوجية مع المفاهيم المنضوية في ألفاظ الدعاء ، فيرد فيه الجانب التطبيقي العسكري المتمثل في تحصين بيوت المسلمين وتجهيزهم بالسلاح في حالة الحرب عبر أسلوب الدعاء المتمثل بتوفر القوة والتمكين لهم ، وزرع الخوف والقلق عند الأقوام الأخرى ، والجانب المعنوي المرتبط بحيازتهم العلم والمعرفة ، وجانب ديني يبحث في الابتعاد عن ملذات الدنيا والنظر إلى جنة الآخرة ، فضلاً عن الحديث في الجانب الاجتماعي المرتبط بعملية تكاثر الأفراد ونسلهم ، فكثرة الموضوعات تحت عنوان واحد إنما يفتح أمام القارئ آفاقاً في تفكيك هذه البنى واستكشاف المعالم الداخلية التي تضمها ، فلم يختزل العنوان المحتوى ، إنما عمل على توليد الرغبة في الاطلاع وكشف الطريق في معرفة الموضوعات التي يضمها الدعاء.

وأيضاً نجد الوظيفة الإيديولوجية في دعاء الإمام السجّاد (عليه السلام) المعنون بـ(دعاؤه في المعونة على قضاء الدين)[2] ، إذ انقسم الدعاء على أربعة أقسام ، تحدث القسم الأول : عن العافية وما يخرج عن وجودها ، فكانت بمثابة مقدمة للموضوع الأساس ؛ لأن موضوع الّدين يشغل الفكر ويجلب الهم للنفس الإنسانية ، مما يخلق القلق والاضطراب ، فيسيطر على الذهن ويتشعب في الفكر، وتحدث القسم الثاني : عن عنوان الدعاء فطابقه من حيث المضمون والدلالة عبر الاستعاذة من همِّ الدَّين وذلَّته ، وفي القسم الثالث: ذكر جانب الاقتصاد وعدم الإسراف وحسن التقدير ، وفي القسم الرابع ذكر عاطفة المحبة التي تتجلى في الروح أثر صحبة الفقراء عبر الحب الذي ينغرس من تلك المصاحبة ، فالأقسام كلها تدور

(١) ينظر : الصحيفة السجادية الكاملة : ١٢٠-١٢٧.

(٢) م ، ن : ١٣١ -١٣٢-١٣٣.

في دائرة كيفية تنظيم أدارة الأموال التي تساعد في قرار الانفصال وعدم الانفصال بين الموضوع والذات ؛ لأن التعلق فيها مرهون إلى كينونة النفع التي تتحكم فيها مجموعة من الأحكام الأخلاقية المنتمية إلى سيمولوجيا اجتماعية تحاول الإمساك بالأدوار الاستقلالية ، ولكنها خرجت إلى موضوعات فرعية تكاد تستقل بنفسها ؛ لأنها تمثل موضوعاً قائماً بنفسه ، فالاقتصاد الذي يكون بخلاً في بعض الثقافات يكون ادخاراً واقتصاداً في ثقافات أخرى ، وهو من الموضوعات التي تشكل أهمية في بناء طبقات المجتمع ، وكذلك صحبة الفقراء التي تمنح هؤلاء حياةً وقيمةً من حيث أنهم يمثلون جزءاً من بنية المجتمع ، فضلاً عن ذلك فإن صحبتهم بمثابة رياضة للنفس وتحليتها بالتذلل والتواضع ، والتأسي بالقناعة وصيانتها عن الانهماك في الملذات والشهوات ، وبالنتيجة تحقيق برنامج اقتصادي عبر أثر معنوي وأهلية ثابتة في كينونة الذات التي عملت على بناء برنامج متكامل منتج من أجل الاستعمال والتطبيق والتحول والمنفعة.

كما نجد الوظيفة الإيديولوجية في عنوان الدعاء المعروف بـ(دعاء يوم عرفة)[1] ، الذي يتضمن أكثر من جانب فضلاً عن الدعاء المحكي عن يوم عرفة ، فانطلاق الدعاء يبتدئ من جملة (الحمد لله ربِّ العالمينَ) ، فيتابع الوصف للذات الإلهية عبر محطات تجد في كل محطة منها وصف قائم بنفسه ، فالجلال والإكرام لأنه أهلٌ لأن يعظّم وينزه عما لا يليق به ، فهو ربِّ الأرباب ، وإله كُلِّ مألوه ، وخالق كُلِّ مخلوق ، و وراث كُلِّ شيء ، ليس كمثله شيء ، ويأخذ الوصف للذات المقدسة مساحة واسعة ضمن الدعاء ، ليشكل موضوعاً دلالياً كاملاً شاملاً لموضوعات مرتبطة بالخالق في معاني مختلفة منها: في (الحمد ، الشكر، التنزيه ، العدل ، الإبداع ، الصنع ، الحكمة ، العرش ، العزم وغيرها) ، و يمكن لنا أن

(١) ينظر : الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٢٠٦-٢٣٣.

نجعله بداية لتكريم هذا اليوم بالتوجه عبر الحمد والشكر والتعظيم والتكريم لله وحده ، كذلك يمكن أن نجعله نصاً مستقلاً لأنه كاملاً في مبناه ومعناه لا يحتاج إلى إضافات ، ثم ننتقل إلى محطة أخرى تضمنت الحديث عن النبي وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، عبر جملة (رَبِّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ المُنْتَجَب المُصْطفى...) التي سبقت اللاحق من الكلام الذي دار حول النبي وآله الأطهار (عليهم السلام)، إذ حذف حرف النداء (يا) من أوّل الجملة ، وكرر جملة (آل محمد) ولم يقل (آله) تبركاً بذكر أسمه مرة أخرى ، وكذلك استلذاذاً له وبسطاً للكلام ؛ لأن الإصغاء مطلوب مع تضمنه مزيد من التعظيم والتكريم لشأن المضاف[1]، فهو من جهة شرف نسبه وطهارة أصله ، ومن جهة إفاضة الكمال عليه دون سائر الخلق ، وإكرامه بالرسالة، وتخصيص العناية الإلهية بذلك ، والملاحظ أن هذه الجملة قد تكررت لسبعة مرات في النص ، وفي كل تكرار تجد نوع الصلاة في معناها مختلفة ، فمرة لا تكون هناك صلاة أزيد منها فهي دائمة ومستمرة ، ومرة تكون أتم الصلوات غير متناهية ، ومرة تتجاوز حدّ الرضا ، ومرة تجمع وتزيد على جميع صلوات الأنبياء والملائكة والعباد ، ومرة تكون الصلاة كالهالة المحيطة حول الشيء من كل جوانبه.

ثم ننتقل إلى محطة أخرى يتضمنها عنوان الدعاء وهو الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) في المقطع الآتي: ((**رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِيْنِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ الْوَسِيْلَةَ إِلَيْكَ**

(١) ينظر : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) ، العلامة السيد علي خان المدني : ٦/ ٣٥٩.

وَالْمَسْلَكَ إلَى جَنَّتِكَ...))[1]، وفي هذا المقطع أفصح عن جهات استحقاق الصلاة على أهل البيت (عليهم السلام) عبر أوصاف ثابتة فيهم من المرحلة الأولى المتمثلة في اختيارهم للقيام بأمر الدين وهداية الخلق ، وجعلهم خزنة العلم وحفظته ، والخلفاء في أرضه ، والحجة على العباد ، وتطهيرهم من الرجس والدنس ، والوسيلة إلى الشيء المرغوب فيه ، والسبيل إلى جنة الرحمن ، ثم يكون التركيز على الإمام المؤيد المختار بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى قيام الساعة ، وهو الإمام الذي نصبه الله علماً لعباده ، ومناراً في بلاده ، ويستمر الدعاء بمنح الولي الحجّة الظاهرة ، والعز ، والنصر ، ((وأحفظه بحياطتك ومراقبتك)) ، ثم إبانة الأحكام والشرائع والسنة النبوية وإحيائها بعدما أهملت ونبذت ، ويأخذ هذا الكلام مساحة من النص حتى ينتقل إلى عنوان الدعاء والحديث عن يوم عرفة وما له من كرامة وشرف عظيم تنتشر فيه الرحمة والمغفرة ؛ لأنه من الأيام المباركة ، فعنوان الدعاء قد ضم بين طياته أكثر من محطة و لم يكن الحديث مختصاً بهذا اليوم فحسب ، مما يعني تنوع الدلالة العميقة ما بين العنوان والمادة ، فالعنوان لم يشر إلى يوم عرفة فحسب ، إنما جاء متنوعاً مكتنزاً لأكثر من موضوع .

والعنوان في الصَّحيفة يدل على ما موجود في النص فضلاً عن تفصيلات أخرى ، فيكون النص متنوعاً جامعاً شاملاً لموضوعات عدة ، أي إن العنوان موضوعاتي في بعض الأحيان، يعالجه الإمام (عليه السلام) في النص الواحد ، محاولاً بث أكبر قدر من المعلومات في سبيل تحقيق الفائدة ، فكل دلالات عناوين أدعية الصَّحيفة السجّادية موازية للنص بعيدة عن العناوين التقريرية، ولعل سائل يقول أنها واضحة جداً ، نعم نقول أنها واضحة للعيان ولكن عند الغور في سبر نصوصها يجدها القارئ متنوعة لأكثر من موضوع وعاطفة ، فمثلاً تجد في النص

(١) الصَّحيفة السجّادية الكاملة : ٢١٤.

الواحد عاطفة الرحمة والحب والخوف والأمن ، وهذا دليل على تلك السعة التي تمنحها عناوين أدعية الصَّحيفة لنصوصها ولمتلقيها في إنتاج الدلالة وتأويلها ، وانزياح الدال لأكثر من مدلول ، فضلاً عن ذلك فإن التدرج في ترتيب عناوين الأدعية كان يسير على وفقِ نسقٍ واحد ، بدأ من النسق الديني الذي يتعلق بالتوحيد والعدل والميعاد ، والصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والرسل وإتباعهم ، و النسق الاجتماعي من الدعاء للأهل من الوالدين والأبناء والصاحب والجار ، والنسق الاقتصادي المتعلق بكيفية تنظيم العبد لأموره ، فضلاً عن نسق المناسبات الدينية ، ونسق العبادات وغيرها.

المبحث الثاني

المربع السيميائي (النموذج التأسيسي)

يقوم هذا النموذج على علاقاتٍ بارزةٍ في تمفصلاتٍ دالة ، تساعد على فهم المعنى الكامن في البنى الداخلية وإدراكه ، التي تنتظم على وفق عدد من العمليات المنطقية ، ويمكن تسميته بالتمثيل البصري أو المرئي لعلاقات منطقية في المقولة السيميائية لأية بنية ، قصد إنتاج الدلالات التي يعرضها النص على القراء ، على أساس قواعد التحول من الدلالي إلى التركيبي (من العلاقات إلى العمليات) ، ودخول ذات الخطاب التي يرتكز عليها تجسيد القيم أساساً في الانتقال ، وتحديد المستوى الإيديولوجي تبعاً لها ، وكشف نوعية تحققه للبنية الدلالية[١] ، لذا يجب((أن نتعامل مع الخطاب بوصفه تسلسلاً للملفوظات ، يجب القول إن الخطاب، باعتباره كلاً دالاً ، يمثل أمامنا على شكل تأليف تام يتحلل بعد ذلك تدريجيا، لينفجر في النهاية على شكل ملفوظات خاصة))[٢]، في بعدها الدلالي والمنطقي ، عن طريق إدراك تجلي العلاقات المتداخلة فيما بينها في الخطاب الواحد ، ودمجها مع العمليات القائمة على تمثيل تلك العلاقات.

ولهذا فقد عُدَّ التحليل الغريماسي للنصوص((من حيث أنتاجه للمربّع السيميائي، يؤدي بسهولة إلى الاختزاليّة والبرنامجيّة في فكّ التشفير))[٣]، وهذا يعني

---

(١) ينظر : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، رشيد بن مالك : ٢٣.

(٢) السيميائيات السردية – مدخل نظري– : ٥٠

(٣) أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة : د.طلال وهبه ، مراجعة ، د. ميشال زكريا : ١٩٠.

أن التركيبة بمجملها يمكن أن تولد كثير من المواقع الناتجة عن تقابل ثنائي أولي، سواء أكان هذا التقابل تدريجي أم غير تدريجي ، مما يُعطي احتمالية دلالية داخل المنظومة السيميائية بمفاهيمها المزدوجة ، تفوق المنطق المزدوج[١]، وهذا يساعد على فتح الآفاق للوصول إلى السمات الدلالية ، والغاية من استعمال هذا المربع لا تكمن في وضع نص داخل المربع ، بل ليُمَكِّن الباحث السيميائي من الوصف والولوج في حيثيات الخطاب ، والبحث عن الدلالة ، بعدّه نظاماً دلالياً في تجانسه وطابعه[٢] ، فنتمكن من تحديد المقابلات والعلاقات الملائمة لمعنى الخطاب عبر ربط القيم الأولية المستنبطة من النظام الدلالي ، والموزعة في علاقات (التضاد ، التضمين ، التناقض)، التي تحدد قيمتها عن طريق هذه العلاقات ، فضلاً عن تمفصل قيم العمليات، التي تتحول بموجبها القيم من مرحلة إلى مرحلة يتم فيها تحديد آثار المعاني عبر تناسب كل علاقة لنموذج تصنيفي عملي ، فمثلاً ما يناسب علاقة التناقض عملية النفي التي تكفل لنا الانتقال من (س١) إلى (س٢) ، وتتمثل في نفي (س١) وإبراز النقيض (س٢)، وما يناسب علاقة التضمين عملية الانتقاء التي تنتقل من (س١) إلى (س٢) ، متمثلة في إبراز المضاد (س٢) وهكذا ، وفي هذه الحالة يعمل المربع على ترتيب القيم وتمثيلها[٣] ، فتمثيل اللفظة في مكونات الخطاب يوجد الضد والنقيض لها – من دون شك – ، حتى وإن لم يصرح بها الباث، ولكن إذا وجد ما يؤيد وجودها بصورة مباشرة سوف نجد ارتباطها أقوى وأغزر، وتمثيلها أبين وأظهر للعيان ، وهذا ينسحب على العواطف الإنسانية من الرحمة والظلم ، والحب والكره ، والخوف والأمن وغيرها من العواطف الأخرى ،

(١) ينظر : أسس السيميائية : ١٨٦.

(٢) ينظر : السيميائية أصولها وقواعدها : ١٢٢.

(٣) ينظر : قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص : ٢٥ –٢٦ –٢٧.

فضلاً عن الامتزاج بين العواطف في النص الواحد سواء أتعددت الموضوعات أم دار الحديث فيه عن موضوعٍ محدد ، ويتشكل المربع السيميائي من علاقة تضاد (أبيض ، أسود) ، وعلاقة التضمين (أبيض ، لا أبيض ، أسود ، لا أسود) ، وعلاقة التناقض ((أبيض) لا أسود ، (أسود) لا أبيض) يتخللهم المحور الدلالي الذي يجمع بين الثنائية ، مثلاً: ثنائية أبيض ، أسود تنتمي إلى محور اللون ، ضمن نموذج ينظم العلاقات ويضم العمليات ونبيّنها في الترسيمة الآتية[1]:

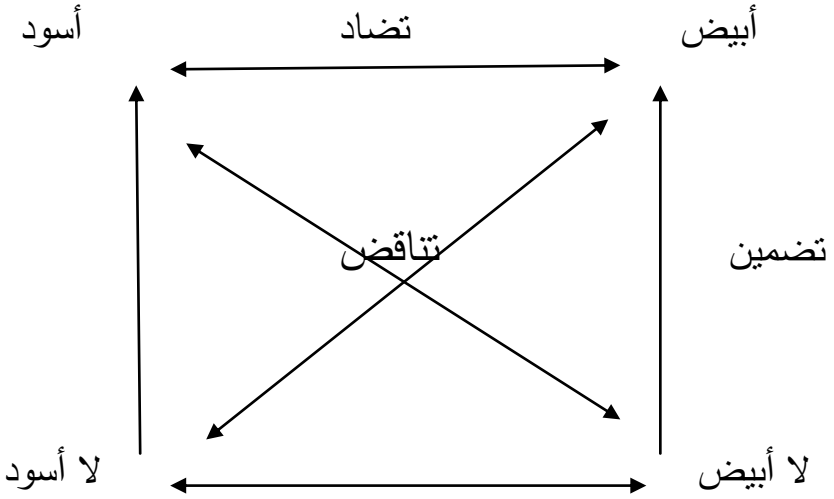

وتجتمع تلك الثنائيات في أدعية الصّحيفة السجّادية ضمن العواطف باختلاف أنواعها ، لنجد في النص الواحد أكثر من ثنائية تغلفها أكثر من عاطفة تمثل فيها قيم متتابعة ، مبنية على أسس مختلفة في السيمات ، وأحياناً أخرى مستقرة ، ضمن علاقات تستلزم وجود العلاقة الأخرى ، يجمعها حقل دلالي واحد ، وإن كان هناك اختلافٌ في مدلولاتها ، بالاعتماد على كيفية بناء اللغة في داخل النص ، وتنظيم الكلام على وفق التقابلات والمتضادات بحسب اختلاف مستوياتها ، ومن ذلك ما جاء في دعاء الإمام

(١) ينظر : المقدمة في السيميائية السردية : ١٤ ، وينظر : في الخطاب السردي – نظرية قريماس – : ٩٣.

السجّاد (عليه السلام) في التذلل: ((**مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمَوْلَى، وَأَنَا الْعَبْدُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إلاَّ الْمَوْلى. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْعَزِيزُ، وَأَنَا الذَّلِيلُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلَ إلاَّ الْعَزِيزُ. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْخَالِقُ، وَأَنَا الْمَخْلُوقُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَخْلُوقَ إلاَّ الْخَالِقُ. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمُعْطِي وَأَنَا السَّائِلُ، وَهَلْ يَرْحَمُ السَّائِلَ إلاَّ الْمُعْطِي. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمُغِيْثُ وَأَنَا الْمُسْتَغِيثُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُسْتَغِيثَ إلاَّ الْمُغِيثُ. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْباقِي وَأَنَا الْفَانِي، وَهَلْ يَرْحَمُ الْفانِي إلاَّ الْباقِي. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الدَّائِمُ وَأَنَا الزَّائِلُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الزَّائِلَ إلاَّ الدَّائِمُ.مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْحَيُّ وَأَنَا الْمَيِّتُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَيِّتَ إلاَّ الْحَيُّ. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْقَوِيُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعِيفَ إلاَّ الْقَوِيُّ.مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنَا الْفَقِيرُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ إلاَّ الْغَنِيُّ. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْكَبِيرُ وَأَنَا الصَّغِيرُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ إلاَّ الْكَبِيرُ. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إلاَّ الْمالِكُ**))[1].

يُلحظ أن النص يجري في ظل المتقابلات الدلالية التي تدور ضمن حقل دلالي واحد مع وجود الاختلاف بين مدلولاتها ، يتمثل ذلك الحقل بعاطفة الرحمة التي تتغلف بالعلاقة الجامعة لمعنى الإيمان بالذات الإلهية ، فالله هو سر وجود الإنسان في هذه الحياة ، وتواصله مستمر عبر الإرادة والنعم والرحمة على اختلاف أنواعها ، لذا فإن هذا التذلل مستمر في التوجه والإلحاح إلى الله ؛ لأنه يمثل قوةً تُنتج من ضعف الإحساس البشري من موقعه ، وفي الوقت نفسه تمثل عزة ذاتية تساعد على الانفتاح والسمو بالارتفاع في مدارج الكمال ، لأن الارتفاع في روحانيتها يقابله التواضع لله جل اسمه ، وهذا يمنحها العزة والرفعة في موقفها وموقعها الروحي والمعنوي ، فعلى مستوى الخطاب تظهر العلاقات التي تربط النص ، فقد ضم النص أكثر من تقابل ، يمكن أن ينتج منه أكثر من تناقض وتضمين ، ففي المقطع الأول نجد مفردة (المولى) التي تقابلها مفردة (العبد)

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٢٧٥ –٢٧٦.

على مستوى التضاد وهو مقبول ضمن الحقل الدلالي ، وفي علاقة التناقض نجد (لا المولى) و(لا العبد) وهو غير مقبول ؛ لأنه لا يضاد المقبول ، فكل لفظ لابد من وجود ما يناقضه ، وحينما ينتفي وجود النقيض ، ينتفي الدافع من إظهاره وكشفه فلا تتناسب علاقة التناقض في إبراز العنصر النقيض للمضاد إنما تقوم بنفيه ، وهذا لا يتلاءم مع السياق الذي وردت ضمنه المفردة ، وتندرج علاقة التضمين بصورة عمودية في التضاد الفوقي والتحتي ، وتصبح المفردة (المولى(لا العبد) ومفردة (العبد (لا المولى) فتنفي عملية الانتقال ما بين المفردة ومضادها؛ لأنها سوف تعمل على انتفاء المفردة الأولى وإبراز المفردة الثانية ، وبذلك فإن عملية النفي تحقق الانتقال لكنها لا تساعد على إنجاز الموضوع ، وكذلك عملية الانتقاء تحقق الانتقال وتعجز عن تقديم المساعدة للذات ، وما يلحظ على الدعاء أنه قد بدأ ضمن مسار محدد انتقلت فيه الأضداد الثنائية وتقابلاتها من مفردة (المولى ، العبد) إلى (العزيز، الذليل) و(الخالق، المخلوق) و(المعطي ، السائل) و(المغيث ، المستغيث) و(الباقي ، الفاني) ومفردة (الدائم ، الزائل) و(الحي ، الميت) و (القوي ، الضعيف) و (الغني ، الفقير) و (الكبير ، الصغير) و (المالك ، المملوك) ، فقد استوعبت هذه البنية العميقة الواجهات القيمية في شكلها الدلالي عبر التقابلات الممكنة ، وفي مضامين قابلة للتجلي ضمن مقامات متحققة[1]، عبر الانطلاق من تلك الثنائيات والتوقف عند صيغة السؤال في كل مقطع ؛ لأن الرحمة والعطف بهذا العبد تصدر من تلك الإرادة والرحمة والشفقة التي توحي إلى مدى حاجة العبد إلى خالقه ، وهذه من السنن الكونية ولن تتبدل تلك السنن ، فالعبد يستنزل رحمة المولى ، والذليل يستنزل رحمة العزيز ، والمخلوق يستنزل رحمة الخالق ، والفقير يستنزل رحمة الغني ، والسائل يستنزل رحمة المعطي ، وهكذا حتى يصل المملوك الذي يستنزل رحمة المالك ، وبهذا فكل مفردة ومضادها شكلت

(١) ينظر : سيميائيات النص – مراتب المعنى – : ٩٢-٩٣.

محطة دلالية سار في ظلها ذلك العبد من محطته الأولى التي بدأ فيها وصولاً إلى النقطة نفسها من حيث الارتباط والعلاقة التي تجمع ما بين العبد والمولى ، ولهذا فإن العلاقة بينهما لم تنشأ صدفةً إنما كانت بحاجة إلى ترويض النفس عبر إتباع الأوامر واجتناب النواهي ، والعمل بالأحكام التكليفية وغيرها من الأمور التي تعمل على توطيد تلك العلاقة، فالمحور الدلالي للعلاقة إنما يجري في عاطفة الحب التي جاءت هنا مغلفة بعاطفة الرحمة الإلهية.

وقد تأتي العواطف محملة بشحنة من الحزن والهم الذي يصيب الإنسان ، نتيجة للمشاكل والضغوطات التي يعيشها ، فلا ملجأ له إلاَّ الله ، وهذا ما عالجه دعاء الإمام السجّاد (عليه السلام): ((**وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي؟ وَمَن يساعِدُنِي وَأَنْتَ أَفْرَدْتَنِي؟ وَمَنْ يُقَوِّيْنِي وَأَنْتَ أَضْعَفْتَنِي؟ لاَ يُجيرُ يا إلهي إلاّ رَبٌّ عَلَى مَرْبُوب، وَلاَ يُؤْمِنُ إلاّ غالِبٌ عَلَى مَغْلُوب، وَلاَ يُعِينُ إلاّ طالِبٌ عَلَى مَطْلُوب، وَبِيَدِكَ يَا إلهي جَمِيعُ ذلِكَ السَّبَبِ، وَإِلَيْكَ الْمَفَرُّ وَالْمَهْرَبُ...**))[1].

فعِبرَ الثنائيات الضدية التي صرح بها الباث تبنى البنية الانفعالية التي تمظهرت فجمعت ما بين عاطفة الأمن وعاطفة الخوف ، في (يؤمنني ، أخفتني) و(يساعدني ، أفردتني) ، و (يقويني ، أضعفتني) و (ربّ ، مربوب) و(غالب ، مغلوب) و (طالب ، مطلوب) ، فتتبني العلاقة الضدية بين (يؤمنني ، أخفتني) إذ يقابل أحدهما الآخر ويعاكسه ، فالأمن يقابله الخوف ، وفي علاقة التناقض ((أمن) لا أمن ، (خوف) لا خوف) ، فالانتقال من الوحدة الدلالية المضادة (أمن) إلى الوحدة المتناقضة (لا أمن) يبرز المعنى المضاد له (وجود الخوف) ، ما يعني تأكيده وإثباته عبر العلاقة النقيضية ، فالعبد لا يتصور وقوع الأمن بوجود الخوف الذي يحدث نتيجة

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٩٦ ، وينظر : ٣٤ –٣٩–٤٠.

لمعاصيه ، فلا أمن يقع إلاَّ في حصن الخالق ، وعلى النقيض فإن الانتقال من وحدة (الخوف) إلى نقيضها (لا خوف) ينفي وجود الخوف ، وعلاقة الاقتضاء في وحدة (أمن) تقتضي (لا خوف) ،لأن وجود (الأمن) يقتضي لا خوف وعلى النقيض ، وفي علاقة التضمين (أمن) يقتضي(لا خوف)) و(خوف) يقتضي (لا أمن) ، وينسحب الأمر إلى الوحدة الدلالية (يساعدني ، أفردتني) من باب الجمع والمفرد ، وكذلك في (يقويني ، أضعفتني) فالقوة تضادها الضعف ، ففي علاقة التناقض (لا قوة ، لا ضعف) ؛ لأن القوة لله ، والضعف للعبد ، ولأن العبد في كل حالاته يستمد قوته من الله جل جلاله ، وفي علاقة التضمين (قوة) يقتضي (لا ضعف) وضعف يقتضي (لا قوة) ، وكذلك في (رب ، مربوب) وفي (غالب ، مغلوب) وأيضاً في (طالب ، مطلوب)، فشكلت هذه العلاقة دلالة مؤسسة أنبنى عليها النص في بيان مدى محدودية الوحدات الدلالية المختزلة لخطاب كامل منطقي منظم لثنائيات كشفت حقيقة الغلبة الساحقة للذات الإلهية في إعطاء الأمن في موضع الخوف ، وإعلاء مستوى الغالب على المغلوب ، والقدرة على ملاحقة المطلوب ، فلا إله إلاَّ أنت ، ولا غالب لك ، ولا قاهر إلاَّ أنت ، وحدك تمتلك الأمن للخائف ، والعون للضعيف ، فإليك المهرب والمفر، فوحدة البرنامج التأسيسي الذي قام على عدد من الوحدات المعتمدة على علاقات الاختلاف والتقابل تحققت ، والتي بدورها اقتضت وجود عنصر مشترك بين الدلالتين[1]، والثنائية الدلالية في (الخوف ، الأمن ، القوة ، الضعف) ترتكز على وحدات منتمية إلى المستوى ذاته حتى تلك التي انتقلت إلى العلاقة المتناقضة ، أي أنها تنتمي إلى المحور الدلالي الذي يبحث فيه العبد عن الرحمة الإلهية.

تتبني العلاقات في المربع السيميائي على وفق التضاد وما يخرج عنها من تناقض واقتضاء ، وأحياناً ترد الوحدة الدلالية من دون الإشارة إلى ضدها ، مع اكتناز النص

(١) ينظر : في الخطاب السردي – نظرية قريماس – : ٩٣.

بالثنائيات ، نحو دعاء الإمام (عليه السلام) عند ختم القرآن الكريم : ((**وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، وَاجْعَلْ لَنَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً، وَلاَ تَجْعَلِ الْحَيَاةَ عَلَيْنَا نَكَداً...**))[1].

مما لا شك فيه أن الثنائيات من القواعد الأساسية في بناء وحدات النص والخطاب الدلالية ؛ لأنها تمثل منطقاً في العالم وفلسفةً للأشياء ، تساعد على فك العمليات وتحويلها ، فضلاً عن إبراز العلاقات وكينونتها ، وقد ضم الدعاء مفردة (بيِّضْ) ومفردة (تَسودُّ) يجمعهما علاقة تضاد ، فالأولى تشير إلى النور المنطلق من وحي الله ، الذي يضيء للناس طريق الهداية ، ويوصلهم إلى سبيل السلام الروحي والفكري في الحياة الدنيا والآخرة ، لأن الإضاءة تكون في العقل والقلب والروح والحياة بمجملها ، والثانية توحي إلى تلك الظلمات التي تضل الإنسان بفكره وروحه وحياته العملية ، فتصيبه بالجهالة الثقافية ، فالمحور الدلالي المرتكز عليه في النص قد جمع سيرورة الدلالة ضمن علاقة تقابلية ، تضم حدين متضايفين لا يمكن لأحدهما إن يستقر من دون حضور الضد[2]، وكذلك يشخص الذات المتحدثة (بيض وجوهنا) أمام الظلمة (وجوه الظلمة)، فالذات تبقى مستقرة غير قلقة ، مطمئنة النفس ؛ لأنها حاثة في التأكيد على دور الوعي الذي يبعثه القرآن في النفس ، وما يتركه من إصلاح في ظاهر الحياة ، وما يعالج من تخطي للقلق والخوف ، فيبعد تأثيره عن الضمير ، ويقوي القيم الروحية فيه ، على عكس أولئك الظلمة الذين ينتابهم الخوف والاضطراب ، وفي مقابل يوم الحسرة والندامة (يوم القيامة) نجد الحياة الدنيا ، ففي الوقت الذي حصلت كل فئة على مرادها والتصقت صفة الحسرة والندامة بالظلمة ، نجد العمليات التركيبية الواقعة في إطار تصنيفي هي عمليات موجهة للاستثمار الدلالي بتوظيف زماني ، في وهب محبة المؤمنين وتفاعلهم عبر

---

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة :١٧٦ ، وينظر : ٢١-٢٢ .

(٢) ينظر : سيميائيات النص – مراتب المعنى – : ٩٧.

انتمائهم الإيماني بكسب رضا الخالق وطاعته ، وجعل حياتهم راحةً وفرحاً وسروراً ، فلا تكون قاسية شديدة الصعوبة ، وفي علاقة التناقض تكون الثنائيات بوحدة دلالية لـ(لا بيض ، لا تسود) ، وهذه العلاقة تنفي ما ورد في النص ؛ لأنها انتقلت من معناها إلى معنى يبرز دلالة أخرى ، لأن هذه البنيات تتميز بوضعها المنطقي الذي يتعلق بتحديد الجوهر المراد ، في أشكال تحقق السلوكيات المعنية في هذه الثقافة والتركيز عليه وإبرازه وتفسيره[١]، وتتمثل علاقة التضمين بـ (اللا بيض ، اللا تسود) وعملية الانتقاء تتكفل بالانتقال من عنصر إلى عنصر آخر لا نبحث عنه داخل المعاني السياقية ، مما يجعل هذه العلاقة مستبعدة ضمن هذا السياق .

تبرز فاعلية تشكل المربع السيميائي عبر تكثيف الدلالة وتوليدها بالمتقابلات ونقائضها ، فضلاً عن طريقة هندسة المعنى، نحو دعاء الإمام السجّاد (عليه السلام) :((**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى حُسْنِ قَضَائِكَ، وَبِمَا صَرَفْتَ عَنِّي مِنْ بَلائِكَ، فَلاَ تَجْعَلْ حَظِّي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عَافِيَتِكَ فَأَكُونَ قَدْ شَقِيتُ بِمَا أَحْبَبْتُ وَسَعِدَ غَيْرِي بِمَا كَرِهْتُ، وَإِنْ يَكُنْ مَا ظَلِلْتُ فِيهِ أَوْ بِتُّ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْعَافِيَةِ بَيْنَ يَدَيْ بَلاء لاَ يَنْقَطِعُ، وَوِزْر لاَ يَرْتَفِعُ فَقَدِّمْ لِي مَا أَخَّرْتَ وَأَخِّرْ عَنِّي مَا قَدَّمْتَ فَغَيْرُ كَثِير مَا عَاقِبَتُهُ الْفَنَاءُ، وَغَيْرُ قَلِيل مَا عَاقِبَتُهُ الْبَقَاءُ...**))[٢].

أن تحرك العناصر الدلالية داخل الحقل الدلالي ضمن عاطفة الرحمة يساعد في استيعاب التنقلات التي تجري ما بين القيم الاستبدالية ، وما بين علاقاتها المختلفة من تضاد وتناقض وتضمين ، فبناء المعنى ناتجاً عن الاختلافات الدلالية التي انطلق في ضوئها مضمون النص ، في التأرجح ما بين الإيجابية والسلبية ، فالعبد في أول الدعاء يعيش حالة من الاستقرار والاطمئنان والفرح ؛ لأنه محاط بالنعم الإلهية ، والتي تضعه أمام

(١) ينظر : السيميائيات السردية : ٤٤.

(٢) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٨٢.

تطلعات مستقبلية ، تدعوه إلى التفكر في أمرها وهل تستمر هذه النعم أم أنها وقتية تنقله من الإيجاب إلى السلب؟ ، لذلك يدعو أن لا تكون العافية التي مُنحت له كل حظه من الرحمة ، عبر تناقل زماني ما بين عافية في حاضره ، وبين بلاء وشقاء في مستقبله ، وهذا ينقلنا للمقابلة ما بين عيشه في (الدنيا) وما بين حياته في الآخرة ، وما بين تضاد في تلك العافية يكمن في (شقيتُ ، سعدَ) للذات وللمقابل ، وتضاد في (أحببتُ ، كرهتُ) مختصة بالذات ، فمفهوم السعادة أو الشقاء متلازمان بتفوق أحدهما على الآخر ، ولا يخفى أنهما يداعبان الجانب المادي من الواقع وليس الحسي فحسب ، لأنهما قد يدخلان إلى الجانب الروحي معاً ، فمثلاً لو غلب الشقاء السعادة فإن الوجدان الروحي يمكن أن يغمره الفرح والسرور والسعادة عبر الخشوع والدعاء والصلاة ، فتخلق أجواء تستطيع التفوق على الشقاء ، فيكون البلاء سعادة في نهايته ، وتكون العافية شقاء في ختامها ، فيتضاد ما بين (قدم ليّ ما أخَّرت ، أَخِّر عني ما قدَّمت) لأن (غير كثير ما عاقبته الفناء ، غير قليل ما عاقبته البقاء) ، وعبر تنوع التمفصلات وعمليات الاستحضار للوضعيات الحاضنة لتلك القيم الدلالية فإنه لا منفعة من وقوع التقابلات المختلفة والبحث عن فحواها إذا لم تعط المعنى الجوهري المستقل وأن منحتها سياقاتها معناها الخاص ؛ لأنه خارج سلسلة الترابطات بين الحاضر والغائب لا يمكن قيام أي شيء[1] ، وفي التنقل إلى علاقة التناقض فإن الدلالة تكون (لا شقيتُ ، لا سعد ، لا أحببتُ ، لا كرهت) فيتناقض مع معنى الدلالة المقصودة ، والحال ينطبق في علاقة التضمين أيضاً.

إن ضبط العلاقات المنطقية الموجودة بين الوحدات الدلالية لا تقتصر على المفردات ، إنما تتعدى إلى عاطفة بأكملها كامنة متمفصلة في تشاكلات الدعاء الآتي : ((**إلهي إنْ كانَ قَلَّ زادِي فِي الْمَسِيرِ إلَيْكَ، فَلَقَدْ حَسُنَ ظَنِّي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَإنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَخافَنِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَإنَّ رَجائِي قَدْ أَشْعَرَنِي بِالأَمْنِ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَإنْ كانَ ذَنْبِي قَدْ**

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٩ –٢٠ .

عَرَّضَنِي لِعِقابِكَ، فَقَدْ آذَنَنِي حُسْنُ ثِقَتِي بِثَوابِكَ، وَإِنْ أَنامَتْنِي الْغَفْلَةُ عَنِ الاسْتِعْدادِ لِلِقائِكَ، فَقَدْ نَبَّهَتْنِي الْمَعْرِفَةُ بِكَرَمِكَ وَآلائِكَ، وَإِنْ أَوْحَشَ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرْطُ الْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ، فَقَدْ آنَسَنِي بُشْرَى الْغُفْرانِ وَالرِّضْوانِ، أَسْأَلُكَ بِسُبُحاتِ وَجْهِكَ وَبِأَنْوارِ قُدْسِكَ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ بِعَواطِفِ رَحمَتِكَ وَلَطائِفِ بِرِّكَ، أَنْ تُحَقِّقَ ظَنِّي بِما أُؤَمِّلُهُ مِنْ جَزِيلِ إِكْرامِكَ...))[1].

لقد شكلت التقابلات العاطفية حدوداً للمربع السيميائي عبر علاقاته وعملياته، إذ عملت الذات على تحريك الفعل الخطابي ضمن سيمات انطلقت في مسار عاطفة الخوف والتغلب عليها بعاطفة الأمن ، والتي انتهت بعاطفة الرحمة الإلهية ، فتقديم شبكة دلالية قائمة على التعارض والاختلاف ضمن علاقات ثابتة وعمليات متغيرة ، فما يخرج عن الذات من عدم الامتثال للأوامر الإلهية يصيبها بالخوف الذي يطغي على كيانها وشعورها، خوفاً من العقوبة التي تحصل عليها نتيجة لأفعالها ، ولكن الرجاء في هذا الموضع يجعلها تعيش في ظل الأمن والطمأنينة ، ففي مقابل (جرمي أخافني) نجد (رجائي قد أشعرني بالأمن) ، وكذلك في جملة (أنامتني الغفلة) في مقابلها (نبهتني المعرفة) إذْ جاءت المقابلة بصورة غير مباشرة ، فكان تضاداً معززاً بمنبه أسلوبي وفكري يشير إلى غفلة ذهنية[2] ، إذ أرادت الذات أن ما يعاكس ذلك النوم في لحظات الغفلة – من باب الاستعارة – ، توقظه المعرفة الموجودة في تفكيره وكيانه الممدود بالاتصال الإلهي ، وفي (أوحش ما بيني وبينك) يضادها في المربع (أنسني بشرى) ، وفي مقابل (العصيان والطغيان) نجد (الغفران والرضوان) ، فتقع ضمن الحدود المتناقضة وليس الحدود المتضادة ، فلا تكون من باب التضاد في المفردة الأخيرة ، مما يجعلها تقع ضمن التقسيمات والحدود التي تعد من صنف الجيل الثاني؛ لأنها قامت مقام علاقات تراتيبية ، سجلت وظيفة جوهرية في

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٣٠١- ٣٠٢.

(٢) ينظر : المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين – دراسة أسلوبية– : ٧١.

تأسيس علاقة التناقض بين المفردات[1] ، فالخوف يضاده الأمن فيقابله ويعاكسه في المعنى والعمل ، وتقع هذه المفردة ومقابلها في علاقة التناقض (خوف ، يعني :(لا أمن) و(أمن ، يعني :(لا خوف) ، والانتقال عبر هذه العلاقة ما بين الضدين يعني أننا نعطي أهمية لمعنى على حساب آخر ؛ لأن الإبراز هي إعطاء الأولوية للعنصر المبرّز ، ويعني تأكيده عبر تلك العلاقة ، وعبر علاقة الاقتضاء فإن لفظة (أخافني) تقتضي (لا يشعرني بالأمن) ، لأن وجود الخوف يقتضي انعدام الأمن ، ولكن في هذا الموضع فإن الذات المؤمنة تثبت عكس ذلك ، فالأمن يصبح موجوداً ممتثلاً في شعورها وانفعالها نتيجة قربها من الخالق ، مما يعني إن إحاطتها بهالة العفو والمغفرة التي تجعلها تتجاوز سيئاتها بطلب العفو الإلهي ، على أن يكون ذلك الطلب في وقته المناسب ، فعلاقة الاقتضاء من العوامل المساعدة للذات في إنجاز موضوعها وتحقيق الكفاءة فيه ، وفي لفظة (أنامتني الغفلة ، نبهتني المعرفة) فإن علاقة التضمين تقع ما بين تضاد فوقي وتحتي ، فلفظة (أنامتني (لا أنامتني) ولفظة (نبهتني (لا نبهتني) مما ينفي عملية الانتقال مابين اللفظة وتضادها ، وهذا النفي لا يساعد الذات على تحقيق موضوعها وإنجازه ، أمَّا على صعيد علاقة التضمين في لفظة (أوحش) تتمحور في هذه العلاقة (لا آنسني) وهذه لا تتناسب مع السياق الدلالي الذي وردت ضمنه اللفظة ، وعلاقة التضمين في لفظة (آنسني) تكون (لا أوحش) ، لأن وجود الغفران والرضوان أخذ حيزه الملائم لمعنى الدعاء ، وفي لفظة (العصيان ، الطغيان) فإن علاقة التضمين تقتضي (لا العصيان ، لا الطغيان) ؛ لأن الإفراط في العصيان والطغيان يبعده عن جهة الغفران مما يسبب له الحزن وابتعاد السعادة والاستئناس عنه ، وعلاقة التضمين في لفظة (الغفران ، الرضوان) تقتضي

(١) ينظر : نظرية " المربع السيميائي " لقريماس ، ترجمة : عبد الملك مرتاض : ٣١٧ . (بحث)

ضمن هذا المحور أن تكون (لا الغفران ، لا الرضوان) وهذا ينافي المعنى المطلوب ، مما يجعلها لا تنتمي إلى المحور الدلالي الذي نبحث عنه.

إن توليد المعاني وتحريك المربع السيميائي ، ضمن تشاكلات ممكنة واردة في البنيات الدلالية المنظمة لعمليات المربع تنتج عنها قيم بحسب علاقات محددة ضمن محاور الدعاء الآتي: ((**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْ خَلَقْتَ فَسَوَّيْتَ، وَقَدَّرْتَ وَقَضَيْتَ، وَأَمَتَّ وَأَحْيَيْتَ، وَأَمْرَضْتَ وَشَفَيْتَ، وَعافَيْتَ وَأَبْلَيْتَ، وَعَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَيْتَ، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَيْتَ...**))[1].

إن القراءة المتأنية لدلالات الدعاء تعطينا إشارة لمضامينه التي تعاضدت في إعطاء صورة عن عملية الخلق ، التي جعلها متساوية في تقابلها وإن لم يكن هذا التقابل فيه تضاد مباشر ، إذْ جعل لفظة (خلق) مقابلة للفظة (سوى) في تقابل إجرائي عبر الخلق وتسويته في العبادة والهداية والابتلاء ، وفي مقابل (قدر) هناك (قضى) ، و تضاد مباشر مقابل في لفظة (أمات) و (أحيا) وفي لفظة (أمرض) و(شافى) ، وفي لفظة (عافى) و (أبلى) ، فعلى صعيد علاقات المربع السيميائي وعملياته فإننا نعمل على الألفاظ التي وجد بينها تضاد ، ففي لفظة (أمات ، أحيا) تتشكل دلالة الوجود الإنساني في محور التضاد ، فالأولى تشير إلى انتهاء حياة البشر ، والثانية توحي إلى عملية خلق الإنسان ، وعلى صعيد التضاد فإن العلاقة بينهما مقبولة ؛ لأنها قد وردت ضمن الحقل الدلالي المقبول ، وفي علاقة الاقتضاء فإن لفظة (أحيا) تستلزم لفظة (أمات) ؛ لأن الأولى متعلقة بالثانية تحقيقاً لإرادة الله جلّ أسمه نحو قوله تعالى﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ** ﴾[2] ، وكذلك الأمر في تضاد لفظة (أمرض ، شافى) فإن الأولى تقتضي وتستلزم وجود الثانية ، وأيضاً في لفظة (أبلى ، عافى) فإن علاقة الاقتضاء بينهما واردة ففي البلاء

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٢٨٤.

(٢) سورة الشعراء : الآية : ٧٨.

هناك المعافاة من ذلك البلاء بفضل الله ومنّه ، أمَّا على صعيد علاقة التضمين التي تتدرج بما يطلق عليه بالتضاد الفوقي والتحتي ، الذي يتضاد بين الألفاظ بصورة أفقية فإن لفظة (أمات) تكون (لا أمات) ، ولفظة (أحيا) فإنها تكون (لا أحيا) وهذا مرفوض ؛ لأنه لا يقابل المضاد ،إنما يعمل على انتفاء وجوده ، فلا تتلاءم علاقته على وفق السياق الذي جاءت بضمنه اللفظة ، وفي لفظة (أمرض ، شافى) فإن علاقة التضمين تصبح (لا أمرض ، لا شافى) وهذا لا يتناسب مع دلالة النص ، وكذلك في (أبلى ، شافى) تصبح (لا أبلى ، لا شافى) ، وهذا يخرج عن علاقة الاقتضاء التي تبحث عنها علاقات المربع السيميائي.

يتجسد شكل المعنى في الاختلاف القائم بين الشيء وضده ، فضلاً عن دلالته المركزية التي ينتظم عبرها نظام دلالي في السيمات السياقية المتمثلة في ألفاظ الدعاء الآتي :((**إلهِي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلاَّ لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، وَفَقْرِي لا يُغْنِيهِ إلاَّ عَطْفُكَ وَإحْسانُكَ، وَرَوْعَتِي لا يُسَكِّنُهَا إلاَّ أَمانُكَ، وَذِلَّتِي لا يُعِزُّها إلاَّ سُلْطانُكَ، وَأُمْنِيَّتِي لا يُبَلِّغُنِيها إلاَّ فَضْلُكَ، وَخَلَّتِي لا يَسُدُّها إلاَّ طَوْلُكَ، وَحاجَتِي لا يَقْضِيها غَيْرُكَ، وَكَرْبِي لاَ يُفَرِّجُهُ سِوى رَحْمَتِكَ، وَضُرِّي لا يَكْشِفُهُ غَيْرُ رَأْفَتِكَ، وَغُلَّتِي لا يُبَرِّدُها إلاَّ وَصْلُكَ، وَلَوْعَتِي لا يُطْفِيها إلاَّ لِقاؤُكَ، وَشَوْقِي إلَيْكَ لا يَبُلُّهُ إلاَّ النَّظَرُ إلى وَجْهِكَ، وَقَرارِي لا يَقِرُّ دُونَ دُنُوِّي مِنْكَ، وَلَهْفَتِي لاَ يَرُدُّها إلاَّ رَوْحُكَ، وَسُقْمِي لا يَشْفِيهِ إلاَّ طِبُّكَ، وَغَمِّي لا يُزِيلُهُ إلاَّ قُرْبُكَ، وَجُرْحِي لا يُبْرِئُهُ إلاَّ صَفْحُكَ، وَرَيْنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إلاَّ عَفْوُكَ، وَوَسْواسُ صَدْرِي لا يُزِيحُهُ إلاَّ أَمْرُكَ...**))[1].

إن التناغم والانسجام في توظيف الشيء وضده ، وأحياناً نقيضه الذي يرد بصورة غير مباشرة له بما يحرك المربع السيميائي ويولد تناغماً دلالياً يعطي تنظيماً جوهرياً في بناء العمليات والعلاقات القائمة على الاختلاف والتعارض على وفق تشاكلات النص ، إذ

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٣١٦- ٣١٧.

يقابل بصورة غير مباشرة ضمن علاقات التناقض أو الحدود المتناقضة فيما بينها ، من ذلك (الكسر) (الجبر) الذي يعالجه بطريقة تحتويها عاطفة الحب متجلية بلطف الله وحنانه ، في حين يضاد (الفقر) (الغنى) الذي يغلفه بالعطف والإحسان ، ويضاد (الروعة فهي نوع من أنواع الخوف) (الأمن) ، ومقابل (الذلّ) (العز) الذي يكتمل بالسلطان ، ويضاد بطريقة غير مباشرة – من باب المناقضة – (الأمنية) (وبلوغها) بفضل الله ، وهكذا تجري الألفاظ الباقية في التضاد بطريقة غير مباشرة تخالفها في المقابل تضادها في المعنى ، كما في (الخلّة ، سدّها) لا يكون إلا بطولك – الكلام موجه للذات الإلهية– و(الحاجة ، قضاؤها) لا يقضيها غيرك، و(الكرب ، فرجه) يكمن في رحمة الله، و(الضرّ، كشفه) يتصل برأفة الخالق ، و(الغلّة ، يبرّدها) التواصل مع الله ، (اللوعة ، يطفيها) لقاء البارئ ، (السقم ، شفاؤه) لا يكون إلا بطب الخالق ،وهكذا إلى نهاية النص ، وهذا التوافق إنما عمل فيه ((عليه السلام على كسر رتابة السجعة الواحدة عن طريق تعمد الاختلاف في البنى التركيبية للمقطع الواحد ، والذي يستشف من هذا التعمد وعي المنشئ لدور الإيقاع في ديمومة التواصل وحرصه على عرض أفكاره وما يريد إيصاله من دلالات بشكل متوازن مقبول))[1] ، هذا ما تضمنته عملية التضاد ، أمَّا على صعيد العلاقات فإن التناقض يتحقق حينما نعمل على إبراز المعنى المضاد بنفي الإثبات عنه وبالنقيض ، وهذا من الأمور الممكنة التي تقع داخل الحقل الدلالي على وفق علاقة الاقتضاء في توافر العنصر الأول ونفي العنصر الثاني ، والحال لا ينطبق بالوتيرة نفسها مع علاقة التضمين ، إذ تعمل هذه العلاقة في التضاد الفوقي والتضاد التحتي ، فلو عدنا إلى الألفاظ التي استخرجنها وطبقنا عليها مثلاً في لفظة (الذل) تقتضي (لا العز) و(العز) تقتضي (لا الذل) ، وهذه الألفاظ تكون دلالة مركزية بالإحالة على الآخر ضمن تحقق الوظيفة التي منحتها الدلالات لها ، لأن انتماء اللفظة الواحدة إلى مقولة دلالية

(١) المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين – دراسة أسلوبية– : ٦٠.

مؤسسة للمسار السيميائي ، يعود إلى تحكم تلك العلاقات بفاعلية وقدرة العمليات المكونة لبنية النص ، وتبرز الألفاظ الأخرى ضمن السيمات السياقية التي تتحكم بها على وفق دلالة التشاكلات السيميولوجية القائمة على التوافق والتمازج أو الصراع بين الألفاظ.

ويمكن القول إنَّ نصوص الصّحيفة السجّادية قد ضمت علاقات التضاد وشبه التضاد – الناتج عنها علاقات التضمين والاقتضاء – ماعدا علاقات التناقض ؛ لأنها تفقد النص انسجامه وتناسقه وتخرجه عن معناه فنفي عنصر وارد في النصوص يعني إثباته أو إقرار عنصر آخر ، وهذا نقيض العنصر المنفي ، مما يعني إن بعض القيم الدلالية المثبتة تنفي الأخرى ، ولكن يجب الإشارة إلى أن هذا الوضع لم ينطبق مع كل الألفاظ التي تغلغل فيها خطوط المربع السيميائي ، فضلاً عن ذلك نشير إلى العلاقات القائمة على تلك العمليات ، إذْ تُظهر تلك العلاقات مدى الحدود المترابطة والمتلاحمة في تأسيس العلمليات بحسب الوظيفة الجوهرية القائمة على تكوين اللغة .

المبحث الثالث

المخططات العاطفية

انصب جهد غريماس وزميله جاك فونتاني على وضع إجراءات وطرق متنوعة في دراسة الانفعال العاطفي ، ومن ضمنها المخططات العاطفية ، بحسب أنواع الصنافات[١] المستندة إلى اللسان والتي تميزه ؛ لأنها تمثل حالة ثقافية أو مرحلة تنتمي إلى نسق جماعي فتكون مبنية على وفق ذلك النسق ، ونكون أمام أهلية ذات عُدّة كيفية مركبة ،((وبالفعل ، فإنّ تخطيب " العُدّة " الكيفية باعتبارها وحدات منحدرة من المسار التوليدي للأهواء ، ينتج : "استعدادات" متطابقة مع طريقة الاستحضار))[٢]، وإخضاعها لمخطط تمثيلي يتبنى الممارسة التلفظية عبر مركبات تتضمن سلوكاً أو موقفاً أو فعلاً ، والخضوع لمنطق خطابي ينظم الكلام بمراحل متعاقبة[٣]، فدراسة العواطف يتم عبر البعدين التداولي والمعرفيّ ببناء الخطاطة المعيارية وتحولاتها الهووية ، وعزل اشتغال العوامل والتكييفات في المستوى السميو –سردي بشكلٍ خالص[٤].

ويتشكّل الميدان الانفعالي تدريجياً في مرحلة أولى بعدّه مكوناً للبعدين السابقين، وبالنظر إليه بوصفه مجموع الآثار الهووية للكيفيات التي ترد مرافقة للبرامج التداولية

---

(١) الصنافات : هي مبدأ تحضر الظواهر في الذهن عن طريقه ، وليست من باب التصنيف الإجراء ، ينظر : هامش كتاب سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١١.

(٢) م ، ن :١٣٤.

(٣) ينظر : المخطط العاطفي للذات في رواية الفيل الأزرق لأحمد مراد – بحث في سيميائية الأهواء – ، لخضر هني : ٤٢. (بحث)

(٤) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس :١١٣.

والمعرفية ، فتتناوب موضوعات القيمة ، بتقطيع مكوناتها ، وتصنيف مقولاتها في برمجة خطابية[١]؛ لأن العاطفة تخضع لما هو واقع ، وهذا يجعلها تخرج من أنها أحساساً مجرداً إلى أنها بعداً انفعالياً و يُسجَّل في أشكال ثقافية مختلفة تعطيها مكانتها وتزودها بسلسلة نظامية ، قد تكون متتابعة متناسقة مع بعضها مع بعضها الآخر ، وأحياناً تفقد أحد حلقاتها التسلسلية[٢] ، وعلى هذا الأساس تم تسمية الصنافات الهوويّة عبر النشاط التلفظيّ والتّخطيب باسم الخطاطة الاستهوائية ، وترتكز الخطاطة الاستهوائية على مخططات وضعها فونتاني بالاعتماد على مآل الاستهواء الاستقطابي[٣] الثنائي المتحقق في مقولة: (الصالح / الإيجابي ، الطالح / السلبي) مستوعبة كل الحالات الإيجابية والسلبية التي تتكون في الوجود الإنساني، وتتوزع في داخل الخطاطة مخططات توترية هي (مخطط التكثيف ، مخطط الصعود ، مخطط الهبوط ، مخطط الخمود) ، وتعتمد هذه المخططات على الحالات المزاجية والانفعالية للذات عبر ارتفاع الشدة وانخفاضها وتطورها بالامتداد الزمني[٤]، وقد استبعدنا تطبيق هذه المخططات على نصوص الأدعية ؛ لأننا وجدناها لا تتلاءم مع العواطف الواردة في أدعية الصّحيفة السجّادية ولا تنسجم معها؛ لأنها تعتمد على الإحساس الحاصل بين الشدة والانفعال ، وإخفاء النقص

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ١٣١-١٣٢.

(٢) ينظر : مبادئ سيمياء الأهواء تطبيق خطاطة " فونتاني " على تائية الشنفرى ، د. حمزة العيفاوي : ٢٣٥ .(بحث)

(٣) وهو مفهوم يدل على حركة الانفتاح والانغلاق ، يقوم بها مكوناه (الصّالح والطّالح) ليشكلا حالة الاستقطاب وتشير هذه الحالة إلى الشروط القبلية لظهور الدلالة ، ينظر : هامش كتاب سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ١٤.

(٤) ينظر : م ، ن : ٣٠- ٣١ ، وينظر : سيمياء العواطف في قصيدة " أراك عصّي الدّمع " لأبي فراس الحمداني : ٣٨ .

العاطفي وملء فراغه بوساطة الامتداد العاطفي وشدته ، وعدم التوازن في الانفعال ما بين هيجان وهدوء وهذا ما لم تتوافر عليه العواطف في الصّحيفة السجّادية ، إذْ لم نجده فيها عبر رصدنا وتتبعنا لها في الدراسة ، لذلك اعتمدنا في المخططات العاطفية على المخطط النظامي الذي وجدناه مناسباً لما جاء من عواطف تضمنتها الأدعية .

المخطط النظامي

يعد المخطط النظامي من الوسائل الإجرائية المهمة لتحليل العاطفة في الخطاب ، ويكون بمثابة بناء إيديولوجي وشبكة متتابعة من الحلقات ، لتنتج أُنموذجاً ثقافياً يكون مخزوناً لقراءة ثقافية – انطلاقاً من الإشارة التلفظية – يسمح بتعرف ثقافة ما على أنواع العواطف التي تضمها ، فضلاً عن شرح و مسار الذات العاطفية وتمثيلها عبر مراحل[١] يتم فيها تتبع المراحل التي تنتج في ضوئها العاطفة ، ومن هذا المنظور وضع (غريماس ، جاك فونتاني) ترسيمة تمثل المخطط العاطفي في أبعاده العاطفية في داخل الخطاب ، وهي قريبة من التمثيل السردي ، وقد وردت بخطها الترتيبي الآتي:

اليقظة العاطفية ← الاستعداد ← المحور العاطفي← الانفعال ← التهذيب

١– اليقظة العاطفية : من المراحل المهمة والأساسية في المخطط النظامي ، تظهر وهي حاملة لعاطفة معينة ، ولا يمكن للعاطفة أن تتجلى من دونها في الخطاب ، فيتعلق الأمر بتخصيص الهويّة العاطفيّة للذات ، في لحظة معينة في داخل السّلسلة الخطابية ، إذْ يكون العمل جاهزاً لكي يترك تأثير حضوره ، وأيضاً

(١) ينظر : تأويل البنية العاطفية في ديوان " مقام البوح" : ١٠٦.

تكون حساسيته في حالة اليقظة[١] ، ويسعف الذات في متابعة مشاعرها ومراقبتها والسيطرة عليها ، وتوجيهها نحو الوجهة السليمة والآمنة ، فكلما كانت الذات على معرفة ووعي بالأشياء التي حولها أرتفع معدل الكفاءة لديها ، وتوسعت مداركها في القدرة على مراقبة عواطفها وعواطف المحيطين بها ، وتوجيه هذه المعرفة في تفكيرها وأفعالها[٢]، مع اختلاف الشحنات العاطفية في مُدة تلقيها.

٢- الاستعداد : وتتمثل هذه المرحلة بقدرة الذات على الظهور بأداء عاطفي ، من أجل إنجاز الكفاءة بمرونة وانسيابية ، فالاستعداد عبارة عن مشهد تصويري عاطفي، يتم فيه وقوع اللذة أو الألم[٣] ، ويتبع طبيعة المعطى النفسي الحاصل في الذات ، وكذلك الكفاءة التي تتمتع بها الذات.

٣- المحور العاطفي : مرحلة أساسية وضرورية من أجل تتبع المسار العاطفي للذات ؛ لأنها تكشف لنا الحالة الاضطرابية التي تشعر بها الذات ، ونصبح أمام لحظة تحول عاطفي من حضور الأحداث والأفعال أو الأقوال ، التي تهدد أمن النفس واطمئنانها ، أو تهدأ منها ، فتسعفها اليقظة العاطفية والاستعداد في التفوق

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ٤٨، وينظر: تأويل البنية العاطفية في ديوان " مقام البوح" : ١٠٣- ١٠٤.

(٢) ينظر: المخطط العاطفي للذات في رواية الفيل الأزرق لأحمد مراد- بحث في سيميائية الأهواء- : ٤٢.

(٣) ينظر : م ، ن : ٤٥ ،وينظر : تأويل البنية العاطفية في ديوان " مقام البوح" : ١٠٨ .

على المواقف العاطفية المختلفة[١] ، لتفسح لها المجال للتعبير عن الانفعال الذي ينتابها ، بغض النظر عن نوع العاطفة.

٤- الانفعال : بعد التحولات الانفعالية التي مرت بها الذات في المرحلة السابقة فإنها في هذه المرحلة تجمع ما بين الإدراك الداخلي وما بين الإدراك الخارجي الذي يتجلى عبر حضوره والتغيّرات التي يحدّثها ، فتصبح الذات أمام اختبار نفسي تفصح عنه عبر ردة الفعل بالهدوء أو التوتر[٢] ، ويكون بحسب التفكير أو السلوك الذي يحدث مع الذات.

٥- التهذيب : وفي هذه المرحلة تُقّوم العواطف من منظور جماعي ، من أجل بيان أهميتها في داخل الإطار السيوسيو ثقافي ، فتتقابل مع قيم الجماعة لتقّيم بالسلب أو الإيجاب بحسب توافقها أو عدم توافقها ، أو من منظور فردي ؛ لأن المقّوم يُعد جزءاً من المشهد العاطفي[٣] ، فيصدر حكماً على مجمل العواطف التي انفعل من أجلها.

---

(١) ينظر: المخطط العاطفي للذات في رواية الفيل الأزرق لأحمد مراد- بحث في سيميائية الأهواء :٤٥-٤٦ ، وينظر: الخطاطة الاستهوائية وفاعلية الانجاز – قراءة في رواية " ظلال جسد ضفاف الرغبة " لسعد محمد رحيم ، حسين عمران محمد : ٢١٥ . (بحث)

(٢) ينظر : تأويل البنية العاطفية في ديوان "مقام البوح" : ١١٢ ، وينظر: المخطط العاطفي للذات في رواية الفيل الأزرق لأحمد مراد- بحث في سيميائية الأهواء: ٤٨.

(٣) ينظر : تأويل البنية العاطفية في ديوان "مقام البوح" : ١١٥ ، وينظر : المخطط العاطفي للذات في رواية الفيل الأزرق لأحمد مراد- بحث في سيميائية الأهواء : ٤٩، وينظر: الخطاطة الاستهوائية وفاعلية الانجاز – قراءة في رواية " ظلال جسد ضفاف الرغبة " لسعد محمد رحيم : ٢١٦.

إنَّ انتقال العواطف عبر المخطط النظامي يتطلب ذات متواصلة ومتابعة لموضوع القيمة ، فضلاً عن نواة دلالية تمثل مركزاً في تحريك الذات وتحويلها من حالة إلى أخرى ، وليس بالضرورة أن تأتي كل المراحل التي يضمها المخطط العاطفي ، فأحياناً يعتمد على مراحل جزئية منه ، وأحياناً تأتي متكاملة تتوافق مع الأفعال أو الأقوال المتجلية في العواطف ، ففي دعاء الإمام السجّاد (عليه السلام): **((رَبِّ أَفْحَمَتْنِيْ ذُنُوبِي، وَانْقَطَعَتْ مَقَالَتِي، فَلاَ حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الأسِيرُ بِبَلِيَّتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُتَرَدِّدُ فِي خَطِيئَتِي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي، الْمُنْقَطَعُ بِي، قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الأذِلاَّءِ الْمُذْنِبِينَ، مَوْقِفَ الأشْقِياءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُسْتَخِفِّينَ بِوَعْدِكَ. سُبْحَانَكَ! أَيَّ جُرْأَة اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ؟ وَأَيَّ تَغْرِير غَرَّرْتُ بِنَفْسِي مَوْلاَيَ ارْحَمْ كَبْوَتِيْ لِحُرِّ وَجْهِي، وَزَلَّةَ قَدَمِي، وَعُدْ بِحِلْمِكَ عَلَى جَهْلِي، وَبِإِحْسَانِكَ عَلَى إِسَاءَتِي...))**[1].

تتجلى اليقظة العاطفية عبر العبارات التي تحمل وعي الإنسان المؤمن العارف بمقام خالقه ، ليعيش تلك العواطف والانفعالات بحضوره الروحي في معنى العبودية الخالصة ، فتظهر في كلماته وحركاته وأحاسيسه ومشاعره بطريقة ترتفع روحه بها ، ليجسد صدق الإحساس بالذل العبودي ؛ لأن الذل معه يعني العزّ ، وبهذا تبدأ هذه المرحلة انطلاقاً من التعبير عن الموقف الذي يشعر فيه المؤمن بأن ذنوبه قد أصابته بالإفحام وانقطاع الكلام ؛ لأن الخالق قد أقام الحجة عليه عبر الإرادة والحرية والتفكير في اختيار الصواب ، فلم تبق له حجة للعصيان ، مما يجعله يقف موقف المرتهن ببليته في الابتعاد عن طاعة الخالق ، والمرتهن بعمله الذي يذهب رهينة للسيئات التي اقترفها ، وهنا في هذه المرحلة يظهر الاستعداد للتصريح بالعاطفة الحاملة لتلك المشاعر ، فتتشكل الصورة العاطفية الحاملة لعفو الخالق ،

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٢٥٩.

فلا مكان لذلك المحاصر بخطيئته ، والمتحير بالسير على الخط المستقيم سوى الوقوف موقف الذليل الذي لا يمتلك إلاَّ الاعتذار عن الذنوب التي تقوقع بها ، والحصول على الرحمة والمغفرة ، ليصرح بتلك العاطفة التي تمكن الإنسان من تجاوز مرحلة مهمة في حياته ، لينتقل إلى مرحلة أساسية تعمل على تتبع المسار العاطفي للذات ، وتكشف عن موقفها وهو في موقف توبيخ لها ، لتفسح عن حجم الجرأة التي تجرأت بها ، ومقدار الخطر الذي قادت نفسها إليه ، وهنا نصبح أمام لحظة تحول عاطفي يتحول فيه إلى الاستعطاف والتذلل لله جلّ أسمه ، بوقوع عاطفة الرحمة ، وهذا الانفعال في الواقع أسهم في إظهار نوع العاطفة والإفصاح عنها ، عبر التركيز على البنى الصيغية ، فأنتجت فواعل جديدة لتلك الانفعالات والأحاسيس[1] في تحول تلك التوبة والعفو إلى عاطفة تحمل رحمة ورأفة ، وعلى سبيل الكناية للتعبير عن سقوطه وزلة قدمه وابتعاده عن طريق الحق ، ليتم تفضله عليه بالإحسان وتجاوز السيئات ، وفي مرحلة التهذيب التي تترجم نهاية المسار العاطفي فإن الإنسان يقف موقف المعاناة الروحية التي تمنعه من الإحساس بالثبات في الوقوف مع كل تلك الذنوب والجرأة التي تجرأ بها ووقوعه في المهالك ، فلابد أن يبحث عما يغير تلك النتائج السلبية التي من الممكن أن يحصل عليها في حال بقي مصراً على موقفه الأول ، ولكن بإمكانه التراجع عن ذلك والعودة إلى الطريق السليم عبر طلب التوبة ووقوع العفو والمغفرة ، مما ينزه الجانب الروحي لديه.

وأحياناً نجد المخطط العاطفي لم يكتمل في مراحله ، نحو دعاء الإمام (عليه السلام) مع أنه قد ورد ضمن العاطفة نفسها : ((**اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْهَكَ الْكَرِيْمَ، أَوْ مَنَعْتَنِي فَضْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ أَوْ قَطَعْتَ عَنِّي سَبَبَكَ لَمْ أَجِدِ السَّبِيلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَمَلِي غَيْرَكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ؛**

(١) ينظر : سيمياء العواطف في قصيدة " أراك عصّي الدّمع " لأبي فراس الحمداني : ٩٧.

فَإِنِّي عَبْدُكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لاَ أَمْرَ لِي مَعَ أَمْرِكَ، مَاض فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ سُلْطَانِكَ، وَلاَ أَسْتَطِيعُ مُجَاوَزَةَ قُدْرَتِكَ، وَلاَ أَسْتَمِيلُ هَوَاكَ، وَلاَ أَبْلُغُ رِضَاكَ، وَلاَ أَنَالُ مَا عِنْدَكَ إلاَّ بِطَاعَتِكَ وَبِفَضْل رَحْمَتِكَ...))[1].

أن توجيه تفكير الذات وأفعالها ، يمكنّها من الانفتاح على المشاكل المحيطة بها، فالعيش في حالة من الحزن جراء الهموم والمشاكل المتراكمة في داخلها ، يجعلها تتطلع لمن يخرجها من تلك الحالة ، وحتى تتغلب على واقعها لا سبيل لها إلاَّ البحث عن وسائل تقربها من الله وتمنحها الرضا في مرحلة الاعتراف بالضعف والحاجة ، وحتى تكون الذات على أتم الاستعداد في هذه المرحلة فإنها بحاجة إلى البوح بالألم الذي يكمن في أعماقها ، عبر تصحيح المسار العاطفي واختيار طريق التفكير في الخالق دون غيره ، وهذا يجعلها خاضعة لحسابات دقيقة تبتعد عن التأثير السلبي وتعالج أمرها بشكلٍ متوازنٍ دقيقٍ ، تذوب فيه الذنوب أمام خشوعها وتذللها لله رجاء العفو والرحمة ، وهذا الشعور يقودها إلى الاستسلام الكلي في كل الأمور والقضايا ، فبدأت بمرحلة الاستعداد من دون المرور بمرحلة اليقظة العاطفية، وفي مرحلة المحور العاطفي فإن الذات تواجه صراع واضطراب في حالة إعراض الخالق عنها ، وإبعادها عن رعايته وعنايته ، وهذا يجعل الأفعال والأحداث تتوالى على الذات وتهدد أمنها واستقرارها في منع النعم ، ووضع الحواجز والفواصل بينها وبين الأسباب التي تساعدها في الوصول إلى الرحمة الإلهية ، وتدخل الذات في دائرة التساؤل عن الحال الذي تقع فيه إذا قطعت صلتها بالله ، كيف تحرك مسار حياتها وتقضي حاجاتها؟ ، فلا يوجد أحد يمكن أن يحقق لها آمالها ، ولا تمتلك القدرة على فعل ذلك ، ثم تفصح الذات عن الانفعال الذي يختلج في داخلها بالوقوف

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٨٩.

موقف المستسلم في اعترافاته وكيانه وانفعاله بحقيقة العبودية لله وحده ، لتصرح عن تلك العاطفة بحصول الرضوان وانفتاح المحبة ، وتحقيق الطاعة وحصول الرحمة ، ويظهر التقييم التهذيبي في المسار العاطفي عبر أفعال الذات التي تتجه بها في وجودها المتحرك ضمن نطاق التدبير، الذي لا يخرج عن قدرة الخالق والخضوع له ، ويبقى في دائرة الانقياد ؛ لأنه يؤدي إلى نعيم الجنة ، فيبرز الحكم ايجابي على تلك العاطفة متضمناً نمط قولي تجسد بالألفاظ الصادرة عن الذات.

وفي دعاء (الاشتياق إلى طلب المغفرة) نجد أن عاطفة الرحمة المغلفة بعاطفة الحب قد أفصحت عن مخطط نظامي كامل انطلقت فيه عبر محطات مختلفة: ((**اللَّهمَّ وَإنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا، وَمِنْ ماءٍ مَهِين ابْتَدَأْتَنَا، فَلاَ حَوْلَ لَنَا إلاّ بِقُوَّتِكَ ، ولا قُوَّةَ لنا إلاّ بِعَوْنِكَ. فَأَيِّدْنَا بِتَوْفِيقِكَ وَسَدِّدْنَا بِتَسْدِيدِكَ وَأَعْمِ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ وَلا تَجْعَلْ لِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِنَا نُفُوذاً فِي مَعْصِيَتِكَ. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَد وَآلِهِ وَاجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوبِنَا وَحَرَكَاتِ أَعْضَائِنَا، وَلَمَحَاتِ أَعْيُنِنَا، وَلَهَجَاتِ أَلسِنَتِنَا فِيْ مُوجِبَاتِ ثَوَابِكَ، حَتَّى لاَ تَفُوتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَاءَكَ، وَلا تَبْقَى لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ...**))[1].

تتجسد اليقظة العاطفية في تلك الرغبة الذاتية ، التي تنبع عبر الإحساس العاطفي في وضع المناجاة بالانفعال ، والبوح بكمية المشاعر والتطلعات التي تحول الوعي الفكري والروحي إلى منطلقات تدرك الخير وتعمل به ، ولكن الإحساس سرعان ما يتحول مساره إلى استذكار لحظة الانطلاق في النشأة ، عندما تتذكر الذات أنها قد خُلقت من الضعف ، وبنيت من الوهن ، وهذه تترك تأثيرات وانفعالات سريعة تجعل الذات غير ثابتة ، تعيش حالة اليأس والإحباط والهبوط في قيود

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٥١.

الشعور النفسي وما يندفع منه ، من نوازع وجزع وضعف ، فانبعاث العواطف من تنظيم خطابي لا يخص الذات فحسب ، إنما يشمل ذوات الآخرين أيضاً ؛ لأنه لا يخص ذاتاً بحد عينها ، فتعيش الذات أفقاً انفعالياً قبل إدراك المراد أو الحصول عليه[١] ، ولكي تتهيأ للذات محطة تخرجها من ضعفها وتجعلها تعيش مع الخالق في كل مواقع ذاته، ننتقل إلى مرحلة الاستعداد وإنجاز الكفاءة بمرونة وانسيابية عالية حينما يصور ذلك الكائن الذي خُلق من الضعف وقد تحول برحمة الله وقوته وتوفيقه، إلى مخلوق يمتلك القوة في التفكير ، والإرادة والحركة ، فيترك أثره في الحياة ، وحتى تستقر هذه الذات فإننا بحاجة إلى المحور العاطفي الذي يكشف عن الأفعال التي تساعدها في تأمين وضعها أو زعزعته ، وهذا يتمثل بما بعد منحها القوة من تأييد في تحقيق الحق بتوفيق الله ، والتحول من خط المعصية إلى خط الطاعة ، والسداد في الرأي ، والصحيح في القرار، وبالنتيجة إثارة العقل بالحقيقة ، وتجميل القلب بالعاطفة السليمة ، والانفتاح في عمق المشاعر على الجانب الذي تنال فيه الرضا ، وهذا ينقل الذات في محورها العاطفي إلى الأمن والعيش باطمئنان، وفي مرحلة الانفعال العاطفي دمج الدعاء ما بين عاطفة الرحمة التي انطلقت في ظل المغفرة ، وما بين عاطفة الحب في الميل إلى كل ما يجلب الطاعة والتقرب من الله ، أما في مرحلة التهذيب فإن المخطط النظامي تجلى في المقطع الأخير من الدعاء ، بما فيه من انفعالات واهتزازات يثيرها القلب في همساته الخفية ، والإيحائية في نبضاته ، وما يخرج عن الأعضاء من حركات في أوضاع مختلفة ، وما في العيون من لمحات حسنة ، واختلاف في الكلام جراء تنوع اللهجات ، وهذا يجسد لنا العلاقة القائمة بين الذات والجسد وما يظهر من علامات تنقل الإحساس وتربطه مع التغييرات الخارجية للجسد، لأن((الجسد يمتد إلى العالم وعياً عبر لغة الحواس

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٢٢٦.

الخاصة، فالبصر لغة صورية، والسمع لغة صوتية، والشم لغة عضوية بالمعنى الكيميائي للمفردة، واللمس لغة شيئية، والتذوق لغة جمالية، ولعل القاسم المشترك في اللغات الخمس هو تفعيلها لآلية التواصل المستمر بين الجسد ومفردات عالمه المتباينة))[1]، فتكون ضمن إطارها الايجابي الذي يتجه باتجاه الخير الحاصد لثواب الله ، والابتعاد عن الشر الجالب للعقاب ، فتقابل القيم الإيجابية مع العواطف الداخلية بالاشتراك مع الإدراك الخارجي ، فإن الذات أصبحت في ينابيع الرحمة الإلهية ، ومعنى الحب النابع من عمق الصفاء ونور الإيمان.

قد تتنوع أساليب طلب العفو والتوبة فتأتي تارة مباشرة وتنفتح عبر وسائل مختلفة تلامس النفس ، وتارة أُخرى تحرك العواطف ، من ذلك ما جاء في الدعاء الآتي : ((**قَدْ تَرَى يَا إلهِي فَيْضَ دَمْعِي مِنْ خِيفَتِكَ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَانْتِفَاضَ جَوَارِحِي مِنْ هَيْبَتِكَ، كُلُّ ذَلِكَ حَياءً مِنِّي لِسُوءِ عَمَلِي، وَلِذَاكَ خَمَدَ صَوْتِي عَنِ الْجَأرِ إلَيْكَ، وَكَلَّ لِسَانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ يَا إلهِي. فَلَكَ الْحَمْدُ، فَكَم مِنْ غَائِبَة سَتَرْتَهَا عَلَيَّ فَلَم تَفْضَحْنِي، وَكَمْ مِنْ ذنْبٍ غَطَّيْتَهُ عَلَيَّ فَلَمْ تَشْهَرْنِي، وَكَمْ مِنْ شَائِبَة أَلْمَمْتُ بِهَا فَلَمْ تَهْتِكْ عَنِّي سِتْرَهَا، وَلَمْ تُقَلِّدْنِي مَكْرُوهَ شَنَارِهَا، وَلَمْ تُبْدِ سَوْأَتَهَا لِمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِبِي مِنْ جِيْرَتِي، وَحَسَدَةِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي...**))[2].

إنَّ مراقبة النفس ومحاسبتها ومحاكمتها يُعدّ طريقة متكاملة تسعى الذات فيها إلى تنظيم أفكارها وانفعالاتها في سبيل تقديم حالة الاستقلال من الذنوب ، وهذا يترك حضوراً وتأثيراً تكون له حساسيته في اليقظة العاطفية والتي ظهرت في الدعاء وهي حاملة لعاطفة الخوف والخشية ، وقد عملت على تصحيح مسار الذات عبر مراقبة مشاعرها وتوجيهها بالوجهة التي تجعلها في مأمن من الوقوع في الخطأ ، فالكفاءة

(١) عفيفي مطر وسميوطيقا الجسد ، صبحي موسى : ٤٣٧ . (بحث)

(٢) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٧٢– ٧٣.

في معرفة الفعل والوعي بالأشياء المحيطة بها منحها ثقة ذاتية ، في وجود لمسة الرحمة الإلهية وعفوها ، والقدرة على القيام بتصوير تلك الحواس ، وهي على استعداد كامل بأداء واجبها من النطق بتلك الانفعالات والمشاعر الداخلية ، وإشراكها مع الادراكات الخارجية ، والبوح بالألم الواقع وإنجازه بكل مرونة وانسيابية ، مما يثبت تراكم تلك المشاعر في عمق الذات ، وهذا ما جعلها تعيش حالة الاضطراب ضمن محورها العاطفي في لحظته ، فتحولت تلك الأحداث الداخلية إلى أفعال خارجية ظهرت عبر تلك الجوارح ، فكل ما خرج من دموع خوفاً من الخالق ، وما سجل من خفقات القلب المذعورة خشية من العقاب ، واهتزاز جميع الأعضاء هيبة منه ، وتوقف اللسان عن الدعاء ، وخمود الصوت ، هي في الواقع لا تهدد أمن الذات إنما هذا الاضطراب كانت الغاية منه هو تهدئة النفس ، وتحويل تصوراتها من الجانب السلبي إلى الجانب الايجابي ، مما يجعل الدعاء في محل التوبة حركة في الفكر والانفعال والعمل به ، ومما يجعل الجسد وسطاً بين الإحساسين الداخلي وما فيه من كبت ، والخارجي وما يظهر فيه من انفعال ، كما يتضمن تفاعل الذات مع محيطها ، وتجسديها حركياً بمجموعة من العواطف التي تنتاب الذات سواء أكانت مفرحة أم محزنة[١] ، مما ساعدها على التفوق في يقظتها العاطفية واستعدادها في البوح بانفعالاتها والتغلب على المواقف التي وضعت فيها ، وهذا يعني أن النظام الذي تقوم عليه العاطفة مرتبط بالكفاءة والقدرة للقيام بالفعل ، مما يمنحها صيغة التحول من حالة إلى أخرى ، لتشكل نظاماً يولد المعنى العاطفي ، الذي يكون مسؤولاً عن عملية التمظهر في القصد ، فضلاً عن الإدراك في سياقه[٢] ، وبعد التحولات الانفعالية التي عاشتها الذات تفصح عن نوع الانفعال الذي استقرت عليه

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٢٣٥ .

(٢) ينظر : المداخل المفاتيح لسيميائيّة الأهواء : ٨٥ – ٨٦ .

في المقطع الثاني من الدعاء ، فكانت الألطاف الرحمانية التي امتدت مع الشعور الداخلي وحضوره الخارجي ، بالهدوء من تلك العاطفة التي تجلت بالستر على الذات ، وعدم نشر عيوبها وقبائحها المخجلة بين العباد في الحياة الدنيا ويوم القيامة ، مما يثقل سمعها ويسوء بها ، إنما فُعل ذلك لطفاً وكرماً ورحمةً للذات ، وهذا يفتح الآفاق في التعمق باختيار المفردات التي تساعدها في تصوراتها على عمق العفو الإلهي ، عبر عناوين متنوعة ، ووسائل مختلفة.

ولا يختصر المخطط النظامي على نوع معين من العواطف ، إنما تتنوع فيه ، فمنها ما تأتي متكاملة من حيث مسارها العاطفي ، ومنها ما تقتصر على مراحل محددة ، من ذلك الدعاء الذي يقول فيه الإمام (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْ آباءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَوْلاَدَنَا وَأَهَالِينَا وَذَوِي أَرْحَامِنَا وَقَرَابَاتِنَا وَجِيْرَانَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُ فِي حِرْزٍ حَارِزٍ، وَحِصْنٍ حَافِظٍ، وَكَهْفٍ مَانِعٍ، وَأَلْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَناً وَاقِيَةً، وَأَعْطِهِمْ عَلَيْهِ أَسْلِحَةً مَاضِيَةً. أَللَّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذلِكَ مَنْ شَهِدَ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَخْلَصَ لَكَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَعَادَاهُ لَكَ بِحَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَاسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الرَّبَّانِيَّةِ...**))[1].

تنحصر المراحل العاطفية ضمن المخطط النظامي في هذا الدعاء ، إلاَّ أنها تنفتح عبر المدة الزمنية ما بين الماضي والحاضر والمستقبل ، لنكون في داخل دائرة عامة لا تختص بجانب معين ، إنّما تسير نحو الموقع الإيماني من العقيدة الإسلامية ، وما يخرج عن العقيدة من ديانات مختلفة ، وتجلت اليقظة العاطفية داخل سلسلة الدعاء وهي حاملة لهوية الكره العاطفية نحو عنصر الشيطان ، وقد انطلقت المرحلة الزمنية في يقظتها العاطفية ضمن مقطع الصلاة على النبي وآله

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٧٩ – ٨٠ .

الأطهار (صلى الله عليه وآله وسلم) مستعيناً بهم في البدء بالدعاء ، إذْ يمثل هذا المقطع النداء الإلهي عند المسلمين في الجانب الأول ، وفي الجانب الثاني توجيه الأمة في ارتباطها الشعوري ولإحساسها بقيمته الروحية ومنزلته عند الله ، والجهد الذي بذله في تبليغ الرسالة ، والمحبة والرحمة والرأفة التي ظهرت في أفعاله وأقواله مع أبناء أمته ، مما ولد التفاعل النبوي الروحي معهم في حياتهم الخاصة والعامة[١]، ثم ينتقل الدعاء إلى موضوعه القائم على كره الشيطان ، والحديث عن الإحاطة من كيده – بفضل الله ووقايته وحمايته من كيد الشيطان – وما يقع من سوء تأثيراته وهجماته ، على أنفسنا وعلى كل الموجودين في المجتمعات القريبة منا ، من الآباء والأمهات والأولاد والأهل وذوي الأرحام والأقارب والجيران فضلاً عن كل المؤمنين والمؤمنات ، فشمول كل هذه الفئات بما يحافظ على مجتمع متكامل في إيمانه ونهجه السليم ، مما يرفع من معدل كفاءة الذات في الإطلاع على مدركات الأمور التي تجلب الشر لها ، وقدرتها على مراقبة مشاعر الآخرين ، بما يوجه أفكارهم وأفعالهم في الابتعاد عن حصن الضلالة ، والمحافظة على الموقع الإيماني فـ ((علاقة الذات الاستهوائية بالعامل الموضوع انجذاباً واتصالاً ومقصدية ، ويتم ذلك التفاعل الاستهوائي الإدراكي عن طريق فضاء الحس والجسد ، كما يجب الإحاطة الضمنية المضمرة التي تجعل المرئي معقولاً وقابلاً للإدراك))[٢]، وحتى ندخل في مرحلة الاستعداد التي تتطلب انكشاف الأداء العاطفي بوقوع ألمه أو لذته ، فإن التعبير عنه يكون عبر وسائل يتسلح بها المؤمن حتى يتمكن من تحصين نفسه ،

---

(١) ينظر : آفاق الروح في أدعية الصّحيفة السجّادية ، آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله : ١ / ٥٦ .

(٢) السيميوطيقا السردية (من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء) ، جميل حمداوي : ١٣١.

وإدخال الآخرين في هذا التحصين ، فيكون بحاجة إلى المدد الإلهي الذي يعطيه القوة في التصدي للشيطان ، ويمنحه العمل على الاجتهاد الفكري والشعوري ، لذا فهم يدخلون في حصن الخالق ، وفي أمنه الذي يبعد عنهم الخوف وينفيه ، والمناعة التي تقيهم وتحميهم من كل تأثيراته ، فضلاً عن إبعادهم عن الضلال وتوجيههم نحو الهدى ، لتعود مرحلة اليقظة العاطفي في المقطع الثاني من الدعاء ، ليصرح فيه عن توسيع دائرة الدعاء لمن دخل من جميع القوميات في نهج الربوبية ، ممن انفتح على آفاق الوحدانية ، وعاشوا التوحيد ، ورفضوا كل ما قدم لهم الشيطان ، وعملوا على تنوير عقولهم ، وإضاءة مشاعرهم بالوعي والحكمة والإيمان ، وهذا ما جعل الزمن ممتداً ما بين الحاضر وما بين الماضي البعيد ، وحتمية وقوعه في المستقبل ؛ لأنه لا يخص زمناً محدداً.

وتتعدد وجوه عاطفة الرحمة ضمن المخطط النظامي لتتنوع الأدعية والمناجاة فيها نحو ما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام) : ((**فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ حَائِلٍ خَفِيٍّ، قَدْ تَطَأْطَأَ لَكَ فَانْحَنى، وَنَكَّسَ رَأسَهُ فَانْثَنَى، قَدْ أَرْعَشَتْ خَشْيَتُهُ رِجْلَيْهِ، وَغَرَّقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيْهِ، يَدْعُوكَ بِيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا أَرْحَمَ مَنِ انْتَابَهُ الْمُسْتَرْحِمُونَ، وَيَا أَعْطَفَ مَنْ أَطَافَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، وَيَا مَنْ عَفْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَيَا مَنْ رِضَاهُ أَوْفَرُ مِنْ سَخَطِهِ، وَيَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجاوُزِ...**))[1].

تتداخل المراحل المهمة في المخطط النظامي لتظهر حاملة لعاطفة قد دمجت ما بين أسلوب التوبة ، وعاطفة الرحمة الإلهية في سبيل الحصول على تلك العاطفة ، فتخصيص الهوية العاطفية إنما تطلب توجيه الذات الإنسانية نحو الوجهة الصحيحة الآمنة ، ولهذا فإن حدوث التوبة جاء متسعاً باتساع الزمن ما بين قلب متمرد على

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٥٧ – ٥٨ .

الماضي ، ومنفتح على المستقبل بالاستقامة والتجدّد ، ووقوع مرحلة الاستعداد ضمن المشاعر والانفعالات المستعدة على تصوير مشهد ، ينطوي على لذة الانفتاح في الأفكار الطاهرة والمشاعر النقية ، فيقدم قلباً طاهراً بالمحبة والنقاء بعد الإنابة ، ليفصح عن مرحلة المحور العاطفي وما ينتاب الذات هنا من اطمئنان وسكينة منطوي على عواطف يمثلها مفهوم الاستهواء ، الذي يعرف بأنه القوة الانفعالية التي تتشكّل منها العواطف ، والأساس الذي يستند إليه في رسم عالم خطاب العواطف ؛ لأنه البداية الأولى لكل تركيب ، تتكون فيه الانفعالات وتتشكّل وتتلاشى عن طريق أحاسيس تنساب داخل مآل الحركة ومنتهاها ، وبؤرة التحولات والنمو المتصاعد وأحياناً الهابط ، الذي يؤدي إلى خلق حالة من التوازن ، تسعى إلى إبراز الدلالة عبر إرادة دالة على الرغبة ، وإرادة دالة على القصد[1] ، وهذا يرتبط بالقدرة على استهداف الموضوع ، فضلاً عن قدرة الوعي في توجيه الموضوع ، وتحديد علاقة الذات مع محيطها الخارجي ، وعبر تحديد الأدوار الباتيمية الحاصلة من الاستثمار الانفعالي ، بالجمع ما بين الإدراك الداخلي والإدراك الخارجي الذي يكون حضوره قوياً مجسداً بتلك التغييرات الجسدية التي تنتاب الذات بعد تحولاتها الانفعالية انطلاقاً من صوتها الخفي الرقيق في ظل أجواء التذلل ، ثم انحناء رأسها خضوعاً وخشوعاً ، رغبة وإرادة ، حتى تمكن الخشوع من كيانها وظهرت الرعشة والاهتزاز ، وسالت الدموع تعبيراً عن محبة دمجت باللوعة والخوف ، فقوة الانفعال كامنة في الذات عبر دالة الجسد ، التي تمثل حركة للانفعال المتجسد في علاقتها ، والتي رافقت التعبير عن حالات الأفعال المرتبطة ما بين الانفعال والجسد والعبارات الدالة عليه في نص الدعاء ؛ لأن الذات في الواقع بدون العبارات الجسدية لا تعبر عن العاطفة التي تدفعها اتجاه الحب مثلاً وهي في حالة من الخوف أو الغضب أو الهدوء ، ولكن لا

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ٣٠- ٣١ .

تظهر حبها وهي في هذه الحالة ، إنما ينقل ذلك الجسد بصورة مباشرة نتيجة شدة الانفعال التي تلقاها دفعة واحدة أو على دفعات عدة ، فتظهر التغييرات بشكل ملحوظ كالقلق أو الارتعاش أو الضحك أو الصراخ أو احمرار الوجه وتغيير ملامحه، ولا يعني هذا إعطاء حالة عاطفية إنما التعبير عن حدث عاطفي يصبح معروف لدى الجميع ، لأنها تصبح في المخطط العاطفي قضية جماعية تفسح مجالاً للتمثيلات الملاحظة ، وإمكانية تقييمه[1] ، وهذه الإمكانية تظهر في مرحلة التهذيب حينما تنطلق الكلمات صارخة في تنوع الاستعطاف ، والانفتاح على آفاق الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء ، ولم يبلغ حدّها شيء ، لأن الذات في جميع أوقاتها تنظر إلى مواقع الرحمة التي انفعلت من أجل الوصول إليها ، لتحصل على تقييم داخلي يشعرها بالراحة والاطمئنان ، وتقييم خارجي يحفظ لها وجودها وكيانها بين أقرانها .

إن تنوع العواطف في النص الواحد ليس بالضرورة إتيان المخطط النظامي متكامل في مراحله ، نحو ما نجده في الدعاء الآتي : ((**إلهِي أسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الْوَاجِبِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْمِكَ الْعَظِيْمِ الَّذِي أَمَرْتَ رَسُولَكَ أَنْ يُسَبِّحَكَ بِهِ، وَبِجَلاَلِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الذِي لاَ يَبْلى وَلاَ يَتَغَيَّرُ، وَلاَ يَحُولُ وَلاَ يَفْنى، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَنْ تُغْنِيَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِعِبادَتِكَ، وَأَنْ تُسَلِّيَ نَفْسِيْ عَنِ الدُّنْيَا بِمَخَافَتِكَ، وَأَنْ تُثْنِيَنِي بِالْكَثِيْرِ مِنْ كَرَامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ، فَإِلَيْكَ أَفِرُّ، و مِنْكَ أَخَافُ، وَبِكَ أَسْتَغِيثُ، وَإِيَّاكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، وَإِلَيْكَ أَلْجَأُ، وَبِكَ أَثِقُ، وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ، وَبِكَ أُؤمِنُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَعَلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَتَّكِلُ**))[2].

(١) ينظر : سيمياء العواطف في قصيدة " أراك عصّي الدّمع " لأبي فراس الحمداني : ١١٥.
(٢) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٢٥٨.

تتجلى عاطفة الرحمة متعانقة مع عاطفة الأمن ممزوجة بعاطفة الخوف ، في مخطط نظامي سجل بحسب سياق الحقل الدلالي الذي وردت فيه العاطفة ، فتكمن اليقظة العاطفية في أسلوب التوسل بالذات الإلهية في مقام الإيمان والاعتراف بتوحيد الله ، فالتوجه نحو تخصيص الهوية العاطفية وتوجيهها توجيه سليم ، صادر عن وعي الذات وقدرتها على إدراك الأشياء التي حولها ، فالذات على يقين تام بقوة الخالق وقدرته ، لذا فإن التصديق بأنبيائه ، والإخلاص في عبادته ، الذي يعدُ حقاً واجباً يتقرب به من يريد النجاة ، وكذلك باسم الخالق الذي لا يعرف سره سواه ، والذي أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يسبح به ، وبجلال وجهك يا رب، الذي لا يتغير ولا يتحول ، وهذا يدخل في تخصيص عاطفة الرحمة التي منَّ الله بها على خلقه، ثم يكون هناك توجيهاً آخر في نفس العاطفة يدخل في حيز الشمول بجميع ما ذكر سابقاً وإدخالها في حقل الصلاة على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم ينتقل المسار العاطفي إلى مرحلة المحور العاطفي عند جملة (أَنْ تُغْنِيَنِي عَنْ كُلِّ شَيْء)، فنصبح أمام لحظات مهمة تحدد مصير الذات في وجود الأحداث وتفاعلها ، والخروج منها بنتيجة قد تهدد أمنها أو تجعلها في استقرار ، وهنا تبحث عما يخلصها من هذا الوضع ، فلا طريق أمامها سوى(العبادة ، المخافة في مقابل الابتعاد عن تسلية الدنيا ، الثناء عبر الرحمة الإلهية) وهنا تظهر عاطفة الأمن التي تنفتح ممزوجةً بالخوف الذي يشغل الذات عن المعصية ، وبالرحمة التي تدخلها في كل بركة ، وتحقق لها الشفاعة والنجاة ، لذا فإننا بحاجة إلى رصد واختزل الأهواء البشرية الانفعالية من أجل استقطاب الذات لتكوين الهوى، حتى تنتقل من مرحلة المجرد (نمط شروط تكون الدلالة) إلى مرحلة الملموس(التخطيب)عبر بروز الذات الاستهوائية [1]، وما بين الانفعال الداخلي والإدراك الخارجي تتجلى

(١) ينظر : أهواء الشخصيات في (حكاية التاجر أيوب وأبنه غانم وأبنته فتنة) حكاية من ألف

الذات في حضورها وقوة انفعالها حينما يكون الفرار والالتجاء معاً نحو الذات الإلهية، وكذلك الإقبال والإعراض، والاستغاثة في النصر والمعونة ، والالتجاء في طلب الفضل ، والحصول على الرحمة والمغفرة والإحسان في سبيل تحقيق الأمن والسعادة ، والثقة في كل الاهتمامات ، والتوكل في حاجات الدنيا كلها ؛لأن الذات المقدسة هي الملاذ الوحيد في الأمور جميعها، مما يساعد الذات على تحقيق مرحلة التهذيب عبر التقييم الذي استطاعت الوصول إليه بوساطة عاطفة الرحمة التي كانت غالبة على الأحاسيس والمشاعر ؛ لأنها موجه إلى أرحم الراحمين.

تتمازج العواطف في نصوص الصّحيفة السجّادية تمازجاً يكاد أن تكون العواطف فيه كأنها كتلة واحدة ، فتأتي عاطفة الرحمة متداخلة مع عاطفة الحب ، متقابلة مع عاطفة الكره من ذلك ما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام) :((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبُرتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ وَلا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ...**))[1].

يتضح من النص أَنّ اليقظة العاطفية تجلت في التطلعات الروحية المرتبطة بكل الحاجات الصغيرة والكبيرة للذات الإنسانية ، وهي في حالة ضعفها وقوتها ، وفي تعبها وراحتها ، والتي تكون مشدودة إلى رحمة الله ولطفه ، في موضع الضعف قوة ، وفي موضع التعب راحة ، إذ شكلت منبهات انفعالية تكتسبها الذات في معرفة القصد ورغبة على تجاوز المعوقات ، مما يعني أن القيمة التي تمنح في حالة العواطف إلى موضوع ما لا تحدد عبر بعدها النفعي فحسب ، إنما عبر ظلالها

ليلة وليلة – مقاربة سيميائية– ، سهام صالح العبودي : ٥٧ . (بحث)

(١) الصّحيفة السجّادية الكاملة : ٨٩.

الدلالي المكتسب بطبيعته الانفعالية[١] ، وهذا يولد شعوراً في الدخول إلى مرحلة الاستعداد وتوافقها في تحقيق عاطفة تكسبها الهوية الصيغية من كفاءة توصلها إلى ذروة المسار العاطفي ، المتمثل بالابتلاء والاستسلام للكسل الذي يصاب به الجسد في موضع العبادة ، فالكسل يفقد الجسد حركته والروح حيويتها ، لكن العبادة تمنح الجسد نشاطه والروح إيمانها الذي يفتح آفاقها في البحث عن أعماق العبودية الكامنة في نفسها ، فتدخل في حيز المحور العاطفي الذي تكون فيه الذات ما بين تهديد لأمانها أو استقرار ، يحدد وفقاً للأحداث والأقوال الصادرة عنها ، فتفصح عن التحرك في اتجاه كل ما يحقق محبة الذات الإلهية ، والاجتماع مع من يجتمعون في روحهم وقلبهم مع الله ، والافتراق عن كل من أغلق روحه وعقله عن الله ، فتحصل الكفاءة في انجاز الموضوع بالحصول على اللذة التي تبحث عنها الذات فتلامس تلك العواطف روحها وتغذي عقلها ، وما بين التحولات الانفعالية التي مرت بها الذات فإنها كانت في حالة اختبار نفسي من أجل تجاوز الأسباب التي تحبط من كفاءتها وقيمة موضوعها تجلى في (عدم الابتلاء بالكسل ، عدم العمى عن سبيل الله ، معارضة ما يخالف محبة الله ، مفارقة من تفرق عنه ، والاجتماع مع من يجتمع له) ، وهذا جعل الذات في تقييمها محدداً بالجانب الايجابي.

والمخطط النظامي من المخططات التي تمر عبرها العواطف الإنسانية وما يعتري النفس من مشاعر وانفعالات مختلفة ، تحدد انطلاقها في المسار العاطفي في مراحل مهمة وأساسية ، فتعطي معرفة عن كيفية تكّون اليقظة العاطفية ، واستعداد الذات في طرح انفعالها واضطرابه أو انضباطه ، والكشف عن نوع العاطفة المتجلية في

(١) ينظر : سيميائية الأهواء ، مريم أجرعام

"https://diwanalarab.com

الخطاب ، فضلاً عن الإفصاح عن مرحلة تهذيب العاطفة ، وقد تشكلت العواطف في أدعية الصّحيفة السجّادية عبر أنواع مختلفة من العواطف ، كما أنها وردت مرة مكتملة في مراحل المخطط ، ومرة أخرى في قسم من مراحله .

الفصل الثاني

البناء النموذجي للعوامل العاطفية في الصحيفة السجادية

المبحث الأول: سيمياء العوامل العاطفية للرحمة والظلم

المبحث الثاني : سيمياء العوامل العاطفية للحب والكره

المبحث الثالث: سيمياء العوامل العاطفية للأمن والخوف

البناء النموذجي للعوامل العاطفية في الصحيفة السجادية

توطئة

تتكون البنية بصورة عامة من عوامل تأخذ على عاتقها حمل القضية، وهذه العوامل ما هي إلَّا انضمام المفردات في جمل مفيدة ، فيها معنى، ولها مقصدية ، وبالتأكيد فإنها ليست ثابتة أو جامدة في النص ؛ لأن الفاصل في ذلك إنما هو الممارسة الفعلية التي يقوم بها صاحب الخطاب، فيتعلّق الأمر في هذه النقطة على تخصيص الهويّة العاطفيّة للعامل ، عن طريق ترتيب البعد العاطفي (الانفعالي)، وجعله بُعداً تنظيمياً، تركيبياً، دلالياً في الخطاب ، وتعتمد البنية بلا شكّ على أسس ومرتكزات موجودة ومتضمنة في الثقافة السائدة في محيط ما ، والمحدّد والكاشف لهذه البنية هو طبيعة تلك الثقافة التي مثّلت أنظمة جماهيريّة ، عُدَّت نسقاً سيميائياً سابقاً في النشأة ؛ لأن سيمياء اللسان هي اللبنة الأولى في تشكّل نسق الدلالة المتمركز في الخطاب، سواء على صعيد العلاقات التوزيعية، أم على صعيد العلاقات الاندماجية. وبنية العواطف كأيّ بنية تقوم على تلك الأسس، التي تكون مابين اتصالية وانفصالية، من منطلق أن العواطف تتجه باتجاهات متناقضة، تتأرجح ما بين الرحمة والظلم ، الحب والكره ، الخوف والأمن.

ولكل إنسان عواطف و انفعالات طبيعية تتبني في داخله، وتحتاج دائماً إلى إفراغ في وعاء ما، وهذا الوعاء لن يكون سوى حاضنة الأدب، الحاملة لهذه الانفعالات، فينقلها إلى المتلقي، ويتأثر بها ويحيا وكأنّه من شخوص العمل الأدبي[١]، فالعواطف ((هي جزء من الأجهزة التنظيمية الحيوية الضرورية لبقائنا، ولهذا السبب نجد العواطف في أجزاء

(١) تذوق الأدب – طرقه ووسائله – ، محمود ذهني :١٦.

مختلفة من العالم وعبر ثقافات مختلفة، تميّز بمنتهى السهولة))[١]، وهذا يعني أن الاختلاف في التعابير في الثقافات المختلفة، يجعل العلاقات ممكنة، ومتاحة، تستطيع اجتياز الحدود بين البيئات المختلفة.

ومفهوم الدّلالة من المفاهيم المركزية التي يدور حولها نشاط السيميائية، ولاسيما سيمياء غريماس، فالسيميائية لا تبحث عن دلالات سابقة أو جاهزة التكوين، إنما هي تبحث في شروط إنتاج، وتداول، واستهلاك الدلالة؛ لأن ما يهتم به النشاط السيميائي ليس المعنى المجرّد المُعطى؛ لأنه مرحلة سابقة على الإنتاج، بل يبحث عن المعنى من حيث هو تحقّقات متنوّعة ، وسيرورة مستترة ، ونسق تواصلي؛ لفهم ما ينتجه الإنسان عبر لغته وسلوكه وجسده، ميزتها التمّنع والاستعصاء على الضبط[٢]. فالدلالة تبحث عن دراسة المعنى من حيث الدلائل الموجودة فيه، سواء أكانت هذه الدلائل لغوية / كلمات، أم غير لغوية / علامات، إشارات، رموز، والدلائل اللغويّة ترتبط بالمعنى، الذي يرتبط بدوره بالحياة النفسية للمُلقي وتأثيره التواصلي بالمستمع، فضلاً عن ارتباطها الواقعي بالحياة الاجتماعية، وهذا يعني أن الدلالة تشتغل في ضوء الآليات الفيزيولوجية والسيكولوجية، والتي تكون متغيّرة تبعاً لتغيّر المعنى؛ لذا فإن القيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها، فالدلالة ظاهرة ثقافيّة تربط الفرد بكل ما يحيط به في مجتمعه[٣]، وتعمل هذه الروابط عمل العلامات؛ لأنَّ العلامة تمثّل منهجاً متحقّقاً في جميع الظواهر الثقافيّة والاجتماعية، فتدرس الظواهر غير اللغويّة على أنّها نموذج من نماذج السيميولوجي

(١) الشعور بما يحدث (دور الجسد والعاطفة في صنع الوعي) ، انطونيو داماسيو ، ترجمة : رفيف كامل غدّار: ٥٨.

(٢) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٥٣ ، وينظر : العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، أمبرتو إيكو ، ترجمة : سعيد بنكراد : ١٢.

(٣) ينظر : علم الدلالة ، بيار جيرو ، ترجمة : أنطوان أبو زيد : ٦-٧-٨ .

اللغوي، ولا سيما في الميادين التي تفتقر إلى مشاهد الطبيعة، من مثل الأدب والأساطير وغيرها[١]، وهذا الحديث يقودنا إلى العلامة التي تعد جزءاً بنيوياً ضمن علم الدلالة، فالعلامة في السيميائية تقسم على ثلاثة أقسام: العلامة عند سوسير (الدال / المدلول)، والعلامة عند بيرس (كياناً ثلاثياً يتضمن (تركيب ، دلالة ، تداول))، أمَّا عند غريماس تتمثل في (العلاقات الرباعية)، التي تتبني وتقوم على النموذج العاملي .

عمل غريماس على وضع نموذج ،عاملي ، شامل ، لديه مقدرة على احتواء مختلف أشكال النشاط الإنساني ؛ لأنه: ((يمثّل شكلاً قانونياً لتنظيم النشاط الإنساني، أو هو النشاط الإنساني مكثفاً في ترسيمة ثابتة رغم تغيّر عناصر تمظهرها))[٢]، وهذا النموذج يتكوّن من ستّة عوامل، تجمعها ثلاث علاقات، وهي مقسمة بحسب الآتي[٣]:

١ – الفاعل/ الموضوع: وهذان العاملان ينتميان إلى (علاقة الرغبة)، وهذه العلاقة تعد بؤرة النموذج العاملي؛ لأنها تكون محمّلة بالشحنة الدلاليّة الكامنة في الرغبة، وهما أكثر العوامل أهمّية في النموذج العاملي، بوصفهما عماد كل فعل إنساني، فالذات ترغب في موضوع ما، وعلى أساس هذه الرغبة تتحدد عمليَّتَي (الانفصال / الاتصال)، ومن ثمَّ نصبح أمام ملفوظ اتصالي، يعبّر عن رغبة انتقال الفاعل من حالة انفصال إلى حالة اتصال، ويرمز له بالرمز (ف ٨)، أو أمام ملفوظ انفصالي يعبّر عن انتقال الفاعل من وضعيّة اتصال موضوع إلى انفصال، ويرمز له بالرمز (ف٧).

---

(١) ينظر : فردينان دوسوسير – تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات – ، جوناثان كللر ، ترجمة : محمود حمدي عبد الغني : ١٣.

(٢) مدخل إلى السيميائية السردية ، سعيد بنكراد : ٤٦ .

(٣) ينظر : في الخطاب السردي – نظرية قريماس ، محمد الناصر العجيمي : ٤٣-٤٤-٤٦.

٢- المرسل/ المرسل إليه: هذان ينتميان إلى علاقة (التواصل)، يوحي حضورهما إلى وجود عالم مؤسس على منظومة من القيم، يحكم من خلالها بالسلب والإيجاب، فتحل في مرتبة المحرم، أو المباح، أو الواجب، والوظيفة الموكولة للمرسل المحافظة على القيم، وصيانتها، وضمان استمرارها، فالرغبة في تحقيق موضوع ما يكون وراءها حافز أو دافع وهو(المرسل)، الذي يقوم بتحفيز الذات على القيام بموضوع ما لصالح المرسل إليه/ المستفيد منه.

٣- المساعد/المعارض: هذان ينتميان إلى علاقة(الصراع)، فالذات في طريقها إلى تحقيق رغبتها المتّصلة بموضوع ما، تصادف عوامل مساعدة، تقوم بتقديم العون للفاعل، من أجل تحقيق مشروعه العملي، وأخرى معارضة تحول بينها وبين الوصول إلى الهدف النهائي.

والعاطفة وانفعالها يرتبطان بالحالات التي تمرُّ فيها النفس الإنسانية ، ويختلفان باختلاف الموضوع المعالج ، حتى ((بدأنا نفرق الانفعالات والأحاسيس والعواطف كما نفعل اليوم ، الانفعالات مرتبطة بالانطباعات والأمزجة في حالات النفس ، الأحاسيس تبدو أكثر قوّة ، أكثر خصوصية ، وأكثر ثباتاً ، العواطف مرتبطة بالرهاب(phobies) بالهواجس (Obsessions)، بالإدمان(Addictions) ، نعرف الانفعال كاهتزاز النفس والذي يحدث اضطراباً مؤقّتاً مصحوباً بآليات بدائية تصل إلى فقدان التحكّم في السلوك، ويظهر ذلك عبر انفجار أو انهيار العاطفة بالمقابل تستقر في المادة حتى وإن كانت عابرة ، وتحدّد تصرّفاً نشيطاً بقوّة ،وتميّز أسلوب شخصية مركّزة على موضوع ثابت))[١]، فثبات الموضوع يرتبط بالخطاب وصاحب الخطاب من جهة ، ومن جهة أخرى يرتبط بنوع العاطفة إذا كانت في الجانب الإيجابي أو في الجانب السلبي ؛ لأنها تُحدث تأثيراً

(١) سيميائية التوتر وعلاقاتها بتفاعلات الأهواء في السينما المغاربية ، هشام عبادة : ٢٢. (أطروحة دكتوراه) .

مباشراً في النفس ، وتترك أثراً واضحاً يتلمّسه القارئ بين ثنايا الخطاب ، ولاسيما أن هذه العواطف تتوزّع ما بين كفّتين، فمثلاً عاطفة الرحمة في مقابلها عاطفة الظلم ، وعاطفة الحب تقابلها عاطفة الكره ، وعاطفة الخوف تقابلها عاطفة الأمن ، والعواطف كثيرة ومتنوعة، وما يعنينا منها ما توفّر في الصحيفة السجّادية بحسب الكثرة، وبحسب القضيّة المعالجة وحجمها، وكذلك الجمهور المُستمع، ونوع الجمهور، فالتنوّع في هذه النصوص من جهة، وصدورها عن شخصية الإمام السجّاد(عليه السلام) من جهة أخرى، فقد صدرت عن شخصيّة لا نقاش فيها، شخصية قد امتلكت ناصية البيان والبلاغة من دون منازع، كذلك الظروف التي ولد فيها النص مختلفة من حيث الاضطرابات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والأخلاقية .

المبحث الأول

سيمياء العوامل العاطفية للرحمة والظلم في الصحيفة السجادية

تتأسس عاطفة الرحمة مع نشأة الإنسان ونموّه ، وهي من العواطف غير المكتسبة في الطبيعة البشريّة ، إنّما هي عاطفة فطريّة تتكوّن مع فطرة الذات ، فالإنسان نشأ بقوّة الرحمة وقدرة المحبّة والتعاطف والحنان ، فالرحمة والمودّة فيها راحة النفوس واستقرار المشاعر، ورحمة الله جلّ اسمه هي الأصل؛ لأنه الرحمن الرحيم ، الذي شمل برحمته جميع الخلائق، ومن مصاديق رحمته أرسل نبيّه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة للعالمين ، فقال في كتابه الكريم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١] وذلك لأن ((العالم كلّه مخلوق ومسخّر لخدمة الإنسان ومصلحته ، الأمر الذي يعني أن الإنسان في الخطاب الإلهي هو مركز الكون وغاية الوجود))[٢]، وفي مقابل عاطفة الرحمة تقف بالضد منها عاطفة الظلم ، التي تكون مكتسبة جرّاء الأفعال التي تقع في بيئة الإنسان، فتصاحبه هذه العاطفة نتيجة السلوكيات والأفعال الصادرة عنه ، وتقع على الآخر الذي يمارس عليه فعل الظلم ؛ لأن الذات تقوم بعملية التحوّلات التي تحدث بين الحالات، الذي يتولّد عنها فعل محول بعملية الذات الفاعلة عن طريق استهدافها لملفوظ الحالة، بعده موضوعاً لها ؛ لأن ملفوظ الفعل يتحكّم بملفوظ الحالة ، وهما تمثيلاً دلالياً للأفعال والحالات[٣] ، فتتولّد البنية في المسارات الدلالية عن تلك الانشغالات ، التي تنتج عن العلاقات الداخلية، من الألفاظ المكوّنة للنص، وهذا يمثّل نسقاً سيميائياً مفتوحاً على

---

(١) سورة الأنبياء :الآية: ١٠٧.

(٢) دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة – ، د. نصر حامد أبو زيد : ١٤٩.

(٣) ينظر : طرائق تحليل السرد الأدبي ، مجوعة مؤلفين : ١٩١-١٩٢.

المجتمع والذات، وهذه البنية تحمل الإيحاءات والإشارات، التي ترسلها الأفعال أو الآثار الإنسانية، التي يكمن فيها نسق متكامل من الأعراف والنشاطات المختلفة[١]، بما فيها النصوص ذات الصبغة الدينية بعدَّها ضمن النتاجات الأدبية ، لأنَّ كل خطاب فيه نظام، وهذا النظام ((يشتق خصائصه من طبيعة العلامات المستخدمة فيه ، ومن نمط العلاقات التي تنشأ بينها ، ومن الوظيفة التي يسعى إلى تحقيقها ، والدور الذي يمارسه في الحياة))[٢]، وقد جاء في خطابات الصحيفة السجّادية بما يؤكّد على وجود هذه العلامات والإشارات التي ارتبطت بعاطفة الرحمة ، والدور الذي تمَّ عن طريق هذه العاطفة ، وكذلك عاطفة الظلم ، التي تجلَّت بالضدِّ من العاطفة الأولى.

١ - سيمياء عاطفة الرحمة

الرحمة لغة : من العطف والرقّة ، ذي منبع ذاتي على المقابل ، وقد جاءت في المعجم اللغوي بهذا المعنى : ((الرَّحْمة الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والمرْحَمَةُ مثله وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه وتَراحَمَ القومُ رَحِمَ بعضهم بعضاً والرَّحْمَةُ المغفرة وقوله تعالى في وصف القرآن هُدىً ورَحْمةً لقوم يؤمنون أَي فَصَّلْناه هادياً وذا رَحْمَةٍ وقوله تعالى ورَحْمةٌ للذين آمنوا منكم أَي هو رَحْمةٌ لأَنه كان سبب إِيمانهم رَحِمَهُ رُحْماً ورُحُماً ورَحْمةً ورَحَمَةً))[٣].

الرَّحمة اصطلاحاً : وهي إحدى أنواع العواطف التي يمتزج فيها الحب ، والتضحية، والعفو، والتسامح وغيرها من الصفات التي تشير إلى التعاطف والتراحم ، وتعد الرحمة

---

(١) ينظر : فردينان دوسوسير – تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات : ١١٠ ، السيمياء العامة وسيمياء الأدب – من أجل تصور شامل : ١٠٦

(٢) السيميائية أحدث العلوم الإنسانية ، كمال أبو ديب : ٦١ . (بحث) .

(٣) لسان العرب : ١٢/ ٢٣٠.

((من صفات الذات وهي إرادة إيصال الخير ودفع الشر فالبارئ سبحانه رحمن رحيم لأن إرادته أزليّة ، أيّ : أن الخالق أراد أن ينعم في الأزل على عبيده المؤمنين))[1]، وقد أخذت عاطفة الرحمة مساحة واسعة في الصحيفة السجّادية ، إذ جاءت موزّعة ما بين عاطفة رحمة متعلّقة بالذات الإلهيّة ، وهذه العاطفة كانت متفرّعة ما بين عاطفة رحمة متعلّقة بالحمد وشكر الله على نعمه ، وعاطفة رحمة بوصفها باباً للعفو والمغفرة ، وعاطفة رحمة متعلّقة بمحو الذنوب ، وعاطفة رحمة عدّت باباً من أبواب الرزق ، وعاطفة رحمة شاملة للعطف الإلهي ، وممزوجة بالعطف المحمّدي ، وعاطفة رحمة متعلّقة بشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تارة ، وتارة بالنبي وآله الأطهار(عليهم السلام)، وعاطفة رحمة متعلّقة بالأشهر والأيام ، مثل شهر رمضان ، ويوم عرفة . ومن النصوص التي جاءت فيها عاطفة الرحمة متعلّقة بالذات الإلهية والتي تشير إلى النعم التي أنعم بها الخالق على الخلق ، من ذلك ما جاء في دعاء الإمام السجّاد (عليه السلام) : ((**إلهِي أَحْمَدُكَ ـ وَأَنْتَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ ـ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِكَ إلَيَّ، وَسُبُوغِ نَعْمَائِكَ عَلَيَّ، وَجَزِيْلِ عَطَائِكَ عِنْدِي، وَعَلَى ما فَضَّلْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَسْبَغْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ، فَقَدِ اصْطَنَعْتَ عِنْدِي ما يَعْجِزُ عَنْهُ شُكْرِي، وَلَوْلاَ إحْسَانُكَ، إلَيَّ وَسُبُوغُ نَعْمَائِكَ عَلَيَّ مَا بَلَغْتُ إحْرازَ حَظِّي، وَلاَ إصْلاَحَ نَفْسِي، وَلكِنَّكَ ابْتَدَأْتَنِي بِالإحْسَانِ، وَرَزَقْتَنِي فِي أُمُورِي كُلِّهَا الْكِفَايَةَ، وَصَرَفْتَ عَنِّي جَهْدَ الْبَلاءِ، وَمَنَعْتَ مِنِّي مَحْذُورَ الْقَضَاءِ...**))[2].

العوامل النموذجية في منهج غريماس تنبني على ثنائيات، وعلاقات تربط بينها ، فثنائية الموضوع / الذات في خطاب الإمام (عليه السلام) قائمة على موضوع عاطفة الرحمة الإلهية ، التي تعد الأساس في وجود هذه العاطفة في الكون ؛ لأن رحمة الخالق

(١) موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمد علي التهانوي ، تقديم: د.رفيق العجم ، تحقيق: د.علي دحروج : ٨٤٧.

(٢) الصحيفة السجّادية الكاملة : ٢٥١-٢٥٢.

وسعت كل شيء ، فرحمة الخالق عامّة يشمل بها عباده جميعاً، والإمام في دعائه ينطلق من حمدٍ وشكرٍ لكلّ النعم التي أنعم بها الله على الإنسان ، من حسن الصنع في الخلق والرزق وغيرها ، فالخالق متفضّل على جميع المخلوقات بالرَّحمة والعطاء ، حتّى يعجز الإنسان عن ردِّ الشكر ، ولولا هذه النعم لما استطاع إصلاح نفسه ، والله هو من أحسن للإنسان بالنِّعم جميعها، وصرف البلاء الذي يُوجب جهد الإنسان ، ومنع القضاء الذي يحذر منه ويخشاه ، والذات التي تبنَّت هذا الموضوع هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) ، انطلاقاً من الدور المحتّم عليه ، من احتواء المجتمع ، وعدم الانزلاق في متاهات الضلال ، التي تعدُّ باباً من أبواب القسوة والظلم ، وتوليد الانفعال الذي يساعد النفس الإنسانية على الانجراف في مسالك الرحمة الإلهية ، عبر التذكير بوجود تلك الرحمة ، التي تمثّلت بالنعم التي لا تعدُّ ولا تحصى ، والعلاقة التي ربطت بين هذه الثنائية انبثقت من رغبة الإمام (عليه السلام) في بثِّ تلك الرحمة الإلهية.

والثنائية الأخرى المرسل / المرسل إليه ، إذ مثل الإمام السجاد (عليه السلام) مرسلاً ؛ لأنه صاحب الرسالة ومنشئ الخطاب ، الذي أقامه من أجل تحقيق غاية، سعى عن طريقها إلى بناء مفهوم ذاتي، في مجتمع أخذ يفتقر لتلك الصفات والعواطف، مع أن هذا المفهوم فطري ، ينبع من ذات الإنسان ؛ لأنه يصدر من القلب ، وهذا المفهوم تتَّصف به الذات الإلهية ، وهذه الصفة عامة وشاملة لكلِّ الخلق ، ونتيجة هذا البناء تمثّلت في التمسُّك بالحمد والشكر للخالق في جميع الأحوال ، وتمثّل عامل المرسل إليه بالفئة الموجودة في عصر الإمام (عليه السلام) ، والعصور الأخرى ، بما فيه العصر الذي نعيش فيه ؛ لأن الخطاب عام لا يخص فئة محدّدة ، إنّما الشُّكر والحمد على النعم والرحمة الإلهية لا تقتصر على زمن معيّن ، والعلاقة التي ربطت بين الثنائية علاقة تواصليّة مبنيّة على رغبة الإمام (عليه السلام) بمعالجة هذه الموضوعات.

وتقوم الثنائية الثالثة على عامل المساعد / المعارض ، إذ مثّلت الألفاظ التي توحي إلى كل النعم مساعداً ، سانداً وعاضداً الذات على طرح الموضوع ومعالجته معالجة سليمة، بدءاً من (الحمد ، وحسن الصنيع ، وجزيل العطاء ، والتفضل بالرحمة ، والإحسان ، والرزق) ، ومثل عامل المعارض (جهد البلاء ، محذور القضاء) ، فهذه الألفاظ تعيق الذات ، ولا تساعدها على إنجاز موضوعها بالشكل الصحيح ، والعلاقة التي تربط بين عامل المساعد / عامل المعارض علاقة صراع ؛ لأنَّ كُلَّ عامل يقف بالضد من العامل المساعد ، على أساس العمل الذي يقوم به.

وأحيانا تأتي عاطفة الرحمة بوصفها وسيلة للعبادة ، والحصول على العفو والمغفرة في الآخرة نحو ما نجده في الدعاء الآتي: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِيْ عِبَادَة، وَفَرَاغاً فِي زَهَادَة، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَال، وَوَرَعاً فِي إجْمَال. اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِيْ عَمَلِي...**))[1].

تقوم ثنائية العامل النموذجي الموضوع / الذات على موضوع الرحمة الإلهية القائمة على العبادة ، والوصول إلى مراحل الزهد في سبيل تحقّق تلك العبادة ، التي يصل معها العبد إلى نتيجة مرضية ، والحصول على الرحمة عبر المغفرة والعفو الإلهي ، وحتى يستطيع العبد الوصول إلى عفو مختوم بالرحمة الإلهية لابد له أن يمتلك أحد مفاتيح استجابة الدعاء ، وهي الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم العروج إلى رزقه بالعبادة السليمة، وجعل أوقاته في الزهد والابتعاد عن ملذّات الدنيا ، وعلماً يستعمله بالعمل الصالح ، وبعيداً عن الشبهات ، من دون الإسراف في الورع ، ثم ختم أعماله بالعفو ، والتفضّل عليه بالرحمة ، حتى يستطيع البلوغ إلى قبول أعماله ، والذات التي

(١) الصحيفة السجّادية الكاملة : ٩٤-٩٥.

تبنّت الموضوع ، وأخذته على عاتقها ذات الإمام السجاد (عليه السلام)، تبعاً للدور الذي يشغله، والعلاقة التي ربطت بين عامل الموضوع / عامل الذات علاقة الرغبة النابعة من نفس الإمام (عليه السلام) ، ورغبته في تبنّي هذا الموضوع ، وطرحه للسامع.

وثنائية المرسل/ المرسل إليه متمركزة في الخطاب ، على أساس أنه لا يمكن أن يكون هناك خطاب دون أن يكون هناك عنصر المرسل ، وطرف آخر يمثل المرسل إليه، إذ مثّل الإمام السجاد (عليه السلام) مرسلاً ، ومثّل جمع السامعين مرسلاً إليه ، والعلاقة التي ربطت بين هذه الثنائية علاقة تواصليّة تقوم على الرغبة من قبل الطرفين.

أمَّا ثنائية المساعد / المعارض فقد تجلّت في الخطاب أيضاً ، إذ جاءت الألفاظ التي توحي إلى(الرزق ، والزهد ، استعمال العلم في المنفعة ، وورعا في إجمال ، الختم بالعفو ، تحقيق الرجاء ، وحصول الرحمة ، والوصول إلى رضا الخالق ، وتحسين الأعمال) ، في حين جاء عامل المعارض افتراضياً تمثّل بعكس تلك الألفاظ من وجود الفراغ واستعماله في غير محله الصحيح ، وامتلاك العلم وعدم النفع به ، والعلاقة التي يعيش في ظلها المساعد / المعارض علاقة صراع، قائمة على إعاقة عمل الآخر .

وقد تأتي عاطفة الرحمة من أجل الحصول على التوبة، بعد الندم ، من ذلك ما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ إنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُنِيبِينَ، وَإنْ يَكُنِ الاسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ. اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَاءِ وَوَعَدْتَ الاجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاقْبَلْ تَوْبَتِي وَلاَ تَرْجِعْنِي مَرجَعَ الغَيبَةِ مِنْ رَحْمَتِك إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ...**))[1].

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٤٠-١٤١.

تتبنـي ثنائيـة الموضـوع / الـذات فـي خطـاب الإمـام (عليـه السـلام) علـى موضـوع الرحمـة الإلهيـة، التـي جـاءت هنـا تمثـل باباً من أبـواب الاستغفار والتوسـل بالذات الإلهيـة، لغفران الذنب والصفح عمّا سلف ، مع أنّنا نعلم أن الله سبحانه غني عن عبادتنا ، وعن عذابنا ، لكن الملاحظ أن الدعاء ممتلئ بالرحمة والعطف ، والتوبة باباً من الأبواب التي يدخل عن طريقها العبد بعد ارتكابه الذنوب ، حتى لا يصل إلى مرحلة القنوط ، بل يتذكّر رحمة الخالق وعطفه على عباده ، وعبر هذه الشروط الإجرائية الثلاثة، التي يقدّم علـى فعلهـا المـذنب ، مـن النـدم والإقبـال علـى التوبـة ، ثـم تـرك المعصـية ، وعمـل الاستغفار، فيا رب كما أمرت بالتوبة وضمنت لنا الإجابة بقبول التوبة ، والصفح عن السيّئات ، وكل هذا نابع من رحمتك وعطفك على عبادك ، تغمدنا برحمتك الواسعة التي وسعت كل شيء . والذات التي عالجت الموضوع ذات الإمام السجاد (عليه السلام)، في سبيل إعطاء وسائل للعباد في التوبة، والعودة إلى طريق العبادة الإلهية ، وإلاَّ فإن الإمام معصوم[1]عن الخطأ وارتكاب الذنب ولا حاجة له للتوبة ، والعلاقة التي ربطت بين عامل الموضوع / عامل الذات علاقة رغبة مفادها تحقيق المنفعة لمن خالف وعاد إلى جادة الحق.

ويتضّمن الخطاب ثنائية المرسل / المرسل إليه ، والمرسل في الخطاب هو الإمام السجّاد (عليه السلام) ، والمرسل إليه جمع السامعين لهذا الخطاب ، بغض النظر عن الزمن، والعلاقة التي ربطت بين العاملين علاقة تواصلية تقوم على الرغبة .

وأيضـاً يتضّـمن الخطـاب ثنائيـة المسـاعد / المعـارض ، إذ مثّلـت الملفوظـات التـي وردت فـي الخطـاب إشـارات إلـى كـل مـا يـوحي إلـى (نـدم التـائبين ، وتـرك المعصـية، والاستغفار ، أمرت بالتوبة ، ضمنت القبول ، حثثت على الدعاء ، وعدت الإجابة)، في

(١) العصمةُ : جاءت في كلام العرب بمعنى المَنْعُ ، وعِصْمةُ الله عَبْدَه أن يَعْصِمَه مما يُوبِقُه ، عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً منَعَه ووَقَاه ، ينظر : لسان العرب : ١٢ / ٤٠٣.

حين جاءت الملفوظات من (معصيتك ، الذنوب ، مرجع الغيبة ، المذنبين ، الخاطئين) فعملت عاملاً معارضاً للذات في إنجاز موضوعها ، والعلاقة القائمة بين العاملين علاقة صراع.

وقد تأتي عاطفة الرحمة متعلّقة بالذات الإلهية، وتوحي إلى نزول المطر والأثر الطيب جراء نزوله، وهذا يعد باباً من أبواب الرزق نحو ما نجده في الدعاء الآتي: **((اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِغَيْثِكَ الْمُغْدِقِ مِنَ الْسَّحَابِ الْمُنْسَاقِ لِنَبَاتِ أَرْضِكَ الْمُونِقِ فِي جَمِيعِ الآفَاقِ، وَامْنُنْ عَلَى عِبَادِكَ بِإِينَاعِ الثَّمَرَةِ، وأَحْيِ بِلاَدَكَ بِبُلُوغِ الزَّهَرَةِ. وَأَشْهِدْ مَلائِكَتَكَ الْكِرَامَ السَّفَرَةَ بِسَقْيِ مِنْكَ نَافِعٍ دَائِمٍ ، غُزْرُهُ وَاسِعٌ ، دِرَرُهُ وَابِلٌ سَرِيعٌ عَاجِلٌ ، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ، وَتُخْرِجُ بِهِ مَا هُوَ آت، وَتُوَسِّعُ بِهِ فِي الأَقْوَاتِ، سَحَاباً مُتَرَاكِماً هَنِيئاً مَرِيئاً طَبَقاً مُجَلْجَلاً غَيْرَ مُلِثٍّ وَدْقُهُ، وَلاَ خُلَّب بَرْقُهُ...))**[1].

يتأسّس النموذج العاملي على وفق عوامله وعلاقاته ، إذ تكون ثنائية الموضوع / الذات في خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) على وفق مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية ، فالموضوع هو رحمة نزول الغيث ، التي يرحم بها الله عز وجل عباده، وجميع مخلوقاته ، ورحمة نزول الغيث قد لا تنفع بعض العباد ، إنّما تسبب لهم الضرر ، وقد لا ينتفع منها ، لكن ما يلاحظ في دعاء الإمام (عليه السلام) أن يكون هذا النزول مصحوب بالرحمة الإلهية ، كذلك القصدية في اختيار الألفاظ عن طريق توظيف الكلمات المناسبة ، فنشر الرحمة تمننا وعطفا من الذات الإلهية عبر نزول الغيث ، وكثرة الخيرات والبركات ، وسقي النباتات ، وإيناع الثمرات ، تكرّماً على العباد ، بشهادة الملائكة الذين يعدون الوساطة بين الخالق والعباد ، بسقي منك نافعاً لجميع المخلوقات ، حتى تحيي ما

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٣.

قد مات ، وتخرج ما فات من المنافع والخيرات ، غيثاً نافعاً ، يفيد جميع النواحي ، لا يفسد الزرع باستمراره، ولا يكون برق فحسب ، إنما مطراً مفيداً ، وكل هذا برحمتك الشاملة المحتوية لكل الجهات، والذات التي عالجت موضوع الرحمة هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) ، والعلاقة التي تربط بين هذه الثنائية علاقة الرغبة.

وتكون ثنائية المرسل / المرسل إليه في خطاب الإمام (عليه السلام) من ضمن العوامل ، التي يقوم عليها الخطاب ، إذْ كان الإمام السجاد (عليه السلام) صاحب الرسالة ، لأنه منشئ الخطاب ، ومثل المرسل إليه جمع السامعين في زمانه وكل الأزمنة، والعلاقة التي ربطت بين المرسل / المرسل إليه علاقة تواصلية ، قائمة على الرغبة بين الثنائية .

ويتضمّن الخطاب ثنائية أخرى ، وهي ثنائية المساعد / المعارض ، إذ أخذ عامل المساعد مساحة واسعة داخل الخطاب ، فكان كل ما أشار إلى عاطفة الرحمة الإلهية من (نزول الغيث ، سقي النبات ، إيناع الثمر ، وبلوغ الزهرة ، الملائكة الكرام، السقي النافع ، الغزير ، الواسع ، السريع ، العاجل ، سحاباً متراكماً ، هنيئاً ، مريئاً، طبقاً، مجلجلاً) شكّلت عاملاً مساعداً ، عاضد الذات وساعدها على إنجاز موضوعها بالشكل المطلوب ، في حين جاء عامل المعارض أقل مساحةً ، إذ جاءت في (ملث ودقه ، خلب برقه) ، أي غير دائم لأنه مضر ، ولا يكون برق فحسب، لا نزول للمطر بعده، والعلاقة التي تربط بين الثنائية علاقة صراع .

وقد تأتي عاطفة الرحمة عامة، وشاملة، متعلّقة بالذات الإلهية ، وممزوجة برحمة وشفاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك ما جاء في مناجاة المتوسّلين : **((إلهِي لَيْسَ لِي وَسِيلَةٌ إلَيْكَ إلاَّ عَواطِفُ رَأفَتِكَ، وَلا لِي ذَرِيعَةٌ إلَيْكَ إلاَّ عَوارِفُ رَحْمَتِكَ،**

وَشَفاعَةُ نَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَمُنْقِذِ الأُمَّةِ مِنَ الْغُمَّةِ، فَاجْعَلْهُما لِي سَبَباً إلى نَيْلِ غُفْرانِكَ، وَصَيِّرْهُمَا لِي وُصْلَةً إلَى الْفَوْزِ بِرِضْوانِكَ...))[1].

يقوم العامل الأول في نموذج غريماس على ثنائية الموضوع / الذات ، والموضوع في هذا الخطاب يدور حول عاطفة الرحمة الإلهية ،التي جاءت ممزوجة برحمة وشفاعة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، عبر التوسل بالله عز وجل برحمته ورأفته ؛ لأنّه لا يوجد من هو أرحم ، ولا أكثر رأفة وعاطفة من الخالق . وهذه الرحمة والرأفة لا تحدّها حدود ، ولا سعة لها ، إنّما هي عامة وشاملة لكل الخلق . وهذه الرحمة والرأفة مشفوعة برحمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وشفاعته ، فالرحمة الإلهية ، والشفاعة النبوية هما السبب في الحصول على الغفران ، والفوز بالرضوان ، والذات التي تبنّت الموضوع وطرحته هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) ، والعلاقة التي ربطت بين الثنائية علاقة الرغبة النابعة من ذات الإمام (عليه السلام).

والثنائية الثانية في نموذج غريماس المرسل / المرسل إليه ، إذْ كان الإمام السجاد (عليه السلام) المرسل بوصفه صاحب الخطاب ، ومنشئ الرسالة ، والمرسل إليه جمع السامعين ، ممن لديه الرغبة في الاستماع لهكذا موضوعات ، وهذه الفئة من السامعين لا تخص زمان محدّد ، والعلاقة التي تربط بين العاملين ، علاقة تواصليّة ، تقوم على الرغبة والتواصل والاستماع إلى هذه الأدعية .

أمَّا ثنائية المساعد / المعارض فقد وردت في الخطاب ، إذ جاءت الألفاظ الآتية: (عواطف رأفتك ، عوارف رحمتك ، شفاعة نبيك ، نبي الرحمة ، منقذ الأمة ، نيل غفرانك، الفوز برضوانك) في الخطاب ، وعملت مساعداً ، في تقديم العون للذات من

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٣١٤-٣١٥.

أجل إنجاز موضوعها ، في حين جاءت مفردة (الغمة) معارضاً ، والعلاقة التي تربط بين الثنائية علاقة صراع .

وأحياناً نجد عاطفة الرحمة متمثّلة بشخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك ما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام) : ((**اللّهمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ صَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَبَ لأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَ عَرَّضَ فِيْكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إلَيْكَ حَامَّتَهُ ، وَ حَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ ، وَقَطَعَ فِي إحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ ، وَأَقصَى الأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَ والَى فِيكَ الأَبْعَدِينَ...**))[1].

ينطلق الخطاب ضمن البناء النموذجي للعوامل السيميائية ، إذ تتبنى ثنائية الموضوع / الذات في مقدّمتها ، فالموضوع يعالج عاطفة الرحمة ، وهذه الرحمة متمثّلة بشخص النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهو الأمين المؤتمن على وحي الله تعالى ، الذي بلّغ ما حفظه ، وهذا يحدّد لنا الدور العظيم الذي كلّف به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حمل الرسالة وتبليغها ، وإكمالها على الوجه الصحيح ، وعبر هذا الدور تجلّت تلك الرحمة النبوية عبر السلوكيات ، والأفعال ، والأفكار و التي كان يتعامل بها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع أبناء الأمة الإسلامية، فكان يرحم الحياة بكاملها، يرحم من يعرفه ومن لا يعرفه ؛لأنه يطبّق ما أمره الله ، فسبحانه أراد منهم الرحمة، وأراد لهم الرحمة . وهذا يمثّل فحوى الرسالة الإسلامية في حقيقتها، وكذلك يمثّل شخص النبي في حقيقته[2]، ومع أن الرحمة من صفات الخالق ، إلا أنها أيضاً من العواطف التي ألهمها الله لعباده ومنهم الأنبياء ، وبحسب السياق الذي ورد في دعاء الإمام (عليه السلام) فإنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو إمام الرحمة لكلِّ الخلق

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٦ ، وينظر : ٢٤٧– ٢٤٨ ، ٢١٧.

(٢) ينظر : الرحمة في حياة الرسول ﷺ ، د. راغب الحنفي السرجاني:٥٤.

بما فيهم الأنبياء ، ثم نجد الجملة الأخرى(قائد الخير) تحمل بُعداً دلاليًّا ، يضرب في مجالات متعدّدة ، فهو القائد ، ولكن بأي صفة ؟ بصفة الخير وإرشاد العباد إلى طريق الهداية ، والنجاة من طريق الضلال ، وكذلك نجد في جملة (مفتاح البركة) بعداً آخر، تمثّل بفتح كل ما يجلب الخيرات والبركات ، ثمّ يتحدّث عن المعاناة التي واجهت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تعريض نفسه للخطر ، ومحاربة المقربين منه ، في سبيل تبليغ الرسالة ، وتقديم النصح والإرشاد للعباد ، والذات التي قدمت موضوع عاطفة الرحمة النبوية ، هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) ، والعلاقة التي جمعت بين الثنائية علاقة الرغبة النابعة من نفس الإمام (عليه السلام) .

وجاءت ثنائية المرسل / المرسل إليه في الخطاب من أجل إنجاز موضوع الذات، فقد كان الإمام السجاد (عليه السلام) منشئ الخطاب وهو المرسل ، والمرسل إليه تمثّل بالمتلقين لهذا الخطاب ، بغض النظر عن الزمان . والعلاقة التي ربطت بين عامل المرسل / عامل المرسل إليه علاقة تواصليّة قائمة على الرغبة ، والمحبة ، والتواصل.

وتضمّن الخطاب ثنائية المساعد / المعارض ، إذ جاءت الجمل الآتية: (أمينك على وحيك ، نجيبك من خلقك ، صفيك من عبادك ، إمام الرحمة ، قائد الخير ، مفتاح البركة ، حارب في رضاك أسرته ، قطع في إحياء دينك رحمه ، أقصى الأدنين ، قرب الأقصين ، والى فيك الأبعدين ، عادى فيك الأقربين ، أجهد نفسه في تبليغ رسالته، أتعبها بالدعاء ، شغلها بالنصح) في الخطاب وعملت عمل المساعد ، فعاضدت الذات في الاتصال بموضوعها وإنجازه ، في حين جاء عامل المعارض متمثلاً بـ (جحودهم) والتي تشير إلى المحاربة التي واجهها النبي في زمانه من الأقرباء وغير الأقرباء ، وهذا الجحود يعمل على إعاقة عمل الذات ، ويعرقل عملها.

وقد تأتي عاطفة الرحمة متعلّقة بالأشهر ، كشهر رمضان ، من ذلك ما جاء في دعاء الإمام(عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ وَمَنْ رَعَى حَقّ هَذَا الشَّهْرِ حَقَّ رِعَايَتِهِ وَحَفِظَ حُرْمَتَهُ حَقَّ حِفْظِهَا وَقَامَ بِحُدُودِهِ حَقَّ قِيَامِهَا، وَاتَّقَى ذُنُوبَهُ حَقَّ تُقَاتِهَا أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِقُرْبَة أَوْجَبَتْ رِضَاكَ لَهُ وَعَطَفَتْ رَحْمَتَكَ عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ مِنْ وُجْدِكَ وَأَعْطِنَا أَضْعَافَهُ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّ فَضْلَكَ، لا يَغِيْضُ وَإِنَّ خَزَائِنَكَ لا تَنْقُصُ، بَلْ تَفِيضُ وَإِنَّ مَعَادِنَ إِحْسَانِكَ لا تَفْنَى...**))[1].

يقوم البناء النموذجي على عوامل وعلاقات ، إذ يتكوّن العامل الأول من ثنائية الموضوع / الذات ، ينطلق الموضوع من عاطفة الرحمة ، التي يمزجها الإمام (عليه السلام) بالشهر الفضيل ، شهر رمضان الكريم ، وارتباط الرحمة الإلهية بالشهر الفضيل، فالعبد الذي يلتزم ويطبق ما أمره الله به ، ولا يتجاوز الحدود المرسومة له ، فإنه مما لا شك فيه تكتنفه الرحمة الإلهية ، ويغمره الحنان والعطف الرباني، ففي مقابل ذلك الالتزام وحفظ حرمات الله ، والتقرّب بالأفعال والأقوال ، توجد المكافأة بالرضا والرحمة والحنان والعطف والثواب ، فأعطنا يا رب ما أعطيت من فضلك وعطائك الدائم ، فالدعاء يصدر من عمق الشعور ؛ ليثبت الحاجة والرغبة التي يحتاجها العبد من خالقه ، والذات التي تبنّت معالجة الموضوع ، هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) بناءً على علاقة الرغبة التي تكمن في نفس الإمام (عليه السلام) .

وتتكون ثنائية المرسل / المرسل على أساس ولادة الخطاب ؛ لأنه لا يولد نص إلا وتوجد في ذهن المنشئ غاية لبثّه ونشره بين المتلقين له ، فقد تبنّى الإمام (عليه السلام) مهمة الإرسال هنا ، فكان عاملاً مرسلاً ، نشر ما رغب في إيصاله إلى الجمهور ، وكان

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٩٨، وينظر : ١٩٢.

عامل المرسل إليه جمع السامعين الذين يرغبون بتلقي هذه الموضوعات ، والعلاقة بينهما تقوم على التواصل والرغبة.

وتتبني ثنائية المساعد / المعارض في الخطاب ، إذ جاء عامل المساعد متمثلاً بالآتي : (رعى حق هذا الشهر ، حفظ رعايته ، حفظ حرمته ، قام بحدوده ، أتقى ذنوبه، أوجبت رضاك ، عطفت رحمتك ، فضلك ، إحسانك) ، وساعد الذات في تحقيق موضوعها ، في حين تمثل عامل المعارض بلفظة واحدة (ذنوبه) هي ما يعيق كل عمل ممكن أن يعمله العبد ، ويبعده عن طريق النجاة ، وهذا اللفظ إنما لا يحقق حالة اتصال مع الذات ، إنما هو في حالة انفصال لأن الذات لا ترغب به ، وهو في المقابل يعمل على عرقلة عملها.

وقد تأتي عاطفة الرحمة متعّلقة بالأيام ، كيوم عرفة ، نحو ما نجده في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمُ عَرَفَةَ، يَوْمٌ شَرَّفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ وَعَظَّمْتَهُ، نَشَرْتَ فِيهِ رَحْمَتَكَ، وَمَنَنْتَ فِيهِ بِعَفْوِكَ وَأَجْزَلْتَ فِيهِ عَطِيَّتَكَ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَى عِبَادِكَ...**))[1].

لا تتعلّق عاطفة الرحمة بالذات الإلهية ، أو بالشخصيات فحسب ، إنما كما وجدنا في أدعية الصحيفة السجادية فإنها تتعلق بالأشهر والأيام ، فكما نرى في دعاء يوم عرفة أن الرحمة قد تعلّقت بهذا اليوم ، وثنائية الموضوع / الذات تغلغلت في الخطاب، فالموضوع يتحدّث عن عاطفة الرحمة الموجودة والمبثوثة بيوم عرفة ، والذي يعد من الأيام المباركة عند المسلمين ، فهذا اليوم الذي شرفه وكرّمه وعظّمه الخالق ، وكأنه قد أعطاه تشخيصاً وجعله كائناً متحرّكاً، لينال كل هذا الشرف والتعظيم والتكريم ، ولم يكتفِ الخالق بهذه المزايا التي تحلى بها يوم عرفة ، إنما جعل الرحمة متلبسة به ، وكذلك العطاء الجزيل ، والعفو والمغفرة عن عباده السائلين له . وهو في كل ذلك متفضلاً عليهم

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢١٨ ، وينظر : ٢٨٤-٢٨٥.

بعطاياه ونعمه ، والذات التي رغبت بطرح الموضوع ، ذات معصومة ، مؤمنة ، خرج الموضوع من أعماقها ، في سبيل تثبيت البركات التي يتميز بها هذا اليوم ، والعلاقة التي بنيت بينهما علاقة رغبة ، أساسها حب الاندفاع في معالجة موضوع يحرز نعم عديدة لا تُعد ولا تُحصى .

وجاءت ثنائية المرسل / المرسل إليه متضمّنة في الخطاب، إذ مثل الإمام السجاد (عليه السلام) عاملاً مرسلاً ، عمل على تثبيت موضوعه، عبر ذكر النعم التي يحتويها يوم عرفة ، ومثل المرسل إليه فئة السامعين في زمان المرسل ، والأزمنة الأخرى، والعلاقة بينهما نابعة من الميول والرغبات المرتبطة بإرادة وشعور وعواطف الإمام (عليه السلام) تجاه الآخرين ، ومدى إفادتهم من هذه البركات ، ولذلك فإن العلاقة تواصلية.

ولابد للخطاب أن يتضمن ثنائية المساعد / المعارض ، ولكن هذه الثنائية جاءت في هذا الخطاب أحادية العامل ، إذْ توفر عامل المساعد فحسب ، والذي جاء في (شرفته، كرمته ، عظمته ، نشرت فيه رحمتك ، مننت فيه بعفوك ، أجزلت في عطيتك ، تفضلت على عبادك) ، وبما أن عامل المعارض مفقود في الخطاب فإنّ العلاقة تنتفي بانتفاء أحد الأطراف .

٢ – سيمياء عاطفة الظلم

الظلم لغة : ((الظُّلْمُ وَضْع الشيء في غير موضِعه ومن أمثال العرب في الشَّبه مَنْ أَشْبَهَ أَباه فما ظَلَم . قال الأصمعي: ما ظَلَم أي ما وضع الشَّبَه في غير مَوْضعه، يقال ظَلَمَه يَظْلِمُهُ ظَلْماً وظُلْماً ومَظْلِمةً فالظَّلْمُ مَصْدرٌ حقيقيٌّ ، والظُّلمُ الاسمُ يقوم مَقام المصدر وهو ظالمٌ وظَلوم))[١].

الظلم اصطلاحاً : وهو ((التعدّي عن الحقّ إلى الباطل وهو الجور ، وقيل هو التصرّف في مُلك الغير ومجاوزة الحدّ ، واستحالة أن يقع ظلماً من الخالق على العبد، لأنه لا يفعله عدلاً منه وتنزهاً عنه ، لأنه تعالى صرح بذلك في قوله ﴿ وما أنا بظلّام للعبيد﴾ ، ولأنه لا يتوقع حدوث شيء ليس في محله ، جلّ علاه وتنزّه عن كل الأخطاء))[٢]؛ ولأن الخالق﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[٣] ، أيًّ كان الآخر، لأن الله جل اسمه يتصف بالعدل، بالرحمة ، بالمحبة والعطف ، والظلم صفة الباطل والجور ، لذا فإن عاطفة الظلم لا يمكن أن تتجلى في الذات الإلهية ، ولا في ذات الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ، لأن الظلم يمثل جانب الشر والمعصية ، ويسبب الأذى والضرر للآخرين، ولذا فإنها وردت في الصحيفة السجادية متعلقة بعاطفة ظلم تصدر من الذات لذاتها، وعاطفة ظلم متعلقة بظلم الآخر للإمام (عليه السلام) . وهناك عاطفة ظلم وردت على لسان الإمام (عليه السلام) لا يقصد بها ذاته ، لأنه معصوم عن الظلم والعدوان، لكنها جاءت بمثابة رسالة موجّهة للجميع ، من ذلك ما نجده في دعاء الإمام (عليه السلام): **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُوم ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوف أُسْدِيَ إِلَيَّ**

---

(١) لسان العرب : ٣٧٣/١٢.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ١١٥٢.

(٣) سورة النساء : الآية : ٤٠.

فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيء أعْتَذَرَ إلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْهُ، وَمِنْ ذِيْ فَاقَة سَأَلَنِي فَلَمْ أُوثِرْهُ، وَمِنْ حَقِّ ذي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِن فَلَمْ أوَقِّرْهُ، وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِن ظَهَر لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إثْم عَرَضَ لِيْ فَلَمْ أَهْجُرْهُ ...))[1].

يرتكز النموذج العاملي في ثنائية الموضوع / الذات على الخطاب المباشر ، الذي تجلى فيه الحديث عن الظلم ، لكن ما يجعل القارئ في حيرة من أمره، جهة صدور الخطاب ، فالخطاب يصدر عن إمام معصوم ، لا يمكن أن يصدر منه الخطأ والظلم، فيا ترى لماذا يقدم الاعتذار ؟ وهو لا حاجة له بذلك ، ويتوسل بالذات الإلهية بالعذر، ثم أن هذا الظلم هو لم يقدم على فعله ؟ إنما وقع من قبل ذات أخرى ، هو يفترض حضوره افتراضاً ، ويبيّن أنه لم يقدم له النصرة ، ويقف بجانبه ، في الحقيقة فإن خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) يتحدث عن عاطفة الظلم التي تقع إمام أعين الآخرين ، أي بحضور الظالم والمظلوم والشاهدين لهذا الظلم ، ومع الظلم والجور الذي يقع على عاتق المظلوم فإننا نرى الصمت من الحضور ، وفي هذه رسالة تتضمن الأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها المسلم ، بالوقوف مع الحق ، وأن وقع الأذى عليه ، وأن لا يصمت أمام الباطل ، وأن يدافع عن الضعيف أمام بطش الظالم القوي ، وأن ينصره ولو بكلمة ، ثم نجد تفصيلات أخرى يذكرها الإمام (عليه السلام) ، من شكر الذي يقدم لنا أي معروف، وتقبل الاعتذار ، إذا قدّم إلينا من المسيء ، والاعتذار من السائل الذي طلب منا ولم نقدم له شيء ، ومن إعطاء الحق لصاحبه ، وفي حال إظهار عيوب الآخرين ، ومن تجنب الآثام ، والذات التي تبنّت عرض هذا الموضوع ، هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) ، والعلاقة التي ربطت بين الثنائية علاقة الرغبة.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٦١-١٦٢، وينظر:١٦٤، ٢٣٢ -٢٣٣، ٢٨٠- ٢٨١ .

ويتضمّن الخطاب ثنائية المرسل / المرسل إليه ، إذ كان الإمام السجاد (عليه السلام) صاحب الخطاب ، ومرسل الرسالة ، بوصفه إمام عصره ، وصاحب القضية، والقائد الروحي والديني في المجتمع الإسلامي ، فالرسالة ذات بُعد تعليمي هادف ، تبحث في نصرة المظلوم ، والوقوف بوجه الظالم ، أي قوةٍ كان يمتلك ، وبذلك يساعد في بناء الشخصية الإسلامية الناطقة للحق من جهة ، ويقلل من الظلم والجور من جهة أخرى، وتمثل المرسل إليه بالفئات الإسلامية الموجودة في كل العصور ، والعلاقة التي تربط بين المرسل / المرسل إليه علاقة تواصلية تقوم على الرغبة ، ولا سيما من الفئات التي تتحلى بعاطفة الرحمة .

ويتغلغل في الخطاب ثنائية ثالثة ، وهي ثنائية المساعد / المعارض ، إذْ جاءت الألفاظ الآتية : (أعتذر ، مظلوم ، معروف ، مسيء ، أعتذر ، ذي فاقة ، ذي حق، عيب مؤمن) وكانت عوامل مساعدة عملت على مساعدة الذات في تحقيق موضوعها، في حين جاءت الألفاظ الآتية : (ظلم ، فلم أشكره ، فلم أعذره ، فلم أوثره ، فلم أوفره، فلم أستره ، فلم أهجره) ، وعملت عاملاً معارضاً ، عمل على إعاقة عمل الذات، والعلاقة التي تربط بين عامل المساعد / المعارض علاقة الصراع ،لأن كل عامل يعمل عملاً يختلف ويضاد عمل الآخر .

وظلم النفس أحد أنواع الظلم ، الذي يقع جراء الأفعال والسلوكيات التي تقدم على عملها الذات الإنسانية ، نحو ما نجده في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) : ((**وَلاَ تَمْحَقْنِي فِيمَنْ تَمْحَقُ مِنَ الْمُسْتَخِفِّينَ بِمَا أَوْعَدْتَ، وَلاَ تُهْلِكْنِي مَعَ مَنْ تُهْلِكُ مِنَ الْمُتَعَرِّضِينَ لِمَقْتِكَ، وَلاَ تُتَبِّرْنِي فِيمَنْ تُتَبِّرُ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ سُبُلِكَ...**))[1].

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٢٤

تتعاضد عوامل البناء النموذجي من أجل إكمال بناء النص ، فتطرح الذات موضوعها ، عبر بث ألفاظها ، فيتكون عاملان الموضوع / الذات في العتبة الأولى ، إذْ مثّل الموضوع في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) عاطفة الظلم ، التي تحدثُ نتيجة الأفعال التي تقدم الذات الإنسانية على فعلها ، والإمام (عليه السلام) لا حاجة له بتقديم هكذا دعاء يقوم على الطلب والابتعاد عن المعصية ، التي تعد أحد أنواع ظلم النفس لذاتها ؛ لأنّه منزّه عن كل الأخطاء ، ولكنه في موضع القائد المرشد للأمة الإسلامية، والدعاء يتحدث عمن يخرج عن طريق النجاة ، وهؤلاء هم المستخفون بما وعد الله، والمتعرضون لمقته ، والمنحرفون عن سبيله ، الذين استهانوا ولم يبالوا ، ولم يلتزموا بما أمر به سبحانه وتعالى ، إنما استخفوا به ، لذا استحقوا الهلاك . والعلاقة التي تربط بين الثنائية علاقة الرغبة القائمة على الانفصال عن هذا الموضوع من جهة ، ولكنها تطرحه من جهة أخرى ، لما فيه من رسالة وهدف ، يتحقق بأخذ العظة وعدم الانحراف عن الطريق السليم ، والاتجاه مع الهالكين الذين يصيبهم غضب الخالق ، جراء ظلمهم أنفسهم؛ لأن ذلك ما سعت إليه النفس ، والدليل قوله تعالى﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[1] ، وكذلك في قولٍ آخر ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[2].

ويتحايث في البناء النموذج عاملان: المرسل(الباث) / المرسل إليه (المتلقي)، إذ مثّل الإمام السجاد (عليه السلام) عاملاً مرسلاً ، عمل على تكوين خطاب الرسالة، ومن ثم قام بعملية البث ، وتمثّل المرسل إليه بجمع المتلقين لهذا الخطاب ، وهؤلاء المتلقين لا يقتصرون على زمن محدد . والعلاقة التي تجمع بين المرسل / المرسل إليه علاقة

(١) سورة الحج :الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنفال :الآية :٥١.

تواصلية ، تقوم على الرغبة من أجل الإفادة من تجارب الآخر ، وعدم تكرار الخطأ الذي وقع فيه.

ويتضمن الخطاب ثنائية المساعد / المعارض ، إذ جاء عامل المساعد متمثلاً بـ (لا تمحقني ، لا تهلكني ، لا تتبرني) ، وساعدت الذات في تحقيق الموضوع وإنجازه ، في حين تمثل عامل المعارض بـ (المستخفين ، المتعرضين لمقتك ، المنحرفين عن سبيلك)، وكان عملها إعاقة الذات وتعطيل عملها ، والعلاقة التي تربط بينهما الصراع .

والظلم الذي وقع على الإمام السجاد (عليه السلام) من حكام بني أمية كثير، لا يمكن لنا في هذا الموضع أن نبيّنه ، ونبرّزه للقارئ ؛ لأننا في موضع استخراج النصوص التي تضمنت عاطفة الظلم ، وبيان المواضع التي ضمت أنواع ظلم الآخر للإمام ، ومدى تقبل ذلك الظلم ، والرد عليه بالدعاء ، فمرة نجد أن الإمام (عليه السلام) قد أوضح الرد على الظالم بنصر الخالق له ، ومرة يرد الإمام (عليه السلام) عليه بالتحصين منه، ومرة ثالثة تحطيم الظالم بقدرة الخالق، وأحياناً يتأخر الانتقام من الظالم إلى يوم القيامة، فمن عاطفة الظلم التي عاشها الإمام (عليه السلام) آنذاك من الآخر الظالم ، نحو ما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام): ((**فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضى عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ، وَشَحَذَ لِيْ ظُبَةَ مُدْيَتِهِ، وَأَرْهَفَ لِي شَبَا حَدِّهِ، وَدَافَ لِيْ قَوَاتِلَ سُمُومِهِ، وَسَدَّدَ نَحْوِي صَوَائِبَ سِهَامِهِ، وَلَمْ تَنَمْ عَنِّي عَيْنُ حِرَاسَتِهِ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوهَ وَيُجَرِّ عَنِّي زُعَافَ مَرَارَتِهِ، فَنَظَرْتَ يا إلهِيْ إلَى ضَعْفِي عَنِ احْتِمَالِ الْفَوَادِحِ، وَعَجْزِي عَنِ الانْتِصَارِ مِمَّنْ قَصَدَنِيْ بِمُحَارَبَتِهِ، وَوَحْدَتِي فِي كَثِيرِ عَدَدِ مَنْ نَاوَانِيْ وَأَرْصَدَ لِيْ بِالْبَلاءِ فِيمَا لَمْ أُعْمِلْ فِيهِ فِكْرِي، فَابْتَدَأْتَنِي بِنَصْرِكَ، وَشَدَدْتَ أَزْرِي بِقُوَّتِك...**))[1].

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٤٣ – ٢٤٤ ، وينظر : ٦٥-٦٦.

يتخذ البناء النموذجي في الخطاب عامل الموضوع / الذات ، إذ ينبني الموضوع على عاطفة الظلم ، التي كانت تمارس ممارسة فعلية وسلوكية ، من قبل الآخر الظالم ، على الإمام السجاد (عليه السلام) ، وكلمات الإمام (عليه السلام) تؤكّد مدى ظلم الذي كان مسلطاً عليه ، وهذا الآخر لم يكن شخصاً واحداً (فكم من عدو انتضى عليَّ سيف عداوته) ، ويقصد بذلك المعاملة الشديدة التي كانت توجه له ، حتى شبهها بالسيف الذي تكون أطرافه حادة وقوية لكي تقطع بسرعة ، ثم يفصح عن الحراسة الشديدة التي وضعت عليه من قبل الحكام ، ومراقبته في الليل والنهار ، حتى أورده بتلك المعاملة ما يكره ويتجرعه ، فمع تلك المصائب الثقيلة ، والمحاربة الشديدة ، والبلاء المكروه ، فإن الله قد أيّده بنصره وقوته ، وفي كل لفظة من ألفاظ الخطاب هناك ألم ومرارة تجرعها الإمام (عليه السلام) من ظالمه ، والذات التي تبنّت الموضوع هي ذات الإمام (عليه السلام) ، فالخطاب خرج من روح متألمة ، والعلاقة التي ربطت بين الثنائية علاقة الرغبة .

وتأتي ثنائية المرسل/ المرسل إليه في الخطاب ، متمثلاً عامل المرسل بشخص الإمام السجاد (عليه السلام) لأنه صاحب النص ، ويتمثل المرسل إليه بجمع السامعين لهذا الخطاب ، بغض النظر عن زمانهم ، والعلاقة التي تجمع بين الطرفين علاقة تواصلية تقوم على الرغبة ، ومعرفة الظلم الذي كان يواجهه الإمام (عليه السلام) .

وتقوم ثنائية المساعد / المعارض في الخطاب ، وقد أخذ كلاً منهما دوره ، إذ جاء عامل المساعد متمثلاً بـ (ابتدأتني بنصرك ، شددت أزري بقوتك) ، في حين أخذ عامل المعارض مساحة أوسع داخل الخطاب ؛ وذلك لأن العاطفة هنا تقوم على الظلم فقد تمثلت بكل ما أشار إلى الظلم والعدوان والجور الذي وقع على الإمام السجاد (عليه السلام) ، والعلاقة التي تربط بين الثنائية علاقة صراع.

والتحصين من عاطفة ظلم الظالم ، وكراهية الظلم لنفسه هو ما تجلى في دعاء الإمام (عليه السلام) الآتي: ((**اللَّهُمَّ فَكَمَا كَرَّهْتَ إِلَيَّ أَنْ أَظْلِمَ فَقِنِي مِنْ أَنْ أُظْلَمَ. اللَّهُمَّ لاَ أَشْكُو إِلَى أَحَد سِوَاكَ، وَلاَ أَسْتَعِينُ بِحَاكِم غَيْرِكَ حَاشَاكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَصِلْ دُعَائِي بِالإِجَابَةِ، وَأَقْرِنْ شِكَايَتِي بِالتَّغْيِيرِ. أَللَّهُمَّ لا تَفْتِنِّي بِالْقُنُوطِ مِنْ إِنْصَافِكَ، وَلاَ تَفْتِنْهُ بِالأَمْنِ مِنْ إِنْكَارِكَ، فَيُصِرَّ عَلَى ظُلْمِي وَيُحَاضِرَنِي بِحَقِّيْ وَعَرِّفْهُ عَمَّا قَلِيْل مَا أَوْعَدْتَ الظَّالِمِينَ، وَعَرِّفْنِي مَا وَعَدْتَ مِنْ إِجَابَةِ الْمُضْطَرِّينَ...**))[1].

التبادل في حوار الذات ما بين للذات والآخر هو ما تضمنه الخطاب في ثنائية الموضوع والذات ، إذ دار حول عاطفة ظلم الآخر للإمام السجاد (عليه السلام) وإن لم يحدد هذا الظالم إلا أن المعاناة التي عاناها الإمام (عليه السلام) آنذاك من حكام عصره كانت سبباً في دوام هذه المعاناة ووقوع الظلم على كاهل الإمام ، وبالنتيجة فإن أنتاج الخطابات لها دورٌ فاعلٌ في بحث القضايا المتولدة في عصره ،فـ ((النصوص الدينية تقرر دائماً مبادئ مثالية ذات طابع إنساني ، ويظل الأمر في النهاية مرهوناً بفعالية العقل الإنسان – المخاطب – والذي يقوم من خلال عمليات (التفسير والتأويل) بتنزيل تلك المبادئ على أرض الواقع في صياغات فكرية محددة تتوقف على طبيعة (الإطار المرجعي) المعرفي ، كما تتوقف بنفس القدر على مجمل السياق التاريخي والاجتماعي للعصر الذي تتم فيه عملية الفهم))[2]، ولهذا نجده يتوجّه بالدعاء عليهم لمن يلبي له الدعوة ويستجيبها ، والإمام (عليه السلام) في الدعاء يطلب أن لا يكون ظالماً – وحاشى له ذلك –؛ لأن الظلم يسحب الإنسان إلى مزالق الجور والعدوان على الآخرين، فلا حاكم لديه سوى الخالق ، فكل لفظة فيها ما ينصفه وينصره ، حينما يتحقق الوعد الذي وعده الله لكل ظالم، وسلب الأمن منه ، وإعطائه جزاء الظالمين الذي وعده

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٦٦.

(٢) دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة : ١٣٢.

الله لهم ، والذات التي تحملت هذا الظلم والعدوان هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) وهي نفسها التي طرحت الموضوع وتبنّته . والعلاقة التي تربط بين الثنائية علاقة رغبة تقوم على الانفصال عن هذا الموضوع.

تتبني ثنائية المرسل / المرسل إليه في الخطاب ، إذ كان الإمام (عليه السلام) هو المرسل ، ومثّل جمع المتلقين عاملاً مرسلاً . والعلاقة بينهما تواصلية تقوم على الاتفاق والرغبة.

ويتأسس في الخطاب عامل المساعد / المعارض ، إذ تمثل المساعد بـ (كرهت إليَّ أن أَظلم ، لا أشكو إلى أحد سواك ، لا أستعين بحاكم غيرك ، وصل دعائي بالإجابة، أقرن شكايتي بالتغيير ، لا تفتني بالقنوط ، ما أوعدت الظالمين ، ما وعدت من إجابة المضطرين) ، في حين جاء المعارض متمثلاً بـ (لا تفتنه بالأمن ، يصرَّ على ظلمي، يحاضرني بحقي) ، والعلاقة بينهما علاقة الصراع .

ويمكن لنا أن نتوصل إلى أن عاطفتي الرحمة والظلم من العواطف التي تجلت في أدعية الصحيفة السجادية ، وهذا التجلي تمثل بشمول عاطفة الرحمة على مساحة أوسع من المساحة التي أخذتها عاطفة الظلم ، وهذا يعود إلى أن الدعاء وسيلة من الوسائل الاتصالية التي يلجأ إليها الإنسان ، وهذا الوسيلة متغلغلة فيها الرحمة والعطف والمحبة الإلهية ، وكذلك رحمة ومحبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والأئمة الأطهار(عليه السلام) ، وأدعية الإمام السجاد (عليه السلام) ذات ألفاظ تفيض بالمحبة والرحمة والتعاطف مع الآخرين ؛ لأنها موجّهة إلى بناء مجتمع إسلامي متكامل الجوانب ، في زمن مضطرب من جميع نواحيه . وقد جاءت العاطفة الأولى موزّعة مابين عاطفة رحمة متعلّقة بالذات الإلهية ، وهذه العاطفة كانت متفرّعة مابين عاطفة رحمة متعلّقة بالحمد والشكر لله على نعمه ، وعاطفة رحمة بوصفها باباً للعفو والمغفرة ، وعاطفة رحمة متعلّقة

بمحي الذنوب ، وعاطفة رحمة عدت باباً من أبواب الرزق ، وعاطفة رحمة شاملة للعطف الإلهي ، وممزوجة بالعطف المحمدي ، وجاءت العاطفة الثانية عاطفة رحمة متعلّقة بشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تارة ، وتارة بالنبي وآله الأطهار(عليهم السلام) ، وفي حين جاءت العاطفة الثالثة عاطفة رحمة متعلّقة بالأشهر والأيام ، مثل شهر رمضان ، ويوم عرفة ، بينما جاءت عاطفة الظلم كما أشرنا أقل مساحة ، ولذا فإنها وردت متعلّقة بعاطفة ظلم تصدر من الذات لذاتها ، وعاطفة ظلم متعلقة بظلم الآخر للإمام (عليه السلام)، وهناك عاطفة ظلم وردت على لسان الإمام (عليه السلام) في حال ظُلم شخص بحضوره ، ولم يقم بنصره ، وهذا الظلم لا يقصد به ذاته ؛ لأنه معصوم عن الظلم والعدوان ، لكنها جاءت بمثابة رسالة موجهة للجميع ، في تقديم العون للمظلوم وعدم التخاذل عن نصرته.

المبحث الثاني

سيمياء العوامل العاطفية للحب والكره في الصحيفة السجادية

تتصدّر عاطفة الحب العواطف الإنسانية الأخرى ؛ لأنها من أرفع وأسمى وأكمل وأجمل العواطف التي يتجلى فيها صدق المشاعر والأحاسيس ، مع أن هناك عواطف أخرى غيرها، إلاَّ أنها قد أخذت سعة وشمولاً عند الجمهور، والتي يحملها الفرد تجاه من يحب؛ لأنها تُغلف بالمعرفة والإدراك ، كما أنها تسعى إلى الحصول على الخير، فالحب سمة من السمات البشرية ، وهو من المطالب الإنسانية التي تتجسّد عبر السلوكيات، والأفعال، والألفاظ التي تصدر عن الأفراد، فالإنسان بطبعه يميل إلى ما يجد فيه اللذّة والمحبّة، وهذا ما تمثل في خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) من تجسيد لتلك العاطفة، التي تساعد على إعادة الهيكلية في بناء الشخصية الإسلامية ، لاسيما في مجتمع أخذت تُهمش وتُهدم فيه الشخصية، جراء السلوكيات والأفعال التي اتَّبعتها السياسة ، في مقابل هذه العاطفة فإن الإنسان بطبعه يبتعد وينفر عن كل ما يزعجه ويبغضه مما حوله ، فتأثير الخطاب وأسلوبه من حيث والحب والكره له أثره الكبير، في بناء مجتمع بصورته الإيجابية ، وبالنقيض هدم لأسس ذلك المجتمع.

١ ـ سيمياء عاطفة الحب

الحب لغة: وقد جاءت كلمة الحب في المعجم متعددة في الصياغة والأسلوب ، متشابه في المعنى، ((فكلمة الـ(حب) الحاء والباء، جاءت من أصول ثلاثة: ما يعنينا هو اللزوم والثَّبات، وأمّا اللزوم والثبات: فالحُبّ والمَحبّة، اشتقاقه من أحَبَّه إذا لزمه))[١]،

(١) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون: ٢٦.

((والحب نَقِيضُ البُغْضِ، والحُبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ، وأَحَبَّهُ فهو مُحِبٌّ وهو مَحْبُوبٌ))[1]، فالحب من أكثر العواطف استقراراً وثباتاً؛ لأنها تدور داخل إطار محدد.

الحب في الاصطلاح: هو تآلف الأرواح الموجودة ومودّتها وانسجامها، فمحبة الله لعباده هي إرادة لكرامتهم ، وثوابهم على التأييد، ومحبة الخلق لله هي عبادة لطاعته؛ لأنها كيفية روحانية ، مبنية وفق الكمال المطلق، في الإرادة والميل؛ لأن القلب يكون دائماً في مجاهدة ومقاومة للنفس[2]، فالحب هو: ((اتصال بين أجزاء النفس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي، ومجاورتها في هيئة تركيبها))[3]. كما يمكننا أن نعرف الحب على أنه: ((اسم مشترك يجمع ضروباً من ميل النفس كحب الولد والمال، ثم الهوى، ثم المودّة ثم الصبابة، ثم العشق، ثم الوله والهيام والتتميم وهو أرفع درجات الحب لأنه التعبد))[4]، و لاسيما أن السر في هذا اللفظ يكمن في التمازج ، والتباين، والاختلاف بين المخلوقات، التي تتحكم فيها علاقة (الرغبة ، الاتصال ، الصراع)، والتي تربط بين الموضوع والذات ، والمرسل و المرسل إليه ، والمساعد والمعارض ، وقد تنوّعت عوامل الحب في الصحيفة السجادية بحسب نوع العامل، ومما لا نقاش فيه إن عاطفة الحب تجاه الذات الإلهية من الأمور الفطرية عند الأئمة (عليهم السلام)، وعاطفة الحب قد جاءت في الصحيفة متنوّعة بحسب المكوّنات الدلالية التي تشير إليها ملفوظات الخطاب، فنجدها تشير مرة إلى أن هذه المحبة هي سبيل الهداية الذي ينهجه المؤمن في عبادته، ومرّة هذه المحبة واجبة ومفروضة من العبد تجاه خالقه، ومرّة تأتي متعلّقة

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور(ت ٧١١هـ) : ١/ ٢٨٩(مادة حبب).

(٢) ينظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم :١/١٤٨٤.

(٣) طوق الحمامة ، ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق : إحسان عباس : ١٢٦.

(٤) الحب والكراهية : ٤٥.

بالتوبة وجعلها أسلوب من أساليب التوّابين لله، ومرّة تأتي في بيان فضل الخالق على عباده، ومرّة في بيان شكر وحمد الخالق ، وإبراز صفاته، من ذلك ما جاء في قول الإمام السجاد (عليه السلام): ((**الْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ ، وَالآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ. الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوهامُ الْوَاصِفِينَ. اِبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ اِبْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اِخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ...**))[1].

العامل في ترسيمة غريماس يقوم على العلاقات الرابطة بين العوامل، والعامل هنا ينبني على ثنائية الذات / الموضوع ، وتعد هذه الثنائية بمثابة العمود الفقري للعوامل لأنها ((تعد نقطة الإرسال الأولى لمحفل يتوق إلى إلغاء حالة ما أو إثباتها أو خلق حالة جديدة))[2]، فالموضوع يتجلى بالحديث عن الحب الإلهي المتمركز في نفس الإمام (عليه السلام) ، وهو أمر عظيم ، والإمام يرى أن خالق الكون ومدبر كل شيء وحده من يستحق الحمد والشكر، فالمدح والحب والتقديس للذات الإلهية ، وهناك مقصدية في إيصال هذا الدعاء ، والذات هنا الإمام السجاد (عليه السلام) الذي يحقّق الموضوع ويقود الدور، وهذا ينقلنا إلى العلاقة التي تربط بين الموضوع / الذات ، فالعلاقة بينهما هي علاقة الرغبة ، التي تظهر عن طريق عاطفة الحب التي أبداها الإمام تجاه الخالق، عبر الألفاظ التي اختارها بعناية وقصدية ، فقوله : ((**الْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ.. بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ**)) ، أيَّ : لا ساند قبل الله حتى يستند عليه ، وهذا مرتبط بالرتبة والشرف، والملجأ له فحسب ، قد حصر الحمد لله وحده ، لا سابق له ، ولا لاحق عليه ، باق بعد فناء الأشياء ، فهناك سير في خط الدلالة عبر الانطلاق من النقطة

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٩، وينظر :٤٣، ٩٥، ٩٩، ١٦٢، ٢٠٠ ، ٢٢٤-٢٢٥، ٣٠٧-٣٠٨ ، ٣١٢-٣١٣-٣١٤، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٨.

(٢) مدخل إلى السيميائية السردية : ٤٨.

الأولى إلى آخر النقطة، وقوله : ((**الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوهامُ اَلْوَاصِفِينَ**)) ، فالقصور عن رؤية البارئ عزّ وجل إنما من باب غلق تلك الرؤية عن أبصار أولئك الناظرين في كل مكان وزمان ، كذلك عجزت أفكارهم وأذهانهم عن وصفه، لأن المرتكز يتعلّق كلّه بالإيمان بخالق الكون، وقوّته المطلقة في إدارة الكون ، وتسيير العباد ، وقوله: ((**اِبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ اِبْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اِخْتِرَاعاً**)) ومعنى ابتدع : أَنشأَه وبدأَه ، أيَّ : لم يسبقه أحداً ، في البدء والنشأة، وأخترعهم من اخترع و اخْترعه : اشتقَّه ، أيَّ : اشتقه من العدم ، ثم بعد خلقهم ونشأتهم سلك بهم طريقاً أيَّ : شق لهم طريقاً في الهداية وحب التكاليف والأوامر التي أمرهم بها، والعلاقة بين العاملين الرغبة الكامنة في الذات المرسلة.

والثنائية الأخرى التي تتمركز في النص ثنائية المرسل/ المرسل إليه ، فكل رغبة من الذات يكون خلفها مرسلاً ، وهذا يحتاج إلى عامل آخر يحقق له تلك الرغبة، والعلاقة بينهما علاقة تواصل أو إبلاغ إذ هناك باعث على الفعل ومستفيد منه، والمرسل في النص هو الإمام السجاد (عليه السلام) ، والمرسل إليه هو جمع السائرين على الطريق السوي / طريق المحبة، الذي من أجله تمَّ خلقهم، فبداية المحبة الموافقة التي تعادي بها الذات أعداء الحق من مثل: الشيطان، والدنيا، والنفس، في مقابل أن تحب أحباب الحق، وتتكلّم معهم، وتحترم أوامرهم، في سبيل أن تجد مكاناً في قلوبهم[1]، لا سيما الفئة التي تؤخذ منها تلك الأوامر تركت للعبد أثراً ، يستطيع أن يقتفيه في مسار حياته.

ثم تلحق بذلك ثنائية ثالثة تمثّلت بـ (المساعد / المعارض) ، والعلاقة في هذه الثنائية علاقة الصراع ، إذ مثّلت (فئة المساعد) ، الفئة التي اختارهم البارئ عز وجل في قول الإمام (عليه السلام) : ((**ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ**

(١) ينظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ١/١٤٨٤.

مَحَبَّتِهِ)) فهناك سنن في خلق الخالق للعباد ، إذ بعثهم في سبيل محبته ، والبارئ يدير شؤون الناس عن طريق تلك المحبة ، في حين نجد الفئة المعارضة والمقابلة في صراعها الفئة التي اقتصرت معرفتها على إمكانية رؤية الخالق سواء في الدنيا أم في الآخرة ، وهل يمكن تحقّق ذلك ؟ وما هو النطاق الذي يُمكن العقول والنفوس من معرفة ورؤية الخالق ؟ وهل هذه الرؤية عقلية أم بصرية ؟ فقصرت عن رؤيته أيَّ: عجزت، ويمكن أن نمثل ذلك بالغافل الذي غفل عن إدراك تلك الرؤية ، لأن الله غير محدود، لذا لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ، ولكنه حاضر، حضور علمي، وعقلي ، ونفسي، أي هناك ما يشهد ويدل على حضوره ، لأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1] ، فالخالق حاضر في كل الجهات، والعلاقة بين المساعد والمعارض علاقة صراع.

وحب الإمام (عليه السلام) اتجاه أهل بيته (عليهم السلام) مما لا شك فيه، فهو من الشجرة المباركة التي يفتخر بها في كل موضع ومناسبة، وعاطفة حب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تأتي في المنزلة الأولى بعد حب الخالق ، نحو ما نجده في قول الإمام (عليه السلام): ((**وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لاَ تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلا يَفُوتُهَا شَيءٌ وَإِنْ لَطُفَ، فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَكَثَّرَنا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ...**))[2].

يقوم العامل هنا على ثنائية الموضوع / الذات – التي مثلتها ذات الإمام السجاد (عليه السلام) –، في مقابل موضوعها المحوري ، الواقع في باب المفاخرة بالنسب العريق ، الأصيل ، ليعمّم هذا الحب على كل الأمم التي سبقت أمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، ويمتد في الزمن ليتفشّى فيحتوي تلك الأزمنة ، بما فيها من

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٥ –٢٦.

أقوام بغض النظر عن ديانتها السماوية ، فموضوع الإمام (عليه السلام) هو الإنعام والإحسان الذي قدمه الخالق للأمة الإسلامية بجعل النبي منهم ، وإعطائه المنزلة الرفيعة بين جميع الأمم ، فقد ركز الإمام (عليه السلام) على بعض الألفاظ التي تفصح عن تلك العاطفة التي يحملها تجاه النبي ، من مثل (مّنَّ) أي : أنعم وأحسن إلينا ، و(ذرأَ) أيَّ : جميع من خلق من الخلق ، فالإنعام والإحسان شامل لجميع الخلق السابقين والحالين ، والإمام (عليه السلام) في هذا النص لا يكتف بإبراز تلك الخصال الحميدة التي وضعها فيهم البارئ ، إنما يضع ذلك الخلق الذي مثله بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) موضع دلالة على الابتداء بالأفضل والختم بالأحسن ، وليس هذا وحسب ، إنما أصبحوا شهداء على كل من جحد حقهم ، وهذه إشارة إلى المعاناة التي عانها رسول الله وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) ، والعلاقة التي تجمع بين الذات والموضوع هي((بؤرة النموذج العاملي لأنها محملة بالشحنة الدلالية الكامنة في الرغبة))[1] ، التي خرجت من نفس الإمام (عليه السلام) تجاه موضوعه المتمثل بـ (حب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالرغبة في إظهار تلك العاطفة وإخراجها للمتلقي هي الدافع في استخراج حب الإمام (عليه السلام) وبيان المقام الذي منحه الخالق للرسول الكريم وآل بيته الكرام (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وتكمن الثنائية الأخرى في جانبين الأول : المرسل الذي تمثل بشخص الإمام السجاد (عليه السلام) ، والمرسل إليه وهم جمع السامعين ، والعلاقة التي جمعت بين المرسل والمرسل إليه تواصلية ، هدفها إيصال الرسالة التي تحمل موضوع في غاية الأهمية، يسعى المُلقي إلى طرح الموضوع عبر أدلة لا يستطيع السامع إنكارها ، فعملية الاهتمام بالألفاظ وإعطائها أهمية ومكانة ، تفترض وجود طرفين : الأول مؤثر ، والثاني مستمع ، والجانب الثاني لديه وعي كامل بألفاظ الأول ويؤولها بسياقها الصحيح ، وهذا

(١) في الخطاب السردي – نظرية قريماس : ٣٤.

ما يعطيها بعداً دلالياً ، ويحصنها من سوء الفهم، وينزلها منزلة متميزة في عالم التواصل[١]، وترتكز ثنائية المساعد / المعارض في النص على الألفاظ الدلالية التي انحصرت في قول الإمام : ((فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ)) إذ جعل هذه الألفاظ الحلقة التي ساعدت في تقديم المفاخرة بالنسب العريق ، وهم الأفضل على جميع الخلق ، والمعارض تمثل في قوله (عليه السلام): ((وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَكَثَّرَنا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ)) حيث الجاحد قد عارض لأحقيتهم وأفضليتهم ، وعلاقة الصراع أثبتت هذه الثنائية، فالمساعد قرر بملفوظاته تأكيد ذلك الفضل عبر جعلهم (شُهداء) على كل من يجحد حقهم وفضلهم ، و (كثرهم) بالإنعام والإحسان إليهم ، فالبعد العاطفي أخذ مدى التفاخر بالانتساب لشخصية عظيمة ، وهي من أحب وأشرف المخلوقات لله عز وجل.

وحب الخير للنفس وللآخرين من المضامين التي تجلّت في ملفوظات دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الآتي: ((**اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ دُعَاتِكَ الدّاعِينَ إلَيْكَ وَهُدَاتِكَ الدَّالّينَ عَلَيْكَ وَمِنْ خَاصَّتِكَ الْخَاصّينَ لَدَيْكَ يَا أَرْحَمَ ألرَّاحِمِينَ...**))[٢].

يتحدّث العامل في النص عن موضوع عاطفة الحب تجاه الذات ، من خلال الفعل الإجرائي الذي يقود العملية نحو الصلاح والسير في طريق الفلاح ، والذات هنا هي في المقام الأول ذوات الآخرين المعاصرة لكل زمان ، وفي المقام الثاني هي ذات الإمام إذ انطلق الحديث من لسان الإمام (عليه السلام) ليتصور المتلقي أن هذا الكلام خاص بالإمام فحسب ، لكن في الحقيقة أنه موجه للسامعين ، والعلاقة التي تربط بين

(١) ينظر : سيميائيات الثقافة وتحليل الخطاب – سيموزيس السلطة والذات في خطاب الإشادة – ، عبد الفتاح يوسف : ٢٦٥. (بحث)

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة : ٣٩.

الذات والموضوع هي الرغبة التي تتمحور حول قيمة الموضوع الذي يسعى الفاعل (الذات) إلى نشره وبثه بين المتلقين.

وتتجلّى ثنائية المرسل في ذات الإمام (عليه السلام) بعدّه الحاكي للنص ، وصاحب القول المكلّف بإيصال الرسائل ذات الهدف ، والمرسل إليه يتمثل بجمع السامعين لذلك الخطاب الصادر من قبل ذات محورية في مجتمعها ، وعلاقة التواصل هي التي تربط بين المرسل / المرسل إليه ، إذْ يتابع المرسل الخطاب الذي أرسله ومدى أهليته عند المرسل إليه ، حتى يحقق الفائدة المرجوة من الموضوع .

وثنائية المساعد / المعارض قد كمنت في ملفوظات الخطاب ، ويمكن أن نستخرجها عبر تلك الكلمات ، فالمساعد هو استجابة الدعاء وجعلهم من أولئك (الداعين والدالين والخاصين) ، والمعارض يكمن في اختيارهم من فئة قد وجدت في زمانه ، وهذه الفئة ممن خرج عن طريق الصلاح ، والعلاقة بين الاثنين هي الصراع والانفصال عن الفئة الأخرى، بانقسام كل فئة على جهة.

وتتوسع عاطفة الحب في الصحيفة السجادية لتشمل الصحابة والتابعين من ذلك ما جاء في قول الإمام السجاد (عليه السلام) : ((**اَللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّد خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ، وَالَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ واسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حجَّةَ رِسَالاَتِهِ، وَفَارَقُوا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الآباءَ وَ الأَبناءَ فِي تَثْبِيتِ نبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ...**))[1].

ينطلق الخطاب ضمن البناء النموذجي للعامل العاطفي ، إذ يعالج الإمام (عليه السلام) موضوع ضمن منظومة الحب والإخلاص لشخصية مثّلت محور مركزي ضمن

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٣٣- ٣٤ ، وينظر :٣٢٠.

النطاق الديني والسياسي والاجتماعي ، فالموضوع هو الحب والتضحية التي قدمها أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في زمانه ، من استجابة لدعوته ، ومحاربة لأعدائه ، ومفارقة الأهل ، ومقاتلة الخارج منهم على النبي ، إذ حصر هذا الحب بفئة معينة كما في قوله : ((خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ)) ، ثم بدأ الصعود بالسلم العاطفي ، من تعداد لأهم ما قدم هؤلاء الصحابة ، والذات التي رغبت في تقديم هذا الموضوع هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) ، فقد وصف لنا الإمام ما يتمتّع به هؤلاء الصحابة من صفات مكنتهم من امتلاك حب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصرته والوقوف إلى جانبه في أوقات الشدة والبلاء .

وتتبني ثنائية المرسل / المرسل إليه على علاقة إبلاغية تواصلية ، إذ كان الإمام (عليه السلام) صاحب الرسالة ، والمرسل إليه السامعين لخطاب الإمام (عليه السلام)، وعمل الإمام على إيصال ما قام به هؤلاء الصحابة من أفعال جعلتهم ممن نالوا محبة ومودة النبي وآله الأطهار(صلوات الله عليهم أجمعين) ، حتى نجد الإمام يدعو لهم وفي الوقت نفسه يذكر الخصال والصفات التي امتلكها أولئك .

وتقوم ثنائية المساعد / المعارض في النص على علاقة الصراع ؛ إذ كان الدعم، والنصرة، وبذل الغالي والنفيس، والحب والود ، الذي يكمن في نفس الصحابة هو المساعد في بناء النموذج ، في المقابل كان هناك المعارض الذي خاض معه المساعد علاقة صراع ؛ لأن كل فئة من هؤلاء يحارب ويقاتل من أجل ما يؤمن به ، فالمعارض قد مثل الفئة التي عارضت ومنعت الأبناء من الانضمام إلى صفوف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومن المحاور الأخرى ضمن العوامل العاطفية للحب في الصحيفة السجادية ما نجده في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) لحملة العرش والملائكة: ((**اللهمَّ وَحَمَلَةُ**

عَرْشِكَ الَّذينَ لا يَفْتُرُونَ مِنْ تَسبيحِكَ وَلاَ يسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيْسكَ وَلاَ يَسْتحسِرونَ مِنْ عِبادتِكَ وَلاَ يَغْفُلُونَ عَنِ الْولهِ إليْكَ...))[1].

لقد عبر الإمام السجاد (عليه السلام) عن موضوعه المتمثّل بالحب اتجاه حملة العرش ، وقد تجلى بالدعاء لهم ، وقد استوعب هذا الحب ملفوظات ذات دلالة عاطفية قوية ، قد صدرت عن أولئك الملائكة الذين لا يسأمون عن تقديس الذات الإلهية ، ولا يستحسرون ، عن ماذا ؟ عن العبادة لله خالق الكون ، وهذه العبادة متأصلة وراسخة، وعبر تلك العبادة نجد العاطفة قد تجلت في علامات وارتفعت مع تدرجات لهذا الحب، حتى نجد هذا الحب يصل أقصى مراتب الحب والشوق وهو الوله، وهذا الوله يعني الارتفاع في سلم التصاعد العاطفي ، عبر مراحله التي سبقت من تسبيح وتقديس وعبادة، حتى الاستيلاء على الجزء الكلي من تلك العاطفة المتمركزة في حب الملائكة لخالقهم ، والذات المعبرة عن الموضوع هي ذات الإمام (عليه السلام) والعلاقة بينهما رغبة الإمام في أعطاء أهمية لموضوعه المتعلق بالملائكة ، والمرسل من قام بإنشاء النص ، إذ وجه الإمام (عليه السلام) عبر نصه رسالة ، إلى المرسل إليه المتمثل بالسامع في زمانه وفي كل زمان فحواها النظر إلى أولئك الملائكة الذين لا يسأمون من تقديس الذات الإلهية ولا يغفلون أبداً ، والعلاقة بينهما هي تواصلية إبلاغية إذ سعى منشئ النص إلى إيصال نصه إلى المرسل إليه الذي أخذ دور التنفيذ ؛ لأن دور المرسل دور قيادي يتزعم إصدار الأحكام ، والمساعد الذي ساند الذات في طرح موضوعها تلك الصفات التي وصف بها الملائكة ؛ لأنه ليس بالضرورة أن يكون المساعد ذات ، إنما يخرج إلى ظروف وصفات وأفعال تساعد الذات في تغليف موضوعها وإعطائه الأهمية، أما المعارض فلا يوجد في النص ، إذ لم ترد أي ملفوظات تشير إلى ما يعيق الموضوع.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٨ .

ونجد عاطفة حب من نوع آخر إذ مثّلت فضيلة الأخلاق وصفة التواضع عاطفة جاءت عبر دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الآتي : ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي، وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ**))[1] .

عبر أسلوب الدعاء تنساب تلك العواطف التي تحمل دلالات كثيرة ، ومعاني عميقة، إذ عبر الإمام (عليه السلام) عن موضوعه الذي انطلق من تمسك وحب لتلك الخصال ، التي يسعى فيها إلى تجنّب الانشغال بغير العبادة ، والعمل على الأحسن من أجل الآخرة ، والإصرار على عمل الخير من دون المنّ فيه ، ويقيد الأخلاق بالأشرف والأنبل والأسمى، فاللجوء إلى استعمال التقابلات الثنائية في بناء الخطاب يعد أحد الإجراءات المنهجية من جهة ، ومن جهة أخرى يعد انعكاساً حقيقياً لطبيعة اللغة ؛ لأن هذه التقابلات تمثّل شفرات طبيعية خاضعة لاستثمار الخطاب[2] . والذات في النص ذات الإمام السجاد (عليه السلام) . والعلاقة بين الذات والموضوع هي الرغبة التي تكمن في نفس الإمام (عليه السلام) في إخراج هذه الكلمات . والمرسل هو صاحب الخطاب (الإمام (عليه السلام) ، أما المرسل إليه هو الذات الإلهية ، إذ يرسل الإمام (عليه السلام) ألفاظه إلى الخالق ؛ لأنه على ثقة تامة بخالقه ، في الاستجابة للأمور التي ضمنها في دعائه ، والعلاقة تواصلية ، إذ الإمام على علاقة مستمرة ومتواصلة في الحديث مع البارئ ، عبر الأدعية التي تحمل مضامين متعددة في معالجة مشكلات

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٨٥ .

(٢) ينظر : فرديناند دوسوسير – تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات : ١٠٣.

مختلفة تواجه العبد في الحياة ، وهي بمثابة رسالة موجهة للسامع ، من أجل التحلي بمثل هذه الفضائل.

أما ثنائية المساعد / المعارض فقد وردت في النص عبر الكلمات التي ساعدت في إيضاح وفهم كل طرف من هذه الثنائية ، فمثلت الجمل الآتية عاملاً مساعداً : (واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه واستفرغ أَيَّامي فيما خلقتني له...))، وفي مقابل هذه الكلمات نجد المعارضة التي تعمل عليها النفس الإنسانية الإمارة بالسوء، فالابتعاد عن ممارسة هذه الأفعال من (اكفني ، استعملني ، استفرغ، وأَعزَّني، لا تبتليِّني بالكبر،لا تفسد عبادتي) ، يعني هناك محاربة ومصارعة للنفس في سبيل خلاصها ، والعلاقة بين المعارض والمساعد هي الصراع التي تحدث جراء وجود المتناقضات عند الطرفين ، فتفوق الفاعل في إنجاز المهمة التي تمنح الآخر التأهل والطاقة في تمكينه من مقاومة الأعمال السيئة ، وتضييق دائرة الصراع الذي يسبب للنفس الاضطراب والقلق ، وبالنتيجة تحقيق الموضوع ، ونجاح المهمة الأساسية التي اضطلع بها الفاعل[١] ، وهذا يعطي دليلاً على كفاءة الفاعل واستعداده في إنجاز موضوعه.

٢ ـ سيمياء عاطفة الكره

الكره لغة: الكره من العواطف الوجدانية النقيضة للحب ، وقد وردت في المعجم اللغوي، وتعود إلى أَصْل صحيح واحد فالْكَافُ وَالرَّاءُ وَالْهَاءُ ، يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ[٢]، وتأتي في لغتين ، إذ ((أَن الكَرْهَ والكُرْهَ لُغتانِ، فبأَيِّ لُغَةٍ وَقَعَ فجائِزٌ ، الكُرْه،

(١) ينظر : مقدمة في السيميائية السردية : ٣٣.

(٢) ينظر : مقاييس اللغة : ٥/ ١٧٢.

بِالضَّمِّ ، المَشقَّةُ. يُقَالُ: قُمْتُ عَلَى كُرْهٍ أَي عَلَى مشقَّةٍ. قَالَ الْفَرَّاءُ : وَيُقَالُ أَقامني فُلَانٌ عَلَى كَرْهٍ، بِالْفَتْحِ، إِذَا أَكرهك عَلَيْهِ ، ويُقَالُ كَرِهْتُ الشيءَ كَرْهاً وكُرْهاً وكَراهةً وكَرَاهِيَةً))[1]،وهذا يعني أن الكره مرادف لكلمة البغض ، ويراد به المشقة التي تنال الإنسان من وضع خارج عنه ، يحمل عليه بالإكراه ، سواء أكان من نفسه ، أم كان مفروضاً عليه.

الكره في الاصطلاح : هو نوع من أنواع الانفعالات والمشاعر البشرية ، التي تصنف ضمن العواطف السلبية، فتؤثر في تصرفات وسلوكيات الإنسان، وتختلف من ذات لذات أخرى ، بحسب الشيء المختلف عليه ، والدافع وراء نشأته يتمثل في الاختلاف والتعارض مع حاجات الفرد ، من دوافع ، ومعتقدات ، وأغراض وغيرها[2]، وتكتسي العواطف بطابع اجتماعي ، فتندمج في النسيج الاجتماعي الذي انطبعت على مشاعره الأحاسيس المختلفة ، لذلك تختلف العاطفة باختلاف الطبقات الاجتماعية ، فضلاً عن البلدان المختلفة ، فمثلاً العاطفة التي يعيش بها الأغنياء تجاه الفقراء هي التعالي والتكبر، والعاطفة التي يعيشها الفقراء اتجاه الأغنياء هي الكره والحسد ، وهناك كره يدخل الإنسان في سخط الله كحب المحرمات ، وكره يدخل الإنسان تحت مظلة الشيطان، ومن الموجودات التي يكرهها الإمام السجاد (عليه السلام) الشيطان ، من ذلك ما جاء في قول الإمام السجاد (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَكَيْدِهِ وَمَكَائِدِهِ ، وَمِنَ الثِّقَةِ بِأَمَانِيِّهِ وَمَوَاعِيدِهِ وَغُرُورِهِ وَمَصَائِدِهِ ، وَأَنْ**

(١) لسان العرب : ١٣ / ٥٣٤.

(٢) ينظر : معجم مصطلحات الطب النفسي ، د.لطفي عبد العزيز الشربيني : ٧١، ينظر : السلوك الإنساني ، انتصار يونس : ١٦٣-١٦٤.

يُطْمِعَ نَفْسَهُ فِي إِضْلاَلِنَا عَنْ طَاعَتِكَ وَامْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ ، أَوْ أَنْ يَحْسُنَ عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ لَنَا ، أَوْ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهَ إِلَيْنَا. اللَّهُمَّ اخْسَأْهُ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ...))[1].

من الموجودات التي يكرهها الإمام السجاد (عليه السلام) الشيطان ، الذي شكل موضوعاً ، خرج عن ذات تكره بشدة كل ما يخرج عن هذا الممثل (الشيطان) ، فقد جعله محوراً في كل ما يدل على الكره ، ففي المقام الأول يستعيذ الإمام (عليه السلام) باللجوء إلى الله عز وجل من نزغات الشيطان ، أي: وسوسة الشيطان ، ويفصل بصفات الشيطان التي تشكل مركزاً في معاني الكره ، فالرجيم أي المرجوم باللعن ، فلا ثقة بتلك الأماني والمواعيد والمصائد التي يعطيها الشيطان للإنسان ، لذلك يكره الإمام (عليه السلام) تلك الأماني والمواعيد ، ويفصل بصفات الشيطان البغيضة التي عبرها يستدرج الإنسان ، فيحاول إضلال الإنسان لأنه يطمع في حدوث تلك الضلالة ، لذلك يستخدم البشر في معصية البارئ ، فيجعل الشيطان العصيان عملاً جميلاً ، لذا فإن الإمام (عليه السلام) يدعو الله أن يكبت تلك الأماني البغيضة ، عبر توفيق الإنسان والتزامه بالعبادة ، والعلاقة التي تربط بين الموضوع والذات علاقة انفصالية ، لأن الذات لا ترغب بالتواصل بأيَّ طريقة بالموضوع ، إنما تطرح الموضوع من باب التنبيه للسامعين ، من أجل عدم الوقوع في مصائد الشيطان.

والعامل الثاني في النص تمثل بالمرسل / المرسل إليه ، حيث كانت ذات الإمام (عليه السلام) المرسلة بوصف الخطاب قد صدر عنها ، والمرسل إليه الذات الإلهية، فالدعاء موجه للخالق لأنه القادر على تفنيد كل الأماني والمصائد التي يوهم بها الشيطان البشر ، فالدخول في حماية الخالق وحصانته تقي البشر من مكائد الشيطان، والعلاقة بين المرسل / المرسل إليه علاقة تواصلية مبنية على الإيمان والثقة العالية بمن وجّه له الدعاء ، وتتبني ثنائية المساعد / المعارض ضمن علاقة الصراع ، إذ مثلت

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٧٨ .

الثقة والإيمان بالله عز وجل مساعداً في تجاوز كل ما يقدم الشيطان، في حين جاء المعارض متمثلاً بكل الألفاظ التي إشارات إلى مكائد ومصائد وأماني الشيطان، والعلاقة بينهما الصراع الذي يعيشه الناس بين تلك الأماني والوعود ، والتغلّب على كل ما يمت بصلة إلى مكائد الشيطان.

ونجد هناك كرهًا لشخصيات موجودة في زمن الإمام (عليه السلام) ، من ذلك ما جاء في الدعاء الآتي : ((**يَا مَنْ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَنْبَاءُ الْمُتَظَلِّمِينَ ، وَيَا مَنْ لاَ يَحْتَاجُ فِي قِصَصِهِمْ إِلَى شَهَادَاتِ الشَّاهِدِينَ ، وَيَا مَنْ قَرُبَتْ نُصْرَتُهُ مِنَ الْمَظْلُومِينَ ، وَيَا مَنْ بَعُدَ عَوْنُهُ عَنِ الظَّالِمِينَ قَدْ عَلِمْتَ يَا إِلهِي مَا نالَنِي مِنْ [فُلاَنِ بْنِ فُلاَن] مِمَّا حَظَرْتَ وَانْتَهَكَهُ مِنّي مِمَّا حَجَزْتَ عَلَيْهِ بَطَراً فِي نِعْمَتِكَ عِنْدَهُ وَاغْتِرَاراً بِنَكِيرِكَ...**))[1].

ينطلق النموذج العاملي ضمن نطاق الكره ، فوجود الانشطار ما بين الذات والموضوع المعالج ، على الرغم من خروج المضمون من روح متوجعة ، والدعاء هو الوسيلة في الاحتجاج على الظالم عند الله ، فالمظلوم يقاوم ، ويحارب ، ويكافح ، ويبذل الجهد في سبيل التخلص من ذلك الوضع ، فإن عجز عن رد الظلم ، رفع ظلامته للخالق ؛ لأنه القادر على كل شيء ، فالموضوع هو كره الظالم الذي يتسلط بجبروته على الآخرين ، والذات التي تجلّى الخطاب عن طريقها هي ذات الإمام (عليه السلام)، إذ أشار إلى جملة من الأمور – بعد أن استفتح الدعاء بأسلوب النداء – منها : أن حالة الظلم التي تجري على المظلومين غير خافيه على الله، وأن الله ليس بحاجة إلى أي شهادة على ظلم الظالمين ، وأنه قريب من المظلومين وقادر على نصرهم ، ولا يعطي العون للظالمين ؛ لأن الخالق قادر على اقتلاع الظلم والانتقام من أهله، وإعطائهم الجزاء المستحق، وتبصير المظلومين بسبيل الخروج من هذا الأمر، وإعطائهم

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٦٤ –٦٥ .

الأمل الذي يكون بمثابة الدرع الواقي ، والتيقّن من تحقق العدالة ولو بعد حين ، فالعدالة الإلهية قادمة، حتى لو فاتت عقوبة الدنيا ، فإن العقاب ينتظرهم في الآخرة[١]. وهذه الأمور إنما تحمل إشارات خفية عن المعاناة التي يعيشها الإمام (عليه السلام) في ظل ولاة المدينة التي يسكن فيها ، فلم يصرّح باسمه إنما اكتفى بقوله (فلان بن فلان) تجنباً للأذى ، والعلاقة التي تربط بين الذات والموضوع علاقة الانفصال، فالذات لا ترغب في التواصل مع هذا الموضوع ، ولكنها سعت إلى طرحه من أجل كشف وإظهار موضوع الظلم الذي يتقوقع في بيئتها.

وينطوي النص بالتأكيد على ثنائية المرسل / المرسل إليه ، فالخطاب منطلق من لسان الإمام السجاد (عليه السلام) ، إذ وجّهَ الإمام (عليه السلام) رسالة ، ونقل صورة من صور الحياة آنذاك ، واثبت أن الظلم موجود ، ودافع عن حقه ، وأعطى درساً مهماً للمؤمنين في الوقوف بوجه الظالم ، وفي المقابل هناك مرسل إليه ، وجهت إليه الرسالة ، فالظلم موجود لكن الإمام (عليه السلام) وجه ظلامته إلى الذات الإلهية، عن طريق وسيلة مهمة عند المؤمن ، عن طريق الدعاء، الذي تكون الاستجابة فيه أسرع، والعلاقة التي تربط بين المرسل / المرسل إليه علاقة تواصل ، و رغبة الإمام (عليه السلام) بالتواصل مع الذات الإلهية دعته إلى الاستمرار والمواصلة في كل نعمة ، وفي كل شدة وبلاء.

وثنائية المساعد / المعارض التي ربطت بينهما علاقة الصراع ، تلك التي يعيشها المظلوم في مقابل ظلم وطغيان الظالم ، والمساعد قد مثل ذلك الإيمان والقوة والثبات الموجود عند أولئك المؤمنين ، الذين يذودون عن حقهم ضد الظالم ، مستمدّين العون والتوفيق من الله ، فإذا وجد المظلوم أن دفاعه بلا جدوى ، بل قوة للظالمين ، عندئذ

(١) ينظر : الظلم وانعكاساته على الإنسانية – رؤية شرعية ، م د. عثمان محمد غنيم :١٣.

يرفع شكواه إلى الجهة العليا (الخالق) ، والمعارض في النص مثل الظالم وما تحلى به من صفات جعلته يتمادى كثيراً في ظلم الناس.

ويستمر الإمام (عليه السلام) بوصف الكره الموجود في أفعال بعض البشر التي تؤدي إلى أذيته ، نحو ما نجده في قوله: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَعَوِّضْنِي مِنْ ظُلْمِهِ لِي عَفْوَكَ، وَأَبْدِلْنِي بِسُوْءِ صنِيعِهِ بِيْ رَحْمَتَكَ، فَكُلُّ مَكْرُوه جَلَلٌ دُونَ سَخَطِكَ، وَكُلُّ مَرْزِئَةٍ سَوَاءٌ مَعَ مَوْجِدَتِكَ. أَللَّهُمَّ فَكَمَا كَرَّهْتَ إِلَيَّ أَنْ أَظْلِمَ فَقِنِي مِنْ أَنْ أُظْلَمَ...**))[1].

مما لا شك فيه أن الفعل الإجرائي الذي يمارسه الظالم ضد المظلوم يولد الكره، والضغينة ، في نفس المظلوم ، ولكن ما نجده في خطاب الإمام (عليه السلام) على مستوى النموذج العاملي قد مثلّ أرقى النماذج من حيث الموضوع المطروح ، مع أن الموضوع مجهّز بالكره ، إلاَّ أن الرحمة والعفو والمغفرة تغلّفه وتحتويه ؛ لأن الذات ليست ذاتًا عادية ، فالمعروف أن الذات التي تواجه الظلم ، ترده بالانتقام إلاَّ هنا نجد ذات تقابل الظلم عن طريق الدعاء ، بالعفو والرحمة ، وهذا أمر طبيعي ، لأنه قد صدر من ذات معصومة ، لا ترد الظلم بالانتقام ، إنما تطلب بدل الظلم عفواً ورحمةً، والعلاقة بين الذات والموضوع علاقة انفصالية ؛ لأن الذات لا ترد على الظالم بالمثل، ولأنها سعت إلى إظهار الموضوع ، عبر عرضه أمام الخالق.

وبالتأكيد يتضمن الخطاب عامل المرسل / المرسل إليه ؛ لأن لكل خطاب هناك غاية وهدف ، يسعى عبرها المرسل إلى إرسال رسالة ذات موضوع ، والمرسل هنا ذات الإمام السجاد (عليه السلام)، فعبر عن ذلك الظلم الذي يعيشه ، والمرسل إليه الذي وجه الإمام (عليه السلام) إليه رسالته هو خالق الكون . والعلاقة التي تربط بين هذه

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٦٥-٦٦ .

الثنائية علاقة تواصلية ، تتبع من رغبة الإمام (عليه السلام) في التواصل مع الذات الإلهية ، والاستمرار في هذا التواصل.

وثنائية المساعد / المعارض تجلت في الخطاب أيضاً ، فالصفات التي أشارت إلى الرحمة ، والعفو ، والابتعاد عن الظلم ، قد مثلت عامل المساعد الذي ساند وعاضد الذات في معالجة موضوعها ، وتمثل عامل المعارض بكل ما أشار إلى الظلم ، والكره، والسوء ، الذي يكمن في نفس الظالم ، والعلاقة التي ربطت بين هذه الثنائية هي علاقة الصراع ، فكل صفة من الصفات التي وجدت في جهة كانت بمثابة الضد، للصفة التي وجدت في الجهة الأخرى ، ومن المحال أن تجتمع صفة من الجهة الأولى مع صفة من الجهة الثانية ، لأن عمل كل واحدة منهما مخالف للأخرى.

ويكره الإمام (عليه السلام) الأفعال السيئة التي يتّصف بها بعض الناس من ذلك ما جاء في الدعاء الآتي: ((**وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الإِسْرَافِ، وَمِنْ فِقْدَانِ الْكَفَافِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَى الأَكْفَاءِ وَمِنْ مَعِيشَةٍ فِي شِدَّةٍ وَمَيْتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمَى، وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى، وَأَشْقَى الشَّقَاءِ وَسُوءِ المَآبِ، وَحِرْمَانِ الثَّوَابِ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ...**))[1].

ينبني العامل في هذا الخطاب على ثنائية الموضوع / الذات ، والموضوع قائم على عاطفة الكره التي تجلت في الكلمات التي عبر عن طريقها الإمام (عليه السلام) عن تلك الصفات المكروه التي لا يريد أن تكون جزء من نفسه وكيانه ، لذا عبر بالابتعاد عنها عن طريق أسلوب الدعاء ، بعدّه من أهم الوسائل التي يمكن عبرها إرسال رسائل مختلفة ، في المضامين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والدينية، فالاستعاذة من هذه الأمور التي صرح بها الإمام (عليه السلام) في خطابه ، إنما من

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٤٩-٥٠.

باب الحرص على تجنبها وتجاوزها عبر الالتجاء إلى البارئ عز وجل ، والدخول في حصنه ، والذات التي طرحت الموضوع هي ذات الإمام (عليه السلام) ، والعلاقة التي تجمع بين الذات والموضوع علاقة انفصالية ، لأن الذات لا ترغب بهذا الموضوع ، إنما طرحته من باب تنبيه ولفت نظر المُخاطب.

والثنائية الثانية المتضمنة في الخطاب ، ثنائية المرسل / المرسل إليه ، المرسل هو شخص الإمام السجاد (عليه السلام) ، والمرسل إليه هو الخالق ، إذ وجّه الإمام (عليه السلام) خطابه إلى البارئ ، عبر أسلوب الدعاء وفعل الطلب ، من أجل الابتعاد عن هذه الصفات المكروه ، والعلاقة التي تجمع بين الثنائية علاقة تواصلية، تنبع من رغبة الإمام (عليه السلام) في التواصل مع الذات الإلهية ، وفي الوقت نفسه، حثّ السامعين على تجنب هذه الصفات المكروه ، والدخول في حصن البارئ.

ويتضمن الخطاب أيضاً ثنائية ثالثة ، تقوم على عامل المساعد / المعارض ، حيث الالتجاء إلى الخالق ، وتجاوز الإفراط ، وعدم الإسراف ، والاستعداد لتهيئة العمل الصالح ، مثلت عاملاً ، ساعد الذات على أنجاز خطابها ، في حين كان في مقابل هذه الصفات عوامل معارضة ، مثلت كل ما أشار إلى الصفات المكروه ، والعلاقة التي تجمع بين الثنائية علاقة صراع ، إذ يقف كل واحدة من هذه الثنائية بالضد من الثنائية الأخرى ، من أجل إعاقة عملها.

ولا يكون الكره متجسّداً في الذات الشيطانية ، أو في الذات الإنسانية فحسب ، إنما قد يأتي في الصفات والفضائل السلبية ، كفضيلة الأخلاق التي جاءت في قول الإمام (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الغَضَبِ وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ وضَعْفِ الصَّبْرِ وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ وَشَكَاسَةِ الْخُلُقِ، وَإِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ، وَمُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَمُخَالَفَةِ الْهُدَى، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ، وَإِيْثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى**

الْحَقِّ وَالإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ، وَاسْتِصْغَارِ الْمَعْصِيَةِ، وَاسْتِكْثَارِ الطَّاعَةِ، وَمُبَاهَاةِ الْمُكْثِرِينَ، وَالإِزْرَاءِ بِالْمُقِلِّينَ، وَسُوءِ الْوِلاَيَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا...))[1].

تتشكل ثنائية الذات / الموضوع ضمن علاقة انفصالية قصدية ، لأنها تبرمج وفق الموضوع المراد العمل عليه ، والموضوع المطروح في خطاب الإمام (عليه السلام) يشير إلى صفات مكروهه عدة ، لا يحبذها الإمام ، إنما يكرها ويدعو إلى تجنبها ، وهي في مجملها غير مشروعة ، وداخلة في باب المعصية ، من الحسد، والباطل ، وخذل المظلوم وغيرها من الصفات الأخرى ، لأن الإنسان في جميع الثقافات والمستويات المختلفة يملك العواطف ، ويكرس نفسه في سبيل الحصول على عاطفة السعادة ، ويتجنب العواطف البغيضة ، التي تعمل على زعزعت القيم والمبادئ [2]، التي تساعد على بناء مجتمع قويم سليم من الآفات والأمراض السلوكية ، والذات التي تبنت هذا الموضوع هي ذات الإمام (عليه السلام) ، التي سجلت حضوراً ، مع أن العلاقة التي ربطت بينها وبين الموضوع علاقة انفصالية ، لأن الذات لا ترغب بهذا الصفات التي تحدثها عنها الخطاب ، وطرحتها من باب توجيهها إلى المُخاطب ، من أجل العظة، وتجنّب هكذا صفات.

أمَّا الثنائية الأخرى التي تضمّنت في الخطاب ثنائية المرسل / المرسل إليه ، حيث لا نص دون مرسل (باعث) ، ومرسل إليه (مستلم) ، ولا رسالة دون هدف ، يحدّده المرسل ، ويرسم معالمه ، من أجل الوصول إلى نتائج مرضية ، والمرسل في الخطاب هو الإمام السجاد (عليه السلام) ، والمرسل إليه هو الذات الإلهية ، والعلاقة التي تربط بين المرسل / المرسل إليه علاقة تواصلية ، فرغبة الإمام (عليه السلام) في

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٤٨-٤٩.

(٢) ينظر : الشعور بما يحدث (دور الجسد والعاطفة في صنع الوعي) : ٤١ .

التواصل مع الذات الإلهية ، و هي رسالة موجهة إلى جمع السامعين ، في سبيل حثهم في تجنب هذه الصفات ، وعدم التخلق بها ، لأنها من الصفات المكروهة ، التي لا يحبذها الإمام ، ولا يريد للناس أن يتحلوا بها.

ويتضمن الخطاب أيضاً ثنائية المساعد / المعارض ، إذ كان الحث الذي قدمه الإمام (عليه السلام) مساعداً للسامعين في تجنب هذه الصفات المكروه ، في حين كانت هذه الصفات المكروه بما حملت من معاني تشير إلى التحلي بكل ما هو باطل ومحرم وغير مشروع معارضاً ، ربطت بينهما علاقة الصراع التي مثلت حداً فاصلاً بين المساعد ، وبين المعارض.

ما نجده في عوامل سيمياء عاطفتَي الحب والكره أن عاطفة الحب قد أخذت مساحة أوسع من عاطفة الكره ؛ والسبب في ذلك يعود إلى أن عاطفة الحب قد توزعت على أكثر من شق ، فتعددت وتنوعت ،لأن أدعية الصحيفة كانت رسالة إنسانية تحمل المحبة ، وأسمى المشاعر ، والعواطف المتعالية ، وتنبذ الخلافات ، وتأكد على أواصر المحبة والسلام بين أبناء المجتمع الإسلامي ، ثم أن صدور هذه الأدعية من نفس امتلأت بحب الخير، وفعله ، وتطبيقه بشكل متوازن ، بما يلائم ما يحمل الإمام (عليه السلام) من حكمة، وبصيرة في جميع الأمور، ولأن عاطفة الحب من أكثر العواطف أثراً في النفس الإنسانية، فإن الإمام (عليه السلام) كان يدعو إلى كل المسوغات التي تدعم الحب وتبغض الكره ، عن طريق الإحسان للمسيء ، وإصلاح ذات البين ، والعفو عن المخطئ ، وغيرها من الفضائل ، التي تتمحور حول تكامل الإنسان بألفاظه وأفعاله ، فكان مثالاً خيراً للآخرين ، وانسجاماً وتناغماً مع ما يعتقده ، فجاءت موزّعة في هذا الجانب ما بين حب وتقديس للذات الإلهية ، وحب للرسول وآل بيته (صلى الله عليه

وآله وسلم)، وحب للصحابة والتابعين ، وحب للرسل والأنبياء ، وحب لحملة العرش والملائكة ، وحب للأهل والجار ، وحب للنفس والآخرين ، وحب للفضائل ، في حين كانت عاطفة الكره أقل من ذلك بكثير، إذ جاءت موزّعة ما بين كره للشيطان ، وكره لبعض الشخصيات ، وكره لبعض الصفات والفضائل ، وربما السبب في ذلك يعود إلى أن عصر الإمام السجاد(عليه السلام) عصر مضطرب في النواحي السياسية والاجتماعية والدينية، عصر انحرفت فيه القيم والعادات بفعل السياسة الأموية ، وانتشار الفتن ، وقيام الثورات ، فجاءت أدعية الصحيفة دستوراً ينير ظلمة الأمة ، ويفتح سبر الطرق ، ويحث الناس ويجذب انتباههم إلى الأمور المهمة في حياتهم ، وعدم الانصياع إلى المغريات التي وفرها العصر آنذاك.

المبحث الثالث

سيمياء العوامل العاطفية للخوف والأمن في الصحيفة السجادية

إن عاطفة الأمن من الركائز الأساسية التي تقوم عليها حياة الكائنات الحية بصورة عامة وحياة الإنسان بصورة خاصة ؛ لأن وجودها يساعد على استمرار الحياة وتقف عاطفة الخوف بالضد من عاطفة الأمن ، فالشعور الذي يتولّد في نفس الإنسان اتجاه الأشياء والقضايا التي يعيش معها هو ما يحدد هذا الشعور بالاطمئنان والأمان ، أو بالقلق والارتباك، وهما من الحالات الطبيعية التي تتولّد في النفس الإنسانية ، لذلك فإن الاستقلال النسبي للتصاورات[١] الوجودية هو المحدد في تلك الحالات ، من الحمولات والكيفية المحددة والمخصصة ، والتي يتم عبرها تشكّل تلك التصاورات، والحالة فيها ما بين انفصال أو اتصال ، مع إرادة عدم الكينونة ، و يشترط تأويل مسارها في عاطفة الأمن ، لكن تخلو من الشرط في عاطفة الخوف ، لأن الذات المرعوبة محصورة بإرادة عدم الكينونة [٢]، ((ولأن الخوف أمر وارد وطارئ على الإنسان ، فإنه يؤثر عليه مادياً ونفسياً ، ويذهب بنعمة الأمن التي تمكن الإنسان من السعي والتصرف في هدوء واطمئنان))[٣] ، ولذلك فإن البعد العاطفي في الخطاب يستدعي منّا استقبال مجموعة من المكونات والمعطيات التوترية والتشخيصية معاً ، فتكون في حالة تضاد[٤]، وهذا ما تجلى في عاطفتي الأمن والخوف في

---

(١) التصاورات :هي ترتيب الذوات المشخصة والمُحسّسة على وفق مجموعة من المعطيات تجمع بين الموضوع والحالة التوترية التي تعيشها الذوات ، ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس :١٠٧.

(٢) ينظر : م ، ن : ١٠٦-١٠٧.

(٣) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، د. عبد الله عبد المحسن التركي : ٢٨.

(٤) ينظر : م ، ن .

أدعية الصحيفة السجادية ، والتي جاءت بحسب الموضوع المعالج ، ضمن المسارات الكبرى والصغرى ، وضمن الوضعيات الممكنة للفعل العاطفي ، الذي يوجد ضمن دائرته ، ويشير إلى جنسه ، فيحددها الإمام (عليه السلام) عن طريق تنظيمها وتحديد روابطها ، من أجل بناء مفاهيم مركبة (ثقافية/ دينية) ، ومنحها قيمة وبعد ، يحقق عبره مجمل المهمة التي يسعى إليها ، ثم طرح هذه المفاهيم ، عبر إنتاج الخطاب ، وبثه للتداول والاستهلاك.

١ ـ سيمياء عاطفة الأمن

الأمن لغة : توحي هذه المفردة بالاطمئنان ، والاستقرار ، وسكون القلب ، وقد وردت في المعجم اللغوي ، و تعود في أصلها الثلاثي إلى معنيين متقاربين فـ: ((الأَمانُ والأَمانةُ بِمَعْنًى. وَقَدْ أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غَيْرِي مِنَ الأَمْن والأَمان. والأَمْنُ: ضدُّ الْخَوْفِ. والأَمانةُ: ضدُّ الخِيانة. والإِيمانُ: ضدُّ الْكُفْرِ. والإِيمان: بِمَعْنَى التَّصْدِيقِ، ضدُّه التَّكْذِيبُ. يُقَالُ: آمَنَ بِهِ قومٌ وكذَّب بِهِ قومٌ، فأَما آمَنْتُه الْمُتَعَدِّي فَهُوَ ضدُّ أَخَفْتُه))[١].

الأمن اصطلاحاً : ولا يبتعد معناه في الاصطلاح عن المعنى اللغوي كثيراً ، إنما يدور في الفلكِ ذاته ، إذْ عرفه الجرجاني بقوله : ((عدم توقع مكروه في الزمان الآتي))[٢] وهو في ((أصله طمأنينة النفس وزوال الخوف . وأمن بالكسر، أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازا فقيل للوديعة أمانة))[٣] ، و تأتي عاطفة الأمن متجسدةً بالعبارات والصفات التي تنطلق على لسان الإمام (عليه السلام) ، فتارة نجدها متعلقة بالذات الإلهية

---

(١) لسان العرب : ١٣/ ٢١.

(٢) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦ هـ)، وضع حواشيه وفهارسه : محمد باسل سواد العيون :٥٥.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق : عبد الخالق ثروت: ٦٣.

والدخول في حصن الخالق ، وتارة متعلقة بالأمور الدنيوية ، وهذه قد تأتي مرتبطة بالذات، وموجهة للذوات الأخرى ، وقد تكون متعلّقة بالشخصيات ما بين دعاء لشخصيات تستحق هذا الأمن ، وبالعكس دعاء يقوم على إفراغ الأمن من قلب المقابل المحارب (الضد للذات) ، وقد يكون متعلقاً بالأمور الآخروية ، فتعمل الذات فيه على تأمين وتجهيز ما يلزم، في سبيل الوصول إلى ذلك الأمن، وأحياناً تخرج إلى أمور أخرى متعلقة بالظواهر الفلكية.

والإيمان برب العباد من العقائد المتأصلة والأساسية والتي تدور حولها علاقة العبد بربه، وهذا الإيمان عميق في نفس الإمام (عليه السلام) ، فلا ملجأ إلاَّ سواه ، ولا أمن إلاَّ في حصنه ، والدخول في ولاية وحصن الخالق غاية المؤمن ؛ لأن ذلك يعني له الإيمان والأمان الذي لا يجده إلاَّ في هذه الولاية ، ومن ذلك ما نجده في دعاء الإمام (عليه السلام) في التسبيح : ((**اللَّهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ لَهُ ثِقَةٌ أَوْ رَجَاءٌ غَيْرُكَ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنْتَ ثِقَتِي وَرَجَائِي فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، فَاقْضِ لِيْ بِخَيْرِهَا عَاقِبَةً، وَنَجِّنِيْ مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**))[1].

تقوم البنية النموذجية العاطفية في خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) على قناعة عقلية ثابتة ، وراسخة ، متأصّلة بالفكر، والوجدان ، مرتبطة باليقين القطعي ، فاللجوء إلى الذات المقدسة من العقائد التي لا نقاش فيها ، فالعامل النموذجي في ثنائية الموضوع / الذات يقوم على موضوع في غاية الأهمية ، إلا وهو موضوع الأمن ، ولكن أيُّ أمن نقصد هنا؟ الأمن الذي نعنيه هو الأمن الإلهي ، الذي بمجرد الحديث فيه يشعر المرء معه بالاستقرار النفسي ، والهدوء والسكينة ، فيا ربِّ أنت ثقتي ورجائي في الأمور كلها، فلا أرجو أمراً إلا منك ولا أثق في حاجة إلا بك ، أوصل إلي من حوائجي ما هي أحسن عاقبة مما عداها، ونجني من الامتحانات التي توجب ضلال الإنسان وسقوطه فيها ، فلا حاجة لإيضاح قناعات عقائدية ، فكرية ، مرتبطة بمصير الإنسان ومسيرته في الحياة ، والذات

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٦٣ ، وينظر : ٥٤- ٣١٢- ٣١٣.

التي أخذت على عاتقها طرح هكذا موضوع مهم ، هي ذات الإمام (عليه السلام)، والعلاقة التي تربط بين الموضوع / الذات علاقة الرغبة ، إذ قامت على مجموعة من العناصر التي تولّدت عنها جملة من الوظائف ، ساعدت الذات على إيصال موضوعها وتحقيق الإنجاز.

أمَّا ثنائية المرسل / المرسل إليه فإن مجموع الأفكار والمعتقدات التي تؤمن بها ذات المرسل ، يتم ترجمتها عبر اللغة الواصفة للحالة العاطفية ، فيوجد قدر من المعلومات تمتلكها ذات المرسل ، تسعى عبره إلى إرسال رسالة للمرسل إليه ، وبالتأكيد هناك رابط تواصلي مستمر بين الثنائية ولا سيما إذا كان هناك أتفاق على تلك المعتقدات ، ضمن الإطار الثقافي والفكري ، وتمثل المرسل إليه بالفئة التي تؤمن وتعتقد بالعقائد الدينية، والعلاقة التي ربطت بين الثنائية علاقة تواصلية ابلاغية.

في حين جاءت ثنائية المساعد / المعارض في مساحة أقل داخل الخطاب ، والسبب في ذلك أن بقية الثنائيات قد أخذت حيزاً أكبر ، بحسب الوظيفة التي شغلتها ، وقد تمثل عامل المساعد في الخطاب بكل ما يشير إلى توافر الثقة ، والرجاء ، وحسن العاقبة ، بينما مثل عامل المعارض (مضلات الفتن) ، والعلاقة التي ربطت بين عامل المساعد/ عامل المعارض علاقة صراع لأنه لا يوجد وضع مشترك بين الثنائية ، إنما الصراع هو الفاصل بينهما.

ومن النصوص التي تجلى فيها الأمن، والطُمأنينة ، متعلق بجانب الدنيا ويدور حول توفير الأمن للذات ما جاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الاَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ،**

ومِنْ خِذْلانِ الأَقْرَبِينَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحيحَ الْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الأَمَنَةِ...))[1] .

ما الدافع الذي يدفع الذات إلى البحث عن الأمن؟ تصدر هذه الكلمات عبر قناعات عقلية ، لتخرج عبر الممارسة السلوكية اللفظية ، إذ شكل النموذج العاملي انطلاقة لثنائية الموضوع / الذات ، فما تبحث عنه الذات في هذه الألفاظ هو الأمن في ظل مجتمعها، إذ احاطت خطابها بعواطف متعددة ، في حين تجد في نفوس الآخرين الكره ، والحسد، والسوء ، والعداوة ، والعقوق ، والقسوة ، وقطع صلة الرحم ، والخذلان ، والخوف الذي يضمره هؤلاء للذات ، في حين تبحث الذات عن بديلٍ لهذه العواطف متمثلة بالحب، والمودة، والثقة ، والرحمة والنصرة ، وكرم العشرة ، وصلة الرحم ، والأمن في ختامها؛ لأنها بحاجة ماسة لهذه الأشياء من أجل العيش بسلام وأمن في عالمها ، سواء أكان من أجل الفرد نفسه ، أم من أجل الآخرين ، والعلاقة التي تربط بين الذات والموضوع الرغبة التي ترغب بها الذات ، لأنها تسعى في سبيل تطبيقها تطبيقاً فعلياً في بيئتها ، من أجل الطمأنينة والأمن.

ويتضمّن الخطاب ثنائية المرسل / المرسل إليه ، إذ يمتلك المرسل (الإمام السجاد) (عليه السلام) معلومات مهمّة يتطلّبها الناس في حياتهم ، وقد تولّدت عن طريق المرسل الوظيفة التعبيرية التي شوقت المتلقي في البحث عن المشكلة وعلاجها ، مع أن الإمام قدم في ملفوظاته لكل علة علاج يناسبها ويقضي على مرضها ، والمرسل إليه قد مثل جمع السامعين لهذا الخطاب ، بعده خطاب عام وشامل لكل زمان ومكان ، ولأن من طبيعة الإنسان البحث عن هذه الطمأنينة ، التي يشعر بأهميتها ، وتوفرها في بيئته . والعلاقة التي تجمع بين المرسل / المرسل إليه علاقة تواصلية قوامها تحقيق قيمة الموضوع بالوصول إلى الهدف المحدد فيه.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٨٧.

وتمثلت ثنائية المساعد / المعارض بالصفات الواردة في الخطاب ، إذْ تضمن النص الكلمات الصريحة وذات المعنى العميق والتي تشير إلى الطمأنينة ، والأمن ، المحبة، والمودة ، وغيرها، فجاءت بمثابة عاملاً ساعد الذات على انجاز موضوعها وتحقق القيمة فيه، وهي كالآتي : (المحبة ، المودة، الثقة ، الولاية، المبرة ، النصرة ، تصحيح المقة ، كرم العشرة ، حلاوة الأمنة) ، في حين جاءت الكلمات التي تعني وتشير إلى عامل المعارض ، متمثلة بالآتي : (حسد أهل البغي ، من ظنة أهل الصلاح ، من عداوة الأدنيين ، من عقوق ذوي الأرحام ، من خذلان الأقربين، من حب المدارين ، من رد الملابسين ، من مرارة خوف الظالمين) ، والعلاقة التي ربطت بين العاملين علاقة صراع، لأن عمل المعارض إعاقة عمل الذات التي تسعى إلى إثبات موضوعها وتحقيقه ، والوصول إلى نقطة إنجازه ، وعامل المساعد يعاضد الذات ويساندها في تحقيق الموضوع والحصول على قيمة هادفة.

وقد يأتي دعاء الأمن على عكس ما هو متوقع ، أيَّ يطلب الإمام (عليه السلام) فيه إفراغ الأمن من قلب الآخر ، نحو ما نجده في الدعاء الآتي : ((**اللَّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتِيَالِ وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الأَبْطَالِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلاَئِكَتِكَ بِبَأس مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْر تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ...**))[1].

يرتكز العامل في ثنائية الموضوع / الذات على الخطاب المباشر في هذا النص ، مع أن الذات كانت حريصة على عدم التصريح بالمسميات ، فالموضوع قائم على عاطفة الأمن، التي جاءت هنا تتحدث عن كسر ما هو متوقع ومؤلف عند السامع ، فالمعروف هو التأكيد على قضية توافّر الأمن ، ولكن هنا الذات تتحدّث عن إفراغ كل ما يمت بصلة إلى

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٢٤.

الأمن والاطمئنان ، فالأمن المسلوب شكّل محوراً ، تسعى عن طريقه الذات إلى سلب كل ما تملك الذوات الأخرى من قوة ، وبأس، وشجاعة ، وثبات ، من أجل التغلب عليهم ، وتحقيق الغاية المنشودة ، والذات التي تبنت هذه العاطفة ذات الإمام السجاد (عليه السلام)، بوصفه القائد الروحي والديني للأمة الإسلامية ، بغض النظر عن المحاربة التي كان يتلقاها من السلطة الحاكمة آنذاك، إلاَّ أنه أستطاع عبر الدعاء إيصال ما يريد ، وممارسة المهام المكلف بها ، والعلاقة التي تربط بين الموضوع / الذات ، علاقة انفصالية ، ولعل سائل يتساءل كيف تكون العلاقة انفصالية ، والعاطفة هنا عاطفة أمن؟ لأن الذات في واقعها ترغب بالانفصال عن الموضوع ، ولا تريد الاستمرار في مواصلته ، ولكنها سعت إلى طرحه من أجل بيان هذا الموضوع ، وإيصاله إلى المتلقي.

وتمثلت ثنائية المرسل / المرسل إليه في النص بعاملين ، العامل الأول المرسل الذي مثله شخص الإمام السجاد (عليه السلام) الذي أنتج الرسالة وعبر عنه بما اقتضاه الموقف والسياق ، والمرسل إليه فئة السامعين الموجودين في زمانه وما تلاه من الأزمنة . والعلاقة التي تربط بين هذه الثنائية علاقة تواصلية ، حيث رغبة الإمام في إيصال هذا الكم من المعلومات عن هذه الشخصيات.

وتضمن الخطاب ثنائية ثالثة تمثلت بالمساعد / المعارض ، وعامل المساعد مثلته الصفات التي أشارت إلى القوة ، والجند (الملائكة) ، التي ساعدت المسلمين على الانتصار في معركة بدر ، فالربط ما بين الحاضر (زمن الإمام) والماضي (زمن حدوث معركة بدر) قد ساعد على ربط الأحداث بفعلها الإجرائي ، وأتاح المجال للذات على تضمين ما فيه قوة ونصر مؤيد من الله عز وجل ، ومثبت بالدليل ، ففيه إشارة على أن نصر الله لعباده المؤمنين مترسّخاً في نفوس هؤلاء ، مبنيّاً على ثبات في العقيدة ، ومحاربة الظلم والفساد ، وتمثل عامل المعارض بكل الصفات التي أشار إليها الإمام في خطابه من إخلاء لقلوب وأبدان هؤلاء، وإبدال ذلك بالجبن والضعف والانهزام في المعارك ، والعلاقة

التي ربطت بين ثنائية المساعد / المعارض علاقة صراع ؛ لأن كل عامل يحاول قطع الوظيفة التي يعمل عليها العامل الآخر.

وقد تأتي عاطفة سيمياء الأمن متعلّقة بالجانب الأخروي ، فتسعى الذات إلى تجهيز ما يلزم في سبيل الحصول على الأمن المنشود ، من ذلك ما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاكْفِنَا طُولَ الأَمَلِ، وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ الْعَمَلِ حَتَّى لا نُؤَمِّلَ اسْتِتْمَامَ سَاعَة بَعْدَ سَاعَة وَلاَ اسْتِيفَاءَ يَوْم بَعْدَ يَوْم، وَلاَ اتِّصَالَ نَفَس بِنَفَس، وَلا لُحُوقَ قَدَم بِقَدَم. وَسَلِّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ، وَآمِنَّا مِنْ شُرُوْرِهِ، وَانْصِبِ المَوْتَ بَيْنَ أَيْدِينَا نَصْباً، وَلاَ تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِبّاً، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ عَمَلاً نَسْتَبْطِئُ مَعَهُ الْمَصِيرَ إِلَيْكَ، وَنحْرِصُ لَهُ عَلَى وَشْكِ اللِّحَاقِ بِكَ حَتَّى يَكُونَ الْمَوْتُ مَأنَسَنَا الَّذِي نَأنَسُ بِهِ، وَمَألَفَنَا الَّذِي نَشْتَاقُ إِلَيْهِ...**))[1].

يقوم الخطاب على ثنائية الموضوع / الذات ، وتحديد الموضوع وتصيغه في الواقع يحدد كفاءة الذات ، ورغبتها في تحقيق الهدف المراد ، فالموضوع قائم على عاطفة الأمن، ولكن هذا الأمن يرتبط بتهيئة العدة ، من أجل الحصول على زاد الآخرة ، فالألفاظ التي نظمتها الذات في جانبها التركيبي تبدو متناسقة ومرتبة ترتيب صيغي ، وفي الوقت ذاته فإنها في الجانب الاستبدالي قد امتلكت الصيغ المتعاكسة ، التي ساعدتها على تحديد مسارها ضمن المسارات الصغرى وصولاً إلى المسارات الكبرى ، فعملت على الابتعاد عن ملذات الدنيا ، والسعي إلى العمل الصالح ، الخالص لله عز وجل ، وجعل الموت مأمناً، ومأنساً ، بعد رحلة الدنيا ، والاستقرار يكون بحسب العمل ، أما إلى جنة خالدة ، وأما إلى جحيم دائم ، والذات القائمة بالموضوع هي ذات الإمام (عليه السلام) ، وعلاقتها بالموضوع محددة على وفق الكفاءة المهيمنة على رغبة الآخرين ، لأن الذات تمتلك مسار

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٦٧-١٦٨.

المعرفة ، ولها القدرة على القيام بالفعل ، وتكوينه ، بعدّ الفعل المرتكز الأول في رسم الفضاء العاطفي ، والمسؤول عن التحول من نقطة الدنيا وأعمالها ، إلى نقطة الآخرة وجزائها.

وتتمركز ثنائية المرسل / المرسل إليه في كل خطاب ، بما فيها هذا الخطاب ، والمرسل هنا هو الإمام السجاد (عليه السلام) ، بما أنتج من خطاب ثقافي ، ديني ، اجتماعي، ظهر عبر الألفاظ التركيبة ، التي ساعدت على بناء دلالة للبعد العاطفي في موضوع الأمن، انطلاقاً من جزئيات العمل وصولاً إلى الكليات ، فالخطاب أنتج معاني مشفرة ، وفي الوقت ذاته مسجلة ومحفوظة عند السامع ، لا يمكن له إنكارها ، بل هو خاضع لها ؛ لأنها جزء من الممارسة العملية التي يحيا بها ، والمرسل إليه هو جمع السامعين ، والعلاقة التي تربط بين المرسل والمرسل إليه علاقة تواصلية ، قائمة على الرغبة في أخذ العظة والعبرة ، من المواقف التي تقع أمام الإنسان ، للذوات الأخرى ، وحتى وأن كانت هذه الذوات قد تجاوزت المسار الصحيح ، لأن تركيبة النفس الإنسانية متأثرة تأثراً كبيراً ، وأن كان هذا التأثير عاجلاً بالحوادث التي تقع أمامها.

وثنائية المساعد / المعارض تحركها عوامل تتصف بتلك الصفات التي ذكرها الإمام (عليه السلام) في خطابه ، فالمساعد قد تمثل بتلك الأفعال التي حملت معاني الابتعاد عن ملذات الدنيا ، من مثل : (اكفنا ، قصره ، لا نأمل، سلمنا ، آمنا ، انصب ، لا تجعل، واجعل ، نحرص) ، فالانطلاق من الفعل الإجرائي (اكفنا) الذي يوحي بعملية الاكتفاء والخلاص من كل ما يؤخر عملنا نحو النجاح ، وصولاً إلى الحرص على ذلك الإنتاج والمحافظة عليه ، أما عامل المعارض فجاء في الكلمات الآتية : (طول الأمل ، ذكرنا له غبّاً ، غروره ، شروره) ، ومع قلة الألفاظ التي عملت على إعاقة عمل الذات إلاَّ أن لها معاني ذات شدة ووطأة من حيث التأثير في النفس ، وتغيّر المسار ، ومن ثمَّ تغيير النتيجة،

والعلاقة التي تربط بين عامل المساعد وعامل المعارض علاقة غير متكافئة لأنها قائمة على الصراع بين العاملين.

وقد تأتي سيمياء عاطفة الأمن بعيدة عن الشخصيات ، والأمور المتعلّقة بالدنيا ، وأمور الآخرة ، فتأتي مثلاً متعلقة بالظواهر الفلكية ، نحو ما نجده في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) عند رؤية الهلال : ((**وَأَنْ يَجْعَلَكَ هِلاَلَ بَرَكَةٍ لاَ تَمْحَقُهَا الأيَّامُ، وَطَهَارَةٍ لاَ تُدَنِّسُهَا الآثَامُ، هِلاَلَ أَمْنٍ مِنَ الآفاتِ، وَسَلاَمَةٍ مِنَ السَّيِّئاتِ، هِلاَلَ سَعْدٍ لاَ نَحْسَ فِيْهِ، وَيُمْنٍ لاَ نَكَدَ مَعَهُ، وَيُسْرٍ لاَ يُمَازِجُهُ عُسْرٌ، وَخَيْرٍ لاَ يَشُوبُهُ شَرٌّ، هِلاَلَ أَمْنٍ وَإيمَانٍ وَنِعْمَةٍ وَإِحْسَانٍ وَسَلاَمَةٍ وَإِسْلاَمٍ...**))[1].

يرتسم النص على العامل النموذجي الذي يتفرّع إلى الأزواج الثلاثة ، مع العلاقة التي تربط بين كل زوجين ، فالثنائية الأولى تنبني على عامل الموضوع / الذات ، والأدعية التي وردت في الصحيفة السجادية متنوعة ، قد شملت مظاهر الحياة المختلفة ، والحديث عن الظواهر الفلكية أحد هذه المظاهر ، التي تحمل للمؤمن أشارات وعلامات على الدخول في مرحلة من مراحل الأشهر ، سواء أكانت هذه العلامات تشير إلى دخول خير وعطاء ، أم حزن وبكاء ، فكل شيء نحو الزوال والهلاك ، وخير الأوقات التي تمحى فيها السيئات، وتثبت فيها الحسنات ، فتعليق ذلك الأمن والأمان والإيمان والإحسان والسلامة والإسلام بظهور الهلال ، والأثر النفسي الذي يتركه في نفوس المؤمنين ، شكّل موضوعاً مهماً، وأخذ بُعداً مميزاً ؛ لأنَّ ظهور الهلال واختفاءه مرتبط بالزمن ، تسير وفقه حياة الإنسان، ولولا هذا الزمن لأرتبك و فقد النظام في الحياة ، وتعذر الاستمرار ، ولأهميته نجد ذكره والتأكيد عليه ورد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[2]، والذات التي اطلقت الخطاب هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) التي رغبت بطرح موضوع مرتبط

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٧٩.

(٢) سورة يونس : الآية : ٥.

أشد الارتباط بحياة الناس، وكذلك مهم في الجانب الديني، لأنه يرتبط بالعبادات ، وتحديد المسار الصحيح لهذه العبادات اعتماداً على تلك الرؤية.

وثنائية المرسل / المرسل إليه من العوامل التي ارتسمت في النص ، فلا رسالة من دون مرسل ومرسل إليه ، والمرسل هو الإمام السجاد (عليه السلام) لأنّهُ صاحبُ الخطاب ومنشئه ، والمرسل إليه هو جمع المؤمنين في كل زمان ، فهذا الخطاب شامل عام، والعلاقة التي تربط بين هذه الثنائية علاقة تواصلية ، تقوم على الرغبة والتواصل ؛ لأن الطرف الثاني مستفيد من الموضوع.

وتأتي ثنائية المساعد / المعارض في الخطاب ضمن العوامل التي تعاضد الذات من جهة ، وتعيق الذات من جهة أخرى ، فقد عملت الألفاظ الآتية مساعداً للذات : (بركة، طهارة ، هلال سعد ، يمن ، يسر، خير، هلال أمن وإيمان ونعمة وإحسان وسلامة وإسلام)، والتركيز على هذه الصفات أفسح المجال للذات في تعضيد موضوعها وإنتاجه ، وبالتالي وقوع الأمر المراد ، في حين كانت الألفاظ التي تعمل على إعاقة عمل الذات متمثلة بالآتي: (تمحقها الأيام ، تدنسها الآثام ، الآفات ، السيئات ، نحس فيه ، نكد معه ، يمازجه عسر، يشوبه شر) ، وكل هذه الألفاظ تشير إلى ما يقف بالضد من الممارسة العملية التي تقوم بها الذات ، وعلى هذا الأساس فإن العلاقة التي تربط بين هذه الثنائية علاقة الصراع ، لأن كل طرف منهما يقف بالضد من الطرف الآخر.

٢ ـ سيمياء عاطفة الخوف

الخوف لغة : ذكر ابن فارس أن : ((الخاء والواو والفاء أصل واحد، يدل على الذعر والفزع)) [١]، وجاء في لسان العرب:((الخَوْفُ الفَزَعُ خافَه يخافُه خَوْفاً وخِيفةً ومَخافةً ، ومنه التَّخْويفُ والإخافةُ والتَّخَوّف))[٢].

الخوف اصطلاحاً : لم يبتعد عن معناه اللغوي ، فقد عرفه الجرجاني بقوله : ((توقع حلول مكروه أو فوت محبوب)) [٣]، وهو نوع من أنواع الشعور القائم على الاضطراب، والقلق، والفزع ، والهلع، نتيجة اقتراب مكروه ما، أو توقعه[٤] ، ويعرف أيضاً بأنه : الحياء من المكاره والمعاصي والمناهي ، التي تجعل النفس في تألم[٥]، وتأثيره في حياة الأفراد واضحاً، فمن جهة له فائدة ، يتفادى فيها الفرد الخطر، ومن جهة أخرى يسبب اختلال في توازن الفرد إذا أصبح مرضياً[٦]، ويحدث الخوف نتيجة انزعاج القلب من مستقره ؛ لأن النفس إذا شعرت بشيء لا يلائمها ، إنما يزعجها ويزعزع ثباتها هلعت وخافت، وإذا وجدت الوفاق استقرت وهدئت وأمنت[٧] ؛ لأن الخوف يولد شعوراً بالضيق ، ويندرج تحت الخوف مفاهيم أخرى من مثل: (الجبن (حالة مرضية)، الخشية ، الذعر، الذهول، الرعب، الرهبة)، وقد يحدث الخوف فجأة ، وهذا غير اختياري ، وقد يحدث نتيجة تأمل وتفكير، ويرتبط بالكمية والكيفية التي أحدثتها الحالة ، لذا فالخوف من أهم العوامل النموذجية التي

---

(١) مقاييس اللغة : ٢/ ٢٣٠ .

(٢) لسان العرب : ٩ /٩٩ .

(٣) التعريفات : ١/ ١٣٧.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ، عمر أحمد مختار : مادة:(خوف) ٧٠٧.

(٥) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ٧٦٦.

(٦) ينظر : السلوك الإنساني : ١٤٩.

(٧) تحصيل نظائر القران الحكيم ، الترمذي : ٦٣.

تعمل على حركة الإنسان وتكامله ، وللخوف في الصحيفة السجادية قيمة إيجابية ، مرتبطة بزمان ومكان الحالة ، والتي ترتبط بدورها بالعقاب والجزاء النهائي فحسب ، ولهذا وجدنا أن عاطفة الخوف في خطابات الإمام السجاد(عليه السلام) قد تعلّقت بخوف طبيعي ، مقترناً بالعبادة ، متفرعاً إلى ما يرتبط بجانب الدنيا ، وجانب الآخرة ، وجانب يسبب سعادة .

ومن النماذج التي تضمنت سيمياء عاطفة الخوف الممزوجة بالرجاء والمقترنة بالعبادة والخشوع والخضوع للذات المقدسة ما جاء في مناجيات الإمام (عليه السلام): **((إلهِي أَتَراكَ بَعْدَ الإيْمانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي، أَمْ بَعْدَ حُبِّي إيَّاكَ تُبَعِّدُنِي، أَمْ مَعَ رَجائِي برحمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرِمُنِي، أَمْ مَعَ اسْتِجارَتِي بِعَفْوِكَ تُسْلِمُنِي؟ حاشا لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُخَيِّبَنِي، لَيْتَ شِعْرِي، أَلِلشَّقاءِ وَلَدَتْنِي أُمِّي، أَمْ لِلْعَناءِ رَبَّتْنِي؟ فَلَيْتَهَا لَمْ تَلِدْنِي وَلَمْ تُرَبِّنِي، وَلَيْتَنِي عَلِمْتُ أَمِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ جَعَلْتَنِي؟ وَبِقُرْبِكَ وَجَوارِكَ خَصَصْتَنِي؟ فَتَقَرَّ بِذلِكَ عَيْنِي، وَتَطْمَئِنَّ لَهُ نَفْسِي...))**[1].

يرتبط العامل النموذجي بالحالة التي تنطوي تحتها الوظائف التي تعمل على إسنادها إلى العامل الدلالي ، الذي يتبلور على وفق تصنيف مكونات الخطاب على صعيد السلم السيميائي العاطفي ، فالانطلاق ضمن ثنائية الموضوع / الذات تشكّل عبر المسارات الكبرى ، حيث الخوف والرجاء من الذات المقدسة أحدث نوعاً من التوازن في النص ، فالنفس المؤمنة تعيش حالة من القلق والخوف والرعب من المجهول ، ولكن هذا المجهول ينجلي لها بمجرد السير في الطريق السوي ، فموضوع الخوف ذو آثار جيدة تنعكس على حياة العبد ، من الشقاء والتعاسة والحزن ، الذي يتحول إلى قلق واضطراب للنفس ، خوفاً مما هو مجهول ، إلى سعادة تتبلور عبر القرب المعنوي من الذات المقدسة، وهذه غاية المؤمن ، العيش في الحقائق التي يسعى إليها ، والخوف من الأمور التي يجب توافرها في حياة الإنسان ، من أجل الثبات في مسيره وعدم الانحراف ، لذا

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٩٦.

السائر في الطريق السليم كما يشير الإمام (عليه السلام) لا يخيب البارئ آماله ؛ لأن الخوف من الوقوع في العذاب يمحقه تحقق الإيمان بالله ، وهذا يحقق له الأمن النفسي؛ لأن حال المؤمنين حقاً يكون بين الرجاء ورحمة الله عز وجل ، والخوف من سبحانه وتعالى ، الذي يعد مهماً وضرورياً للمسلم ؛ حتى يأمن من ظلمه لنفسه ، وكذلك من ظلم غيره له ، فالخوف من الله مفتاح الخلاص والأمن للمسلم في دنياه ، والفلاح والنجاح في أخراه[1] ، فالخوف هنا خوف إيجابي ، وهو ممدوح ؛ لأنه يُحمل العبد على أداء الفرائض والعبادات المكلف بها ، والذات التي تكفلت بطرح موضوع الخوف هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) لأنه القائد الروحي ، والمسؤول عن إعطاء مبدأ وأسلوب يقوم على التذكير بالعقاب والثواب جراء الأفعال التي تقدم عليها الذوات الموجودة في عصره والعصور التالية ، والعلاقة التي ربطت بين ثنائية الموضوع / الذات علاقة رغبة تقوم على التواصل والاستمرار في التحدث بهكذا موضوعات مهمة تساعد الذات على الرجوع إلى الخالق وتذكر الجزاء الحاصل.

وينبني الخطاب على ثنائية المرسل / المرسل إليه ولأن هذه الثنائية مهمة فإنه يشترط توافرها في الخطاب ؛ لأنه لا تتوافر الألفاظ وتتكون الموضوعات لولا وجود المنشئ، الذي يتبنى الموضوع ويطرحه لغاية، يسعى عن طريقها تحقيق عدة أساسيات يحدّدها ويقننها في سبيل إيصالها إلى المتلقي ، والتأثير فيه بالقدر المستطاع ، فالمرسل في الخطاب هو الإمام (عليه السلام) ، والمرسل إليه جمع السامعين في زمنه وما يأتي من الأزمنة، لأن هذه النتاجات تقرأ وتؤخذ منها عبر وحكم يستفيد منها العبد في حياته، حتى يكون مهيأ للحياة الأخرى ، لذا فإن تحقيق الفائدة من هذه الرسالة لا يشمل زمن محدد ، إنما يتجاوز الزمن ، ويحقق الهدف المراد ويتم هذا الإنجاز حينما يتحقق هذا الخوف ويؤثر في عاطفتهم ، فيتم المرجو من هذا الموضوع ، والعلاقة التي جمعت بين

(١) ينظر : الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام : ١١.

هذه الثنائية علاقة الرغبة التي تهدف إلى الاتصال وليس الانفصال عن الذات ، لأن الذات ترغب في إيصال هذا الكم من المعلومات إلى الآخرين.

وتأتي ثنائية المساعد / المعارض متغلغلة في الخطاب ، فالمساعد جاء متمثلاً بالألفاظ التي أشارت إلى الأمان والاطمئنان ، لأن النفس أصبحت متأرجحة مابين الخوف والأمن ، فالألفاظ التي أعانت الذات_ وساعدتها على تجاوز مرحلة الخوف الإيجابي– هي:(الإيمان ، حبي ، رجائي ، صفحك ، عفوك ،حاشا لوجهك الكريم أن تخيبني ، بقربك وجوارك خصصتني ، تقر عيني ، تطمئن نفسي)، في حين جاءت الألفاظ التي أشارت إلى معارضة الذات هي :(تعذبني ، تبعدني، تحرمني، تسلمني، للشقاء ، العناء ، فليتها لم تلدني ، ولم تربني) ، فدخلت الذات في علاقة صراع ما بين هذه الألفاظ ، التي أشارت في قسمها الأول إلى الأمان والإيمان والاستقرار النفسي(الأمن النفسي) ، في حين جاء قسمها الثاني يشير إلى الخوف والقلق والرهبة من المجهول.

ومن الأدعية التي جاءت متضمنة عاطفة الخوف ، مقترنة بجانب الدنيا ودفع الضرر فيها ، ما ذكر في دعاء الإمام (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَهَبْ لِي مَا يَجبُ عَلَيَّ لَكَ، وَعَافِنِي مِمَّا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، وَأجِرْنِي مِمَّا يَخَافُهُ أَهْلُ الإساءَةِ فَإِنَّكَ مَلِيءٌ بِالْعَفْوِ، مَرْجُوٌّ لِلْمَغْفِرَةِ، مَعْرُوفٌ بِالتَّجَاوُزِ، لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ، وَلا لِذَنْبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ، حَاشَاكَ وَلاَ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي إلاّ إيَّاكَ إنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ. صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاقْض حَاجَتِي وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي، وَاغْفِرْ ذَنْبِي، وَآمِنْ خَوْفَ نَفْسِيْ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ وَذلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**))[1].

يتأسس البناء العاملي في خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) على وفق النموذج التأسيسي ، الذي يرمي إلى تحقيق الفائدة من الموضوع المطروح ، انطلاقاً من تنظيم للدلالة التي امتزجت ما بين عاطفة الخوف والرجاء والتوسل بالذات المقدسة ، عبر الفعل الإجرائي

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٥٩–٦٠ ، وينظر : ٢٥٨.

من قيام العبد بالعبادة عن طريق الإتيان بالفرائض الواجبة ، والإعفاء من قبل الذات المقدسة عن العقاب بدل الأخطاء التي ارتكبها العبد ، ويوجه الخطاب عبر أسلوب الطلب بحفظه مما يخافه أهل الإساءة ، فالذات هنا منزّهة عن الأخطاء والإساءة وهي تسعى إلى تحذير المؤمنين الموجودين في زمانها وما تلت من الأزمنة من المخاطر التي يرتكبها المسيء ، إلاَّ أن المؤمن الذي قد اكتمل الإيمان في قلبه وغلب على عقله لا يخشى على نفسه سوى تجاوز كل المعرقلات التي تقف في طريق الصلاح والفلاح ، لأن نفسه لا تطمئن إلاَّ بعد حصول المغفرة والرحمة الإلهية ، فكل الأمور بيد الخالق هو الغافر عن سيئات عباده ، وهو القاضي لحاجاتهم ، لا شيء يشق عليه ، إنما هذه الأمور من أسهلها ، فلا خوف يستحوذ على روح العبد إلاَّ خوف الخالق ، وهذا الخوف طبيعي وايجابي وهو من النوع الممدوح؛ لأنه يصلح حال العبد ، ويجعله في جادة الصواب ، ويختم ذلك الخوف الممزوج بالرجاء بالدخول في الأمن ، لكن أي أمن ؟ أنه الأمن النفسي الذي تستقر فيه نفس العبد، بحصولها على ثبات واستقرار مكاني يتمثل بالجنة الخالدة ، والذات التي أطلقت الخطاب هي ذات الإمام السجاد (عليه السلام) ، وهو في مقام تحذير وتخويف ورجاء من الواقع الذي يعيش فيه المسلمين آنذاك ، وفي الوقت ذاته هو خطاب عام ينتقل للعصور الأخرى ، والعلاقة التي تربط بين الموضوع / الذات علاقة الرغبة، التي تقوم على الرغبة في مواصلة بث هذه المعلومات ، لأهميتها؛ لأنها تعمل على تذكير العبد بالعمل الصالح والطالح.

وتتبنى ثنائية المرسل / المرسل إليه ضمن العوامل النموذجية التي تعمل على بلورة العمل الأدبي ، وإيصاله إلى المتلقي بصورة واضحة ، منطوية على ثيمات وجنبات تحقق الفائدة المرجوة من الموضوع ، وقد مثل شخص الإمام السجاد (عليه السلام) عامل المرسل بعدّه المنشئ للخطاب ، المكون لألفاظه ، وتحقيق دلالاته ، والمرسل إليه جمع المسلمين ممن ضم عصره آنذاك من أصحابه وأتباعه ، وكذلك موجه للمسلمين في العصور

المختلفة ، بما فيها العصر الذي نعيشه الآن ، والعلاقة التي تربط بين هذه الثنائية علاقة تواصلية.

ويتضمن الخطاب ثنائية ثالثة من العوامل النموذجية ، ثنائية المساعد / المعارض، إذ جاءت الألفاظ التي أشارت إلى الرحمة والمغفرة والحفظ من المكاره ، وتحقيق المطالب ؛ لأن الله أهل لذلك ، رغم وجود الخوف من المجهول ، في حين نجد أن عامل المعارض قد قلّت ألفاظه ، والتي أشارت إلى أهل الإساءة ، والعلاقة التي تربط بين عامل المساعد / عامل المعارض علاقة صراع قوامها أن كل عامل يعمل في اتجاه معاكس للاتجاه الآخر ؛ لأن العباد من المؤمنين في طريق مضاد للعباد المسيئين.

وقد تأتي عاطفة الخوف متعلقة تعلقاً مباشراً بالآخرة والجزاء الحاصل نتيجة لأعمال الدنيا ، نحو ما نجده في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَارْزُقْنِي الرَّغْبَةَ فِي الْعَمَلِ لَكَ لآخِرَتِي، حَتَّى أَعْرِفَ صِدْقَ ذلِكَ مِنْ قَلْبِي، وَحَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدُ فِي دُنْيَايَ، وَحَتَّى أَعْمَلَ الْحَسَنَاتِ شَوْقاً، وَآمَنَ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَرَقاً وَخَوْفاً، وَهَبْ لِي نُوراً أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، وَأَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَأَسْتَضِيءُ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالشُّبُهَاتِ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَارْزُقْنِي خَوْفَ غَمِّ الْوَعِيْدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ حَتَّى أَجِدَ لَذَّةَ مَا أَدْعُوكَ لَهُ، وَكَآبَةَ مَا أَسْتَجِيرُ بِكَ مِنْهُ...**))[1].

يترتب البعد العاطفي في الخطاب على وفق تخصيص الهوية العاطفية للعامل ، الذي يتم بناؤه بحسب الأزواج الستة وعلاقاتها ، بدءاً من ثنائية الموضوع / الذات ، إذ يقوم الموضوع بمعالجة مفهوم الخوف الممزوج بأسلوب الرجاء ، في انعكاس لعالم جمعي تتعاقب فيه الألفاظ حسب الدرجات ، التي يكون الدافع خلفها الخوف من الجزاء ، انطلاقاً من الرغبة في العمل من أجل الآخرة ، وهذه تُعدُّ جزءاً من الطاعة والعبادة التي تكون نتيجتها

(١) الصحيفة السجادية الكاملة :١٠٢-١٠٣.

الثواب والجزاء ، وهذا العمل مشروط بالصدق القلبي ؛ لأن الإنسان قد يعمل عملاً وهو كاره له، أو يعرف أنه محب له ، ثم ينتقل إلى درجة أخرى وهي غلبة الزهد عليه وعمل الحسنات بحب وشوق ، ولا يعمل السيئات خوفاً منها فيكون آمناً ، ثم يستمر بالانتقال إلى درجة العطاء من مثل وهب النور الذي يقصد به معرفة الأشياء في سبيل السير في طريق الخضوع والخنوع، الذي يرشده إلى طريق النور ، ثم ينتقل إلى الهداية وهذه تتعلق بالتخلص من الشك والشبهة حول المعارف وما أشبهها ، ثم إلى درجة يختم بها تلك الرحلة بحصول الخوف ، لكن أيُّ خوف يقصد ؟ لا يريد الخوف من الغم والهم الذي يكون مغلفاً بالوعود السيئة ، إنما الخوف الذي يؤثر في نفس الإنسان فيجعله يشتاق لثواب الموعود ، ثواب الجنة والرضوان، فيتحقق ما دعي به ، فيخاف عقاب النار ويغتم لذلك ، والذات التي قامت بطرح موضوع الخوف هي ذات الإمام (عليه السلام) ، والعلاقة التي ربطت هذه الثنائية علاقة تواصلية قائمة على الرغبة في معالجة هذه الموضوعات ؛ لأنه ((يتعذر إقامة العلاقة المتوخاة (الفعل) دون التمهيد لها بالتطويع الاستهوائي " وحدات استهوائية تهز النفس وتطربها " وبالتطويع الكلامي " عبارات مؤثرة ونفاذة"))[1]، من أجل تذكير النفس الإنسانية بما سوف يؤول إليه الأمر في نهاية المطاف.

ويتضمن الخطاب بكل تأكيد ثنائية المرسل/ المرسل إليه ، وكان الإمام السجاد (عليه السلام) هو منشئ الخطاب ، لأنه صاحب الرسالة ، والمسؤول عن المحافظة على القيم وصيانتها تبعاً للمنزلة التي أُعطيت له ، والمرسل إليه جمع السامعين لخطاب الإمام (عليه السلام) ، السامعين الذين يرغبون بمتابعة ومواصلة هذه الموضوعات، التي تعد مصيرية بالنسبة إليهم ، والعلاقة التي تجمع بين المرسل / المرسل إليه علاقة إبلاغية ، تقوم على تحفيز الذات على القيام بالموضوع ومعالجته لصالح المرسل إليه.

(١) سيميائية الكلام الروائي ، محمد الداهي : ٣٤.

وينبني داخل الخطاب عوامل أخرى تتمثل بثنائية المساعد / المعارض ، وقد مثلت الألفاظ الآتية عاملاً مساعداً : (ارزقني الرغبة في العمل لك لآخرتي ، الغالب عليّ الزهد في دنياي ، أعمل الحسنات شوقاً ، آمن من السيئات ، وهب لي نوراً ، ارزقني خوف غم الوعيد ، شوق الثواب الموعود ...) ، في حين جاءت ملفوظات عامل المعارض أقل مساحة في الخطاب ؛ لأن الخطاب قائم على الخوف والرجاء وعمل الحسنات من أجل الحصول على الجزاء الأفضل ، ومن ملفوظات عامل المعارض : (السيئات ، الشك والشبهات ، الظلمات) ، والعلاقة التي تحتكم بين ثنائية المساعد / المعارض علاقة صراع؛ لأن عامل المعارض يقوم بعرقلة عمل الذات عن طريق الخروج عن الطريق الصحيح الذي يساعد الذوات في الوصول إلى الأمان ، وبالنتيجة فإن المعارض يعيق عملها ، ويدخل عامل المساعد في صراع مع المعارض من أجل تقديم العون والمساعدة للذات ، حتى تتمكن من تحقيق المآل التي تسعى إلى إنجازها.

وأحيانا نجد عاطفة سيمياء الخوف ممزوجة ما بين أمور الدنيا وأمور الآخرة ، وفي الوقت ذاته منطوية على سعادة يتكامل فيها خوف الإنسان روحياً ومعنوياً ، من ذلك ما جاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاقْبِضَ عَلَى الصِّدْقِ نَفْسِي، وَاقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَتِي، وَاجْعَلْ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتِي، شَوْقاً إِلَى لِقَائِكَ، وَهَبْ لِي صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ. أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كِتَاب قَدْ خَلاَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كِتَاب قَدْ خَلاَ أَسْأَلُكَ خَوْفَ الْعَابِدِينَ لَكَ، وَعِبَادَةَ الْخَاشِعِينَ لَكَ، وَيَقِيْنَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَتَوَكُّلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ...**))[1].

يجمع المحور الدلالي في النموذج العاملي بين الثنائيات التي تؤسس للعوامل، وثنائية الموضوع / الذات ، قد أخذت في هذا الخطاب موضوعاً يتمركز حول عاطفة ذات بُعد يتولد فيه الفعل الإجرائي القائم على الخوف، المُتكئ على بيان مدى اكتناز النص بالإيحاءات

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٦٢.

والدلالات ، التي تقوم على إثارة السامع ، وجلب اهتمامه بالموضوع المطروح، نابعاً من استدراره نحوه ، مبنياً على الإخلاص في الإيمان بالله عز وجل والعمل بموجبه، مع الخوف المتشعب في معرفة المصير بعد الموت ، إلاَّ أن الذات تتمكن من طرح الموضوع بجعل الرغبة محور في الوصول إلى ذلك المصير عن طريق جعله مشوق ، مغلف بالصدق وحسن التوكّل ، عبر تسجيل الأعمال الحسنة في خير كتاب ، والعفو عن سيء الأعمال، وجعل هذا الخوف عبادة أحرار ، عرفوا فضل الخالق ، وقاموا بواجباتهم، وانقطعوا لله ، فلا شاغل يشغلهم ، وهذا تأسس على يقين المتوكل ، الذي تكون ثقته بثواب الله متمركزة في نفسه ، والذات التي رغبت في تبني عاطفة الخوف ذات الإمام السجاد (عليه السلام) بعدّه مؤسس الخطاب ، والعلاقة التي جمعت هذه الثنائية علاقة تواصلية منبثقة من رغبة في معالجة خوف ممدوح مقترن بعبادة الإنسان والمصير الذي سوف يؤول إليه .

ويتضمّن الخطاب ثنائية المرسل / المرسل إليه ، إذْ مثل الإمام السجاد (عليه السلام) عامل المرسل بوصفه صاحب الرسالة والباث للخطاب ، والمرسل إليه هم السامعين للخطاب ممن كان في عصر الإمام ، والعصور الأخرى بما فيها عصرنا ؛ لأن الخطاب عام لا يخص فئة محصورة بزمن معين ، إنما فيه فائدة ويعالج قضية مصيرية ، والعلاقة التي ربطت بين الثنائية علاقة الرغبة المنبثقة من ذات الإمام (عليه السلام) في التطرق لهذه الموضوعات.

والثنائية الثالثة التي مثلت عامل المساعد / المعارض كانت من ضمنت الثنائيات التي ضمها الخطاب ، فعامل المساعد تمثل بالآتي : (اقبض على الصدق نفسي ، اقطع من الدنيا حاجتي ، اجعل فيما عندك رغبتي ، شوقاً إلى لقائك ، هب لي صدق التوكّل، أسالك خير كتاب ، خوف العابدين ، عبادة الخاشعين ، يقين المتوكلين ، توكل المؤمنين)، في حين جاء عامل المعارض أقل لفظاً من عامل المساعد ، فالمعارض تمثل بـ (شر كتاب) فحسب ، وكثرة ملفوظات عامل المساعد ساعد الذات في إنجاز موضوعها ، أما

العلاقة التي تربط بين هذه الثنائية فهي الصراع ، لأن كل عامل يقف بالضدِّ من عمل الآخر.

وردت عاطفتي الأمن والخوف ضمن المسارات الكبرى والصغرى ضمن أدعية الصحيفة السجادية ، وقد أخذت عاطفة الأمن حيزاً كبيراً قياساً لعاطفة الخوف ، والسبب يرجع إلى الظروف التي ولد في ظلها الخطاب ، إذْ عمل الإمام السجاد (عليه السلام) بمهارة فائقة وإبداع ، من أجل أكمال وإتمام رسالته ، وتحقيق حالة من التوازن ، تعمل على عدم انجراف المسلمين ، وتجلبهم إلى المسار السليم ، فتوافر عاطفة الأمن والأمان والاطمئنان تكون أكثر حاجة من أجل التأثير في المتلقي ، ولاسيما أن أكثر المسلمين قد تأثروا بأخلاق وأفكار سيد الساجدين ، ولهذا توزعت عاطفة الأمن بتفرعات مختلفة ، منها ما يخص الذات الإلهية ، ومنها ما هو متعلق بالأمور الدنيوية ، وهذه متفرعة مرة مرتبطة بالذات ، وموجهة للذوات الأخرى ، ومرة متعلقة بالشخصيات ، ما بين دعاء لشخصيات تستحق هذا الأمن ، وبالعكس ، دعاء يقوم على إفراغ الأمن من قلب الضد للذات ، وقد يكون متعلقاً بالأمور الأخروية، وأحياناً تخرج إلى أمور أخرى متعلقةً بالظواهر الفلكية ، في حين جاءت عاطفة الخوف موزعة مابين خوف مقترنٍ بالعبادة والخشوع لله ، وخوف يتعلق بالدنيا ، وخوف متعلق بالآخرة ، والأخير يمزج مابين الدنيا والآخرة ، ويحقق السعادة ، وهذا النوع من عاطفة الخوف ممدوح ؛لأنه مقترن بخوف طبيعي يرتبط بالعبادة ، والجزاء الذي يحصل عليه العبد نتيجة لأعمال الدنيا.

الفصل الثالث

المكون السردي والتصويري لسيمياء العواطف في الصحيفة السجادية

المبحث الأول : بناء البرنامج السيمو-سردي

المبحث الثاني : السيميائيات السردية

المبحث الثالث: المكون التصويري

المكوّن السردي والتّصويري لسيمياء العواطف في الصحيفة السجادية

توطئة:

إن المكـون السـردي والتصـويري همـا المكونـان الأول ، والثـاني مـن المفـاهيم السيميائية الكامنة في المستوى السطحي للخطاب ، والتي استطاع غريماس إخراجها من المفاهيم السردية الضيقة التي تدور حول الحكايات إلى بنيات سردية تبحث في علم الدلالـة ؛ لأن : ((السـيميائيات تجـاوزت هـذا الفهـم المتحجـر، فقـد أصـبح ينظـر إليهـا بوصفها لعبـة التفكيك والتركيب، وتحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا. كما تحولت السيميائيات إلى منهج يبحث عن حيثيات أسباب التعدد، ولا نهائية الخطابات والنصوص والبرامج السردية، وتسعى في الوقت نفسه إلى اكتشاف البنيات العميقة الثابتة، والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمل))[١]؛ لأن السردية ((هي مداهمة اللامتواصل المنقطع للمطرد المستمر في حياة تاريخ أو شخص أو ثقافة إذ تعتمد إلى تفكيك وحدة هذه الحياة إلى مفاصل مميزة تدرج ضمنها التحولات [...] ويسمح هذا بتحديد هذه الملفوظات في مرحلة أولى من حيث هي ملفوظات فعل تصيب ملفوظات حال فتؤثر فيه))[٢] ، فيتم تطبيق هذا الأجراء على وفق الخصائص النوعية الوظيفية والدلالية المتضمنة في جوانب النص.

---

(١) تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر ، شرشار فاطمة زهرة : ٣٦ ، (أطروحة دكتوراه).

(٢) في الخطاب السردي – نظرية غريماس : ٥٦.

فموضوع السيميائيات السردية موضوع جديد، حتى وان كانت مصادره وبعض مصطلحاته الإجرائية متضمنة في أكثر من مصدر قديم سابق لرواد هذا العلم ، وضبطا للبدايات يعتقد أن التحليل السردي (Narrativité) وفق المناهج الحديثة بدأ منذ صدور مورفولوجيا الحكاية الشعبية (La morphologie du conte) لفلاديمير بروب ، أو بصفة أكثر دقة، منذ عرض هذا الكتاب في فرنسا من قبل كلود ليفي ستروس (١٩٦٠) ثم كلود بريمون (١٩٦٤) وغريماس عام (١٩٦٦) [١] ؛ لذا اكتسب المشروع السردي طابعاً انفعالياً ، عِبر عمليات دلالية كامنة في المستوى العميق، والمستوى السطحي ، فعدّ الخطاب السردي مشروعاً منظماً ، وفق غايات قصوى ، ووحدات مميزة ، منتظمة في صنف العوامل والمستندات والتي تتراوح ما بين الاستقرار والحركة ، والثبات والتحول ؛ لأن مضمون الفعل متغير باستمرار ، والقائم بالفعل يتغير ، لكن الملفوظ – العرض – يبقى ثابتاً[٢].

والخطاب بحسب رأي غريماس تتجلى فيه العواطف حاملة لآثار معنوية فيها أريجاً مبهماً ينبعث منه عطر خاص يعمل على تنظيم خطابي للبنيات الكيفية ، فالتحسيس الهووي للخطاب وتكييفه السردي متلازمان، لا يمكن فهم أحدهما من دون الآخر ؛ لأنهما يخضعان احتمالياً جزئياً لمنطقين مختلفين [٣] ، وحتى نستطيع الإمساك بتلك الآثار ، حدد غريماس الوسيلة حين قرر: ((إن الإمساك بالآثار العامّة باعتبارها "أريجاً" للعُدّة السّميو–سردية المدرجة في الخطاب ، معناه الاعتراف بطريقة ما أنّ الأهواء لا تخصّ الذّوات وحدها (أو الذّات)، ولكنّها ميزة الخطاب في كلّيته ، وأنّها تنبعث من بنيات خطابيّة من خلال " أثر سيميائي" يُمكن إسقاطه على الذوات وإمّا على

(١) ينظر : تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر: ٤٠

(٢) ينظر : في الخطاب السردي – نظرية قريماس : ٣٥–٣٧–٣٨.

(٣) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ٦٧.

الموضوعات وإمّا على اللّحام[١]))[٢] ، التي تنتج في أفق المعنى ، والتنظيم المقولي ، وما خرج عنه من ترتيبات بنيوية ، وآثار معنوية.

وتدرس السيميائية السردية النص الأدبي على أنه علامة ، لأنها تنظر إلى النصوص الأدبية بعدّها نسقاً من العلامات منغلق على نفسه ، ولا يشير إلى الواقع الذي ولد فيه ، سواء أكان هذا الواقع اجتماعيا أم كان وجوداً إنسانيا ، وتفسير هذه النظرة يعود إلى أن السيميائية تنظر إلى النصوص الأدبية على أنها تجربة واحدة ، مفصولة عن المحيط الذي تظهر فيه ، فتفترض شبكة من الأنساق المتداخلة ، التي تتألف من ظواهر مجموعة في كلية الأنساق ، التي تتداخل وتتعارض وتتعاضد في موضع ، وتتباعد في موضع آخر[٣] ، لذا تعتمد السيميائية السردية على مبدأ الاختلاف والتقابل ، القائم بين الدوال ، فالوحدات الدالة لمضمون النص لا تتحدد بماهيتها إنما بعلاقاتها التقابلية التي تنتظم معها في النص ، والتي تصنف وترتب على وفق مستويات ومتواليات تمكّن المتلقي من تتبع مراحل أنتاج الملفوظ على وفق نسق متكامل في المعنى[٤]، فانطلقت النظرية السيميائية السردية من الأسئلة الموضوعة حول المعنى ، وكيف يمكن وصفه ، وهل يمكن الإمساك به ؟ لو افترضنا أن المعنى عنصر مشترك بين الألسن، وهو افتراض مردود، لأن كل لسان يتخذ هيكلاً خاصا به ، فالمعنى من

---

(١) يراد باللحام : الروابط التي تتمفصل في علاقتين اثنتين ، الأولى علاقة الاتصال ، والثانية علاقة الانفصال ، وتعمل كلاهما على منح الوجود القيمي بُعداً مشخصاً ، تتمثل في التوتر، التي تعد لحظة سابقة للعلاقة ، ومولدة لها ، ينظر هامش كتاب : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٦٨.

(٢) م ، ن : ٦٧-٦٨ .

(٣) ينظر : معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر : ٦٠ .

(٤) ينظر : المكون السردي في النظرية السيميائية الغريماصية – المفاهيم والإجراءات- ، د. مهدية ساهل : ٦٦ . (بحث)

وجهة نظر هيمسليف هو وجود مبدأ كلي للتشابه، أما عنصر المعنى ، فلا هيكل له ؛ لذلك يصعب معرفته ، لأن شرط المعرفة هو تحليلها مهما كانت طبيعتها ، فلا يمكن التعرف على المعنى إلا من خلال تشكيله في النص الذي من دونه لا يكون له وجود فعلي[١] ، ولهذا نجد أن غريماس ((راح يوسع النطاق في العمل من أجل الوصول إلى معرفة كلية شاملة للتصرف البشري)) [٢]، فتعددت المفاهيم داخل النظرية ، وتوسعت ما بين السيميائية ، ودراسة المعنى ، والبحث عن الانفعالات داخل العواطف الإنسانية ، واستخراج الدلالات التي توحي بها.

وعمل غريماس لم ينحصر في البحث عن المعنى فحسب ، إنما تعداه إلى تجاوز المتن المستهدف في التحليل ، حيث لم ينحصر في الخطابات اللفظية ، وإنما امتد ليشمل الوقائع والأنساق الدالة التي تنتجها الممارسة الإنسانية ، وهذا تطلب الانفتاح على الدراسات اللسانية وغير اللسانية ، فانطوت تحته الصيغة ، القيمة ، العامل ، الكفاءة ، الأداء ، البنية ، الحالة ، الملفوظ ، التشاكل ، المحور الدلالي ، الخطاطة السردية ، البرنامج السردي ، المسار الملفوظ ، المسار الصوري ، مفهومي التفضية والتزمين ، المربع السيميائي ، تصييغ العواطف، وغيرها من المفاهيم[٣] ، ويعدَّان الفاعل ، وموضوع القيمة عنصرين أساسيين في تشكيل المكون السردي ؛ لأن

---

(١) ينظر : قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة ، جمال بلعربي: ١٦١. (أطروحة دكتوراه) .

(٢) معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي ، نادية بوشفرة : ٨٤ .

(٣) ينظر : سيميائيات جوزيف كورتيس– أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية – ، دايري مسكين: ٤٩ .(رسالة ماجستير) .

الأول يستمد وجوده الدلالي من العلاقة التي تربطه مع القيمة المستهدفة ، والاقتراب من موضوع القيمة يعد أمراً بالغ الأهمية ؛ لسببين[١]:

١ – يتم التعامل مع هذا المصطلح في الغالب على أنه عنصر مركب ، وبالنتيجة تصبح هناك ضبابية في معرفة الحدود الفاصلة بين العنصرين.

٢ – النظرة الضيقة في الدراسات التطبيقية على النصوص السردية ، ضمن موضوع فحص القيم المستثمرة ، ورفع الالتباس عنها.

وفي هذا الفصل سوف نعمل على البحث عن العواطف في ظل تطور العملية السردية ضمن إطار الدراسة السيميائية ، والاهتمام بحال العواطف والميول الانفعالية عِبر عدَّة مفاهيمية سيميائية تستوعب المكوّن السردي ، وتعمل على بيان الشحنة الانفعالية ، ومدى كثافتها في تشكيل البرنامج السردي ضمن إطار الترغيب ، والتحذير، الذي ينفتح على عواطف مختلفة ، قد تكون هذه العواطف سلبية أو إيجابية لكن مع السلبية التي تحملها من نوعها إلاَّ إنّها تعمل في بعض الأحيان على تصحيح المسار الذاتي الذي تتجه فيه النفس الإنسانية كذلك نضمن الفصل السرديات السيميائية في إطار التفضية والتزمين ، والخطاطة السردية في مسارها السردي ، ومسارها التصوري، ومدى تحققها في دلالات الخطاب .

(١) ينظر: المكون السردي في النظرية السيميائية ، د. رشيد بن مالك :

https://www.philadelphia.edu.jo

المبحث الأَوّل

بناء البرنامج السيمو– سردي للعواطف في الصحيفة السجادية

يعمل البرنامج السردي على تتبع التغييرات التي تطرأ على سلسلة الحالات ، والتحولات المتمركزة في علاقة الرغبة التي تجمع ما بين الذات ، وموضوع القيمة، فيتم الانتقال من حالة إلى أخرى عبر تقنيتي الاتصال ، والانفصال[١]، إذن هو سلسلة من التحولات داخل المكون السردي، و قد جاء في معجم غريماس وكورتيس أن البرنامج السردي يتكون من ملفوظ فعل ، وملفوظ حالة، ويظهر ذلك في الصيغتين الآتيتين:

ب س = و⟵[ذ١ (ذ٢ n م ق)]

ب س = و⟵[ذ١ (ذ٢ u م ق)] [٢]

ففي الصيغة الأولى نجد أن البرنامج السردي لملفوظ الفعل تم بتحول الذات الفاعلة إلى ذات حالة ، وذلك نحو الاتصال بموضوع القيمة، أما في الصيغة الثانية ، فنلحظ وجود شكلين لملفوظ الحالة في البرنامج السردي (ب س)، فالصيغة الأولى توضح وجود ملفوظ الحالة الوصلية، فالذات (ذ ٢) والموضوع القيمة (م ق) تربطهما علاقة اتصال (n) أما الصيغة الثانية فهي توضح وجود ملفوظ الحالة الفصلية:

---

(١) ينظر : السيميائية السردية – مدخل نظري – ، سعيد بنكراد : ٤٩ .

(٢) ولتفسير الرموز التي جاءت في المخطط الموجود ، في الأعلى ندرجها مع المقصد منها وهي كالآتي : **ب س** : البرنامج السردي ، **و** : وظيفة ، **ذ١**: ذات الفعل في علاقتها مع الانجاز الذي تحققه ، **ذ٢**: ذات الحالة في علاقة وصلة أو فصلة مع الموضوع ، **م**: موضوع ، **ق**: قيمة ، **u**: انفصال ، **n** : اتصال .ينظر : هامش رسالة الماجستير : النموذج العاملي واستنطاق البنواسيني الأعرج ، جريوي آسيا : ٣٦.

فالذات (ذ ٢) ، وموضوع القيمة (م ق) تربطهما علاقة انفصال(U) [١] ، ويمكن أن نختصر البرنامج السردي في الجدول الآتي[٢] :

التحفيز	الكفاءة	الإنجاز	التقويم
الرغبة في الفعل علاقة مرسل / فاعل منفذ ↓ البعد الاقناعي	القدرة على فعل الفعل علاقة فاعل منفذ/ عملية [مواضيع جهة] ↓ امتلاك الكفاءة	فعل الفعل علاقة فاعل منفذ/ حالات [مواضيع قيمة] ↓ الفعل التحويلي	مدى تحقيق موضوع الرغبة علاقة مرسل / فاعل منفذ علاقة مرسل / فاعل حالة ↓ الفعل التقويمي

ونجاح هذا البرنامج ، وفشله مرهون بالعلاقة التي تجمع بين الذات ، وموضوع القيمة ، فإذا كانت العلاقة التي تحدث بين الذات مع موضوع قيمتها اتصالية فإن البرنامج يحقق النجاح ، أمَّا إذا كانت العلاقة بينهما انفصالية ، فإن البرنامج يفشل في تحقيق العلاقة بين الذات مع موضوع قيمتها ، ومن ثمَّ لا يتحقق المراد من الموضوع الذي تسعى الذات إلى إنجازه [٣] ، وبحسب رأي الباحثة فإن بعض الموضوعات التي

(١) ينظر : النموذج العاملي واستنطاق البنواسيني الأعرج : ٣٦ .

(٢) ينظر : البنية السردية في النظرية السيميائية ، د. رشيد بن مالك : ٧٨.

(٣) ينظر : البنية العاملية في رواية ظلمة يائيل للغربي عمران ، حفيظة قاسم سلام غالب : ١١٨. (بحث)

تسعى الذات إلى طرحها مع وجود الانفصال بينهما، إلاَّ أن الإنجاز قد تحقق فيها بغض النظر عن قيمة هذا الإنجاز ، وهذا ما تلمسنا وجوده وأثبتناه ضمن أدعية الصحيفة السجادية ، ولا سيما في سيمياء عاطفة الكره والظلم ، والتي سبق الحديث عنهما في الفصل الثاني ، فمع أن الذات منفصلة عن الموضوع إلاَّ أنها قد عالجت الموضوع بطريقة مميزة وأثبتت تمكنها في تناول هكذا موضوعات ، مع استثناء لعاطفة الخوف ؛ لأنها جاءت مقترنة بعاطفة إيجابية بحتة تدور حول دفع الذات نحو إنجاز موضوع ذات قيمة ، تسعى الذات فيها إلى تحقق برنامج مكتمل المحطات ، وبالنتيجة نجاح البرنامج.

وينبني البرنامج السردي على وفق محطات، تتحقق فيها عملية تهيئة الذات للملفوظ من تحفيز وتطويع، ثم إنجاز ، وتقويم للعمل المنجز، ويمكن أن نُفصِّل الكلام حول كل محطة ، أو مرحلة من مراحل البرنامج كالآتي :

١ــ التحفيز/ التحريك : ويعد الطور الأول من البرنامج السردي، فالتحريك ((يتعلق باللحظة الأولى للفعل نحو التحول من حالة إلى حالة مغايرة، ولهذا أطلق عليها التحريك للدلالة على ذلك))[١]، فيعنى بحمل أو تطويع الفاعل الذات على تنفيذ مهمة ما، في ضوء القدرات والإمكانيات المتاحة عندها، وعملية تنفيذ هذه المهمة يعتمد على المرسل / الذات والمرسل إليه بحسب اتفاق أو عدم الاتفاق بينهما، وهذا الطور مهم تعتمد عليه باقي أطوار البرنامج[٢]، ويدل على ((فعل يمارسه إنسان على إنسان، ممارسة تلزمه تنفيذ برنامج معطى ، يتوضح بفعل المرسل الفاعل لحمله على تبني مشروع معطى، وتنفيذه على وفق عناصر تحفيزية، تشكل الفعل الممارس

(١) مدخل إلى السيميائية السردية : ٥٦ .

(٢) ينظر : السيميائية أصولها وقواعدها : ١٤٤ .

على الفاعل والمولد لفعله ، على مستوى محور الرغبة))[١] ، ومحور التحذير ، الناتج من قبل المرسل اتجاه المرسل إليه، وتطبيق الممارسة الفعلية عليه.

٢ــ الكفاءة : حتى تستطيع الذات انجاز موضوعها لا بد أن تمتلك الشروط الضرورية، التي تساعدها على تحقيق الموضوع، من الكفاءات الذهنية والنفسية ، وهذه هي ((الصيغ التي تمكن الذات من تحقيق برنامجها ومن جملتها فعل المعرفة ، الفعل وإرادة الفعل وواجب الفعل والقدرة على الفعل))[٢] ، فتعمل هذه الصيغ مجتمعة على التحولات التي تحدث عبر البرنامج السردي ، والحصول على موضوع القيمة ، ثم الإمساك بجوهر الدلالة والوصول إلى تحقيق الهدف على وفق الأفعال الثلاثية(أستطيع ، أريد ، أعرف).

٣ـ الإنجاز : ويمثل المرحلة الثالثة من مراحل البرنامج السردي ، ويشير إلى نوع من الإشباع النصي ، الذي يعمل على قيادة الدورة السردية إلى الامتلاء ، والمسار السردي إلى الانكفاء على نفسه [٣] ، وهذا الانجاز إنّما هو فعل يؤدى من أجل الحصول على الموضوع ، ويعد أحد عناصر البنية السردية التي تنتظم فيها البرامج السردية من دور الطاقات التي يمتلكها الفاعل ، وعملها في تحريك الفاعل، وإدارة الصراع، وتحقيق الفعل[٤]، ((وهذا التّحقق يتطلّب برنامجاً أساسياً هدفه الحصول على موضوع القيمة، غير أن هذا التحقق خاضع للبنية الجدلية التي تحكم النّموذج العامليّ، إذ نجد برنامجاً مضادّاً يقوم به فاعل إجرائي مضادّ. وفي الوقت الذي تطرح فيه العلاقات القائمة على المواجهة والصراع، يتم المرور من الوضع المجرد إلى

(١) البنية السردية في النظرية السيميائية : ٢٧–٢٨ .

(٢) سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٤ .

(٣) ينظر : السيميائيات السردية – مدخل نظري – : ١٠٠.

(٤) ينظر : معجم مصطلحات السرد ، بوعلي كحال :٢٤ .

التمثيل السّجالي لمجموع الخطاطة السردية))[١]، عِبر متوالية من الحالات والتحولات في الخطاب النموذجي.

٤ـ الجزاء : وهو المرحلة الأخير في البرنامج السردي، وتوافق هذه المرحلة النهائية كينونة الكينونة ، إذْ يتم النظر في البرنامج السردي المنجز وفقاً لالتزامات الفاعل التعاقدية، التي تسجل في مرحلة سابقة[٢]، فيتم فيها تأويل الفعل المنجز ، وإعطاء حكم تقييمي على البرنامج.

ومنهج سيمياء العواطف لا يلتفت إلى ما يخرج عن الدين وما ينصح به ، إنما ينظر إلى الإمكانيات التي يمكنها تحويل مفهوم (النّهي) أو (التّرهيب) أو (التّرغيب) إلى برامج سردية تتغلغل فيها المحكيات التي تجعل الهوى ضمن سياق خطابي [٣] ، يستقطب المقابل ، ويثير عنصر التحفيز لديه في البحث عن هذه الموضوعات ، وتتجلى العواطف في الصحيفة السجادية متنوعة بحسب نوع العاطفة التي نوظفها في البرنامج السردي ما بين عاطفة تتضمن الترغيب ، وعاطفة تتضمن التحذير ، والإمام السجاد (عليه السلام) لديه القدرة على القيام بالفعل وإنجازه، وامتلاك الكفاءة التي تؤهله للقيام بإنجاز الموضوع ، وتحقيق القيمة ، والوصول به إلى مرحلة التقويم ؛ لذا سوف تقسم دراسة العاطفة بحسب مفهوم الترغيب ، ومفهوم التحذير، الذي تندرج تحته عواطف مختلفة، تبيّنها الدلالة، ويوضحها المقصد، نفصلها تحت التقسيم الآتي :

---

(١) اشتغال النموذج العاملي في رواية " تلك المحبة " للحبيب السايح – دراسة سيميائية– ، محمد بودالي: ٣١–٣٢ ، (رسالة ماجستير) .

(٢) ينظر : المكون السردي في النظرية السيميائية الغريماصية – المفاهيم والإجراءات – : ٧١.

(٣) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١١.

١ ـ الترغيب بالعواطف

لا ينحصر هذا المفهوم بعاطفة معينة إنّما ينفتح على كل أنواع العواطف يتناولها ، ويفصلّها للمتلقي ، فيسعى فيه المرسل إلى ترغيب المتلقين لنصه بما يطرح من فكرة ، أو موضوع يحقق عبره الهدف المرسوم، والوصول إلى الغاية من طرح الموضوع ، فقد تتجلى مثلاً سيمياء العاطفة بمفهوم الترغيب، ولكنها قائمة على عاطفة الحب الإلهي عِبر الخشوع ، والتذلل لله جل علاه نحو ما نجده في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الآتي إذ قال: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَفَرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ، وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ، وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَأَمِلْهُ إِلَى طَاعَتِكَ، وَأَجْرِ بِهِ فِي أَحَبِّ السُّبُلِ إِلَيْكَ، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَكَ أَيَّامَ حَيَاتِي كُلِّهَا، وَاجْعَلْ تَقْوَاكَ مِنَ الدُّنْيَا زَادِي،وَإِلَى رَحْمَتِكَ رِحْلَتِي، وَفِي مَرْضَاتِكَ مَدْخَلِي...**))[١].

لا تستطيع الذات تحريك الموضوع ، وإنجازه أن لم تكن قد امتلكت القدرة على الفعل والكفاءة ، ومن المؤكد أن الإمام السجاد (عليه السلام) قد امتلك تلك القدرة من فعل المعرفة ، وإرادة الفعل ، وواجب الفعل ، والقدرة على القيام بالفعل ، فاستطاع عبر البرنامج السردي تحريك الموضوع في محطته الأولى عبر طرحه ، وتداوله بين المتلقين ، ثم في حيازته على الكفاءة التي كانت متنوعة من كفاءة معرفية ، وبلاغية ، ودينية ، وثقافية قد حقق إنجاز المحطة الثانية في البرنامج إذْ عمل على إيراد الملفوظات التي تشير إلى ترغيب المرسل إليه ، والتأثير في نفسيته عبر جمل تعمل على تهدئة النفس الإنسانية ، والعودة إلى خالق الكون من دون اللجوء لغيره ، فجملة (فرغ قلبي لمحبتك) أي: أجعله مملوءاً بحبك ، شاغلاً بذكرك،

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٩٩.

لا يخاف غيرك ، لأنك سوف تدعمه بالرغبة إلى سُبل حبك ممزوجاً بالرغبة إلى رحمتك في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بالبعد السيميائي المستقل ، والمنسجم مع رغبة الذات في الحالات التي شكّلتها من محتمل ، ومحيّن ، ومتحقق بوصفه موضوعاً علمياً مستقلاً لحالة وضع ذات الفعل[1]، فامتلاك الكفاءة متحققة في دعاء الإمام (عليه السلام) ، وهذا يعني تحقق الطور الثاني من البرنامج.

أمَّا في الطور الثالث من البرنامج السردي فإن إنجاز الموضوع متحقق في دعاء الإمام (عليه السلام) ؛ لأن الموضوع قد تم إنجازه عبر الطاقات الفعلية التي ضمنها الإمام في دعائه ، واستطاع قيادة الموضوع ، وتحقيق القيمة فيه، وإدارة الصراع مع المضادين لموضوعه، فعمل على فعل التحولات من ملفوظ الفعل إلى ملفوظ الحالة بتجسيده عبر علاقة الاتصال التي تقوم على رغبة الذات بتحريك الموضوع ، وتحقيق القيمة، فالموضوع نابع من رغبة الإمام (عليه السلام) بمعالجة مثل هذه الموضوعات، التي تعمل على تنظيم حياة الفرد ، وبناء قاعدة قويمة تساعده في السير بخطى سليمة.

أمَّا الطور الرابع هو مرحلة التقويم التي تعتمد على متلقي النص، أو المرسل إليه ، ومدى تقييمه لهذا الموضوع ، والبت بالأهمية التي تكمن فيه ، فإذا كان المتلقي على دراية بقيمة الملفوظات الواردة في النص وعارف بأهميتها فمما لا شك فيه أنه سيعطي أهمية ، وقيمة لما موجود، والإمام في دعائه (عليه السلام) قد بذل جهداً في إعطاء موضوعه أهمية تؤثر في نفس القارئ ، وترشده إلى الطريق السليم ؛ لأنه في طور بناء بذرة ، تعطي ثمراً نافعاً للمجتمع.

وقد يأتي مفهوم الترغيب متعلقاً بعاطفة الأمن ، ومختصاً بالأيام ، وفي الوقت نفسه هناك رغبة في الحصول على رضى الخالق وشكره ، أي أنْ: يردُ برنامجان في

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ٥٢–٥٣.

النص الواحد من ذلك ما جاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الآتي: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَوْم عَهِدْنَاهُ، وَأَفْضَلَ صَاحِب صَحِبْنَاهُ، وَخَيْرَ وَقْت ظَلِلْنَا فِيْهِ. وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ وَأَشْكَرَهُمْ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمِكَ وَأَقْوَمَهُمْ بِمَا شَرَعْتَ مِنْ شَرَائِعِكَ، وَأَوْقَفَهُمْ عَمَّا حَذَّرْتَ مِنْ نَهْيِكَ...**))[1].

ينبني البرنامج على أطواره الأربعة ، وامتلاك الإمام (عليه السلام) لأطوار البرنامج تجلت في القدرة على تحريك الموضوع من طرحه ، وتداوله بين السامعين عبر ملفوظاته ، والأثر الذي تتركه ، وهذه القدرة لم تكن مختصة في جانب معين ، فيلحظ القارئ أن الإمام (عليه السلام) لا يعالج في الدعاء الواحد موضوعاً واحداً فحسب ، إنَّما نجد في السطر الواحد موضوعات عدة يطرحها الإمام (عليه السلام)، ويعالجها عبر القدرة على فعل الفعل ، وانجازه ، وهذا يثبت لنا تعدد البرامج داخل النص ، وهذا التعدد ناتج من تعدد الموضوعات الواردة في النص ، ففي بداية النص يتحدث عن الرغبة الكامنة في عاطفة الأمن المتعلقة باليوم المعني من أيام السنة من دون تحديد لذلك اليوم إنما جعل المسار العاطفي فيه مفتوحاً بالرغبة بحدوث الأمن في جميع الأيام، والسمو فيه إلى الحصول على أفضل العطايا، وحدوث الخير ، والبركة ، ثم تشخيص هذا اليوم بجعله بمثابة الصاحب الذي يرافق الإنسان بتلك الساعات ، والعمل الذي يقوم به في تلك الأوقات ، وتتويجه بالخير والفلاح ، عبر تسجيل حضوره الفعلي ، والاستفادة منه ، وهذا يُعدُّ البرنامج الأول.

أمَّا البرنامج الثاني فقد تمثل بموضوع عاطفة الأمن ، والرغبة بالحصول على رضا الخالق ، ثم الشكر على نعمه التي لا تعد ، ولا تحصى ، وأقومهم بالعمل على

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٤٤.

الشريعة التي شرعها لعباده ، وأوقف العباد على التحذير عما نهاه عنه الخالق ، فتحريك كلا البرنامجين قد أنجز موضوع القيمة ، وحققه فيهما ، وكذلك مرحلة الكفاءة التي ظهرت واضحة ، وجلية في ملفوظات الإمام (عليه السلام) من معرفة بالفعل ، والإرادة على تحقيقه.

هذا وقد تحقق إنجاز البرنامج الأول ، والثاني في النص عبر الأفعال التي قدمّها الإمام (عليه السلام) من التأسيس لها ، وتقديمها للمرسل إليه الذي بدوره يأخذ هذه الأفعال ، ويعمل على إنجازها إذا أراد أن يحقق المبتغى من الاتفاق الذي تم مسبقاً بينه وبين المرسل على أساس أن العلاقة التي تجمع بينهما علاقة التواصل القائمة على الرغبة ، وإنجاز الموضوع المرسل لها ، وتبقى مرحلة التقويم تعتمد على مدى إفادة المتحققة من الموضوع ، والقيمة التي ينجزها الموضوع عبر التحولات التي يتحول عِبرها ملفوظ الفعل إلى ملفوظ الحالة/ الذات، وتطبيقها من قبل المرسل إليه.

وأحيانا يرد مفهوم الترغيب متعلقاً بعاطفة الرحمة التي تأتي متضمنة للعفو ، والمغفرة ، والتوبة عبر حدوث العلامات التي تقع للعبد الداعي نحو ما نجده في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الآتي: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَقِنِي مِنَ الْمَعَاصِي وَاسْتَعْمِلْنِي بِالطَّاعَةِ، وَارْزُقْنِي حُسْنَ الإنابَةِ وَطَهِّرْنِي بِالتَّوْبَةِ، وَأَيِّدْنِي بِالْعِصْمَةِ وَاسْتَصْلِحْنِي بِالْعَافِيَةِ وَأَذِقْنِي حَلاَوَةَ الْمَغْفِرَةِ، وَاجْعَلْنِي طَلِيقَ عَفْوِكَ، وَعَتِيقَ رَحْمَتِكَ وَاكْتُبْ لِي أَمَاناً مِنْ سَخَطِكَ وَبَشِّرْنِي بِذلِكَ فِي الْعَاجِلِ دُونَ الأجِلِ بُشْرى أَعْرِفُهَا وَعَرِّفْنِي فِيهِ عَلاَمَةً أَتَبَيَّنُهَا إنَّ ذلِكَ لاَ يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي وُسْعِكَ، وَلا يَتَأَدُّكَ فِي قُدْرَتِكَ، وَلا يَتَصَعَّدُكَ فِي أناتِكَ، وَلا يَؤودُك فِي جَزِيلِ هِباتِكَ الَّتِي دَلَّتْ**

عَلَيْهَا آيَاتُكَ إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَتَحكُمُ مَا تُرِيدُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ المُطَهَّرِينَ))[1] .

إن التنوع في إيراد الملفوظات المتحققة في الدعاء تعد من سمات الثقافة الدينية التي يمتلكها الإمام السجاد (عليه السلام) ، فإصرار الإمام (عليه السلام) ، ورغبته في الاعتراف بتلك الرحمة الإلهية التي تُغلف الإنسان حتى بعد ارتكابه المعاصي ، والعودة إلى الحصول على العفو ، والمغفرة ، وجعلهما وقاية ، وحماية للعبد المؤمن عبر سلسلة السلم العاطفي التي يمرُّ منها الإنسان بدءاً من الصلاة المحمدية ، والدخول في حصن الخالق ، عبر التركيز على الألفاظ ذات الفاعلية ، والتأثير في المتلقي ، فالأفعال الإجرائية التي وظفها الإمام (عليه السلام) نحو: (وقني ، استعملني ، ارزقني ، طهرني ، أيدني ، استصلحني ، أذقني ، اجعلني ، اكتب ، بشرني ، عرِّفني) قد أخذت بعداً في الإحاطة بالرحمة الإلهية ، وتجنب المعاصي ، والتمسك بالعفو والمغفرة ، في سبيل الحصول على الرحمة والأمان ، عبر العلامات التي تشير لها حالات العبد ، ففي بداية النص نجد تركيزاً على تلك الأفعال التي جاءت ملتصقة بياء المتكلم ، الذي أخذت ألفاظه مجرى الطلب عبر الدعاء الذي يشير إلى أهميته ، وأثره في تحقق الاستجابة تبعاً لقوله تعالى﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2]، وتحقق ذلك الطلب متعلق بالعلامات التي تظهر للإنسان عبر قبول طلبه وتحقق المراد ، ثم الانتقال إلى القدرة والسعة التي يمتلكها الخالق ، والتي دلت عليها آياته ، وبراهينه ، فلا يعجزه شيء إنما ملك كل شيء بقدرته ، وإحاطته ، فهذا التدرج في طرح الموضوع ، والانتقال فيه من ملفوظ الفعل مجسداً في ملفوظ الحالة التي يتضرع فيها العبد المؤمن لخالق الكون من أجل الحصول على تلك

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٧٦–٧٧.

(٢) سورة غافر : الآية : ٦٠.

العاطفة ، إنما يثبت مدى الإمكانية التي يمتلكها الإمام (عليه السلام) في معالجة الموضوع بفعل القدرة ، وإنجاز الفعل من تحفيز الموضوع ، وتحريكه ، ومن ثم إنجازه بين المتلقين انطلاقاً من الرغبة التي تكمن في نفس الإمام (عليه السلام) في تبني هذا الأفكار ، ومزاولتها بين الناس ، وهذه الرغبة قد ولدت لنا علاقة الاتصال التي تقوم ما بين قيمة الموضوع ، والذات التي سعت إلى معالجته، وبالنتيجة نجاح البرنامج السردي بفعل هذا الاتصال ، وهذا يمثل المراحل الثلاث التي تمر فيها ملفوظات الفعل عبر البرنامج السردي ، أمَّا المرحلة الأخيرة من البرنامج فأنها تعتمد على مرحلة التقييم ، التي تنهض مع وجود المتلقي للنص ، ومدى الإفادة المتحققة من كم المعلومات الواردة في النص .

وأحياناً يرد مفهوم الترغيب في البرنامج السردي مرتبطاً بحصول العبد على أفضل الأخلاق وأعلاها، فضلاً عن إسباغه بالنعم المختلفة، نحو ما نجده في دعاء الإمام (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِيْ بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيْبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَإِيْثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ وَالإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ وَالقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ وَاسْتِقْلاَلِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأي الْمُخْتَرَعِ...**))[1].

إن التغييرات التي تحدث على سلسلة البرنامج السردي في ملفوظات الأفعال ، والتحولات التي تنتقل فيها إلى ملفوظات الحالة الواردة في النص إنما من المراحل التي يتم فيها تقيم الموضوع عِبر الذات الفاعلة له ، فتتبع هذه المراحل تمكّن السامع

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٨٨–٨٩.

من تتبع المحطات التي أنتج فيها الملفوظ عبر النسق المحيط به ، فالدعاء هنا ينطلق من فعل الأكفاء الذي يجعل الإنسان بعيداً عن الشغل الدائم له عن كل ما يؤخره عن فعل الأعمال الصالحة ، والاهتمام بالأعمال التي يحصد نتيجتها الإيجاب يوم القيامة ، ثم نلحظ هناك تدرج في السلم العاطفي عبر أسلوب الترغيب في الحصول على فضائل السلوك ، والأخلاق في مقابل الابتعاد عن رذائل السلوك ، والأخلاق ، إذ بدأ من ملفوظات ذات دلالة مركزية في التحول من وضع عام إلى وضع خاص ، يتحقق عبر الانتقال من الوضع العام عبر مرحلة التحفيز التي انتقلت فيها ملفوظات الدعاء من حالتها الأولى إلى ملفوظات الحالة الماثلة في النص ، الذي تمثل بالعبادة ، وإتمامها بالشكل الصحيح ، والانتقال إلى الجزيئات التي تتضمنها تلك العبادة ، بدءاً من تكون فكرة الأكفاء ، ووضعها في قالبها اللفظي ، والاتساق النصي فيها ، والانتقال عِبرها إلى نوع العبادة الجزئية من (الاستعمال الأصح في العبادة ، والسعة في الرزق ، وعدم الانشغال في النظر بأمور الآخرين ، والحصول على العزة ، والتواضع ، وعدم التكبر ، وحدوث الخير من قبله للناس ، وعدم المن فيه)، وصولاً إلى استحقاقه لمعالي الأخلاق ؛ لذا يؤكد الإمام (عليه السلام) على قضية الإيمان بالله ، والانشغال به الذي يجعله مبتعداً عن (الاهتمام بالقضايا التي لا يحصل فيها خيراً للعبد) ، وهذا يتبعه أمور أخرى من أهمها النتيجة التي يصل معها العبد يوم القيامة ؛ لأنها تتضمن رحلته التي قضاها في الحياة الدنيا، والإمام (عليه السلام) في موضع المناجاة ، والتضرع ، والسؤال ، والطلب من الخالق ، من أجل الوصول إلى تحقيق المراد في الحصول على معالي الأخلاق ، والابتعاد عن التكبر، وهي رسالة موجه للسامع في أخذ الموعظة ، والتحلي بأخلاق الإمام (عليه السلام)، وهذا التأثير الموجود في كلام الإمام هو نابعٌ من امتلاكه الفعل ، وإرادة الفعل ، والقدرة على إنجاز الفعل التي تغلفها معرفته في تحول الصيغ

من حالة إلى أخرى عبر المتواليات التي تضمنها الخطاب النموذجي في حالاته ، وتحولاته ، وتبقى مرحلة التقويم مرتبطة أشد الارتباط بمتلقي الخطاب الذي يستثمر ألفاظه ، ويفعلها عِبر تطبيقها .

٢ ـ التحذير بالعواطف:

ويعمل البرنامج السردي ضمن مفهوم التحذير الذي تنطوي تحته كل أنواع العواطف ، والانفعالات، وبما أن الإمام السجاد (عليه السلام) يمتلك الفعل ، والقدرة على فعل الفعل ، والإرادة في إنجاز الفعل ، وهذا يعني امتلاكه للقدرة ، والمعرفة ، والكفاءة في الإمساك بالقضايا التي تهم الأمة الإسلامية ، والتي تستوجب إنجازها ؛ لتعلقها تارة بمصير أبنائها عامة في الحياة الدنيا، وتارة أخرى تعلقها بالآخرة ، وفي التحذير فائدة تعود بالمنفعة على الجميع ، ومن جملة الأمور التي حذر منها الإمام (عليه السلام) –ضمن عاطفة الخوف– في صحيفته غضب الخالق جل علاه الذي يأتي بوصفه نتيجة حتمية لما يتولد عن بعض الأفعال الناتجة من بعض العباد، من ذلك ما جاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) إذ قال: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَلاَ تَجْعَلْنِي لِلْبَلاَءِ غَرَضاً، وَلاَ لِنِقْمَتِكَ نَصَباً، وَمَهِّلْنِي وَنَفِّسْنِي، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِبَلاَء عَلَى أَثَرِ بَلاَء، فَقَدْ تَرى ضَعْفِي وَقِلَّةَ حِيْلَتِي وَتَضَرُّعِي إِلَيْكَ، أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ اليَوْمَ مِنْ غَضَبِكَ...**))[1].

إن الاتجاه نحو النجاة من غضب الله يحققها العبد عِبر وسيلة الدعاء ، وعبر الإمكانيات المتعلقة في اختيار الألفاظ المناسبة لذلك الاتجاه، والتحول من حالة إلى حالة أخرى مغايرة لها ، فالتحريك بالتخلص من البلاء الموصوف به من محنة ، ومكروه ، فلا أكون هدفاً يصيبني سهم غضبك ، إنما تفضل عليَّ بالسعة ، والفسحة

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٤٠، وينظر : ٢٩٨.

عبر شمولي بلطفك ، ولا أقع في الإثم ، ولا تبتلني بشدة بعد شدة أخرى ، فيا رب أنت تنظر ضعفي ، وتدبر أموري ، فاعصمني من غضبك ، فلا ملجأ لي سواك ، فرغبة الإمام (عليه السلام) في ممارسة الفعل على الفاعل ناتجة من تبني مشروع جاهز يقوم على: تحفيز الذات السامعة في الابتعاد عن كل ما يجلب سخط الخالق ، وغضبه ؛ وبالنتيجة يلزمه تنفيذ هذا البرنامج عِبر الأخذ به ، وتبنيه ، وبما أن المرسل يمتلك الأهلية في نقل هذا الكم من المعلومات ، فضلاً عن الكفاءات النفسية التي تجلت في اختيار ألفاظه بدقة عبر أسلوب مميز بالفعل المضارع الدال على الاستمرارية ، وإنجاز الوارد في الخطاب ، من تجميع الصيغ عِبر امتلاك الإمام لفعل المعرفة ، وإرادة الفعل ، والقدرة على الفعل ، والحصول على الجوهر ، والقيمة التي تكمن في دلالة الألفاظ ، وتحقيق الهدف منه ، والانتقال إلى مرحلة الانجاز في البرنامج السردي تطلب العبور من مرحلة التخلص من المحن إلى مرحلة عدم الدخول ضمن دائرة غضب الخالق ؛ لذا يحذر الإمام (عليه السلام) من الانزلاق ضمن هذه الدائرة ، ويترك المرحلة الأخيرة للمتلقي الذي بدوره يأخذ هذا الدعاء ويعمل على تطبيقه ، وتظهر الإفادة منه في مدى استيعابه ، والعمل به في الحياة الدنيا.

وقد نجد التحذير في كلام الإمام (عليه السلام) يدور حول نار جهنم التي تكون خاتمة العذاب ؛ لذلك يحذر الإمام من هذه النار ويستعيذ منها نحو ما جاء في قوله: ((**اللَهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مَنْ نَار تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، وَمِنْ نَار نورُهَا ظُلْمَة وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَار يَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضٌ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، وَمِنْ نَار تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً، وَمِنْ نَار لاَ تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إلَيْهَا، وَلاَ تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسْلَمَ إلَيْهَا، تَلْقَى سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا لَدَيْهَا مِنْ**

أَلِيْمِ النَّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ عَقَارِبِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهَهَا، وَحَيّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا، وَشَرَابِهَا الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَأَسْتَهْدِيْكَ لِمَا باعَدَ مِنْهَا وَأَخَّرَ عَنْهَا ...))[1].

أن اختيار الألفاظ المناسبة قبل طرحها ضمن دائرتها يتطلب من المنشئ إعطاء كل لفظة حجمها ، وتوظيفها ضمن المتوالية اللفظية التي أقامها ، فما نلحظه في النص أن الإمام السجاد (عليه السلام) قد أقام نصه على مرتكز التحذير ، والزجر ، والتنبيه من هول الأمر المتحدث عنه ، فركز عبر أسلوب التكرار على لفظة واحدة قام عليها النص ، فمع أن نار جهنم واحدة ، إلاَّ أنه قد كررها في أكثر من موضع ؛ ليعطي أهمية للشيء الموصوف بها ، ولهذا فإنها تدخل في باب المبالغة التي ((استلزمت معاني التهديد والزجر للنفس العاصية، ومن جانبٍ آخر يمكن أن يُفهَم منها استلزام معاني التوجُّع والتحسُّر من خطرها العظيم؛ ولذلك يطلب من الله تعالى مكرِّراً أن يبعده عنها، وكذلك يفهم من تكرارها وفي كل مرة مع صفة رهيبة مخيفة التنبيه والتحذير منها ومن خطرها))[2] ، فعمل على وضع جملة من المحطات التي يمر عِبرها تهيئة اللفظ ، وطرحه للمتلقي ، فأعطى للمحذر منه أكثر من صفة استحوذت عليه، من أجل تحفيزه ودفعه إلى تطبيق الممارسة الفعلية التي تأخذه بعيداً عن تلك النار، وفي الكفاءة التي ظهرت في اختيار الألفاظ التي بدأت من التوجه نحو الخالق ، والدخول في عصمته ، والابتعاد عن تشدده ، ونيل رضاه ، فجمع الصيغ في عبارات ذات تأثير ، وافصح عنها عبر فعل المعرفة بتلك النار ، وما يخرج عنها من عقاب شديد لمن عصى ، وأعرض عن رضا الخالق يثبت لنا

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٤٨–١٤٩.

(٢) أدعية الصحيفة السجادية – دراسة تداولية – ، عمار حسن عبد الزهرة : ٧٥. (رسالة ماجستير).

مدى تمكن الإمام (عليه السلام) من وصف النار بتلك الدقة التي أظهرتها وهي تأكل بعضها بعضاً وتترك العظام بالية ، حتى وأن صدر من أولئك المعذبين بها رجاء ، وصراخ ، وتوسل للنجاة منها ، فأنهم ينالون جزاء أعمالهم التي قدموها في الحياة الدنيا ، وفي محطة الإنجاز نجد أن الحديث عن تلك النار ، ووصفها الدقيق قد أنجز بشكلٍ وافٍ ، ظهر في دقة اختيار اللفظة المناسبة ، وتحقيق القيمة في تناول الموضوع ، الذي كشف عن الكيفية التي أدار فيها الإمام (عليه السلام) موضوعه ، وتحريكه عبر إنجازه ، وتحقيق الفعل ، في حين تبقى مرحلة التقويم متعلقة بالمتلقي الذي يعطي تأويل لقيمة الفعل المنجز أمامه ، ومدى نجاح البرنامج السردي فيه ، الذي حقق عِبره إثبات تلك القيمة المتجلية في الموضوع ، ونجاح البرنامج ، على الرغم أن العلاقة بين الذات ، والموضوع تقوم على الانفصال ؛ لأن الانفصال لا يعني انتفاء الصلة بين الذات ، والموضوع ، فتكون نتيجته انعدام وجودهما لانتفاء الغاية ، والمبرر، وإنما يبقى لحالته حضوراً قائماً بالقوة[1] .

ولا يرتبط مفهوم التحذير من الشيطان في أدعية الصحيفة السجادية فحسب ، إنما يتعدد فيخرج إلى التحذير من أنواع الحيوانات ، فضلاً عن أنواع النفس الإنسانية المختلفة ؛ لذا يرد التحذير متنوعاً في النص الواحد من ذلك ما جاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الآتي: ((**وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم وَمِنْ شَرِّ السَّامَّةِ وَالْهَامَّةِ وَالْعَامَّةِ وَاللاَّمَّةِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَان مَرِيد، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ سُلْطَان عَنِيد، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُتْرَف حَفِيد، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضَعِيف وَشَدِيد، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَرِيف وَوَضِيع، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ صَغِير وَكَبِير، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ قَرِيْب وَبَعِيد، وَمِنْ شَرِّ**

(١) ينظر : في الخطاب السردي – نظرية قريماس : ٤٢.

كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ حَرْباً مِنَ الْجِنِّ وَالانْسِ، وَمِنْ شَرّ كُلِّ دَابَّة أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّكَ عَلَى صِرَاط مُسْتَقِيم...))[1].

ابتدأ الإمام السجاد (عليه السلام) ضمن مرحلة التحريك في ضوء القدرات ، والإمكانيات والمعلومات ، التي يمتلكها عن الشيطان ، والفعل الذي يفعله تبعاً من تأثيره في بعض النفوس ؛ لذا لجأ الإمام (عليه السلام) إلى الخالق للاعتصام ، والحفظ من الشيطان ، مع أنه معصوم عن شراك الشيطان ، وغيره مما يسبب ضراً أو سوءاً ، فشكل فعلاً عبر برنامج يلزم به المتلقي ، بحسب اتفاق تم بينهما مسبقاً على مستوى محور التحذير، من الفعل الممارس عليه من قبل المحذور منه ، فالرسالة التي يوجهها المرسل إلى المرسل إليه تحمل تنبيهاً ، وتحذيراً ، وفي الوقت ذاته تحملُ المرسل إليه على التحصن ، والتمنع من هذا الخطر ، فتعمل بذلك على تحفيزه ، وتحريكه عِبر الألفاظ التي ضمّنها المرسل في نصه ؛ لأنها تعمل على حمايته ، وحفظه من كل مكروه ممكن أن يواجه أي إنسان في الحياة الدنيا ، والابتداء بالخطر الأكبر يشير إلى المصائد التي يقع بها الإنسان جراء إغواء الشيطان له التي تجعل الإنسان يدخل في معصية الخالق ، ثم نجد تنازلاً في السلم العاطفي ضمن البرنامج السردي حينما ينتقل الإمام (عليه السلام) في الحديث من خطر عظيم إلى خطر أقل في درجته ، متمثلاً في شر الحيوان السام والمؤذي ، لكن نجد انتقالاً في حالات الفعل حينما يكون الكلام حول الإنسان الذي تكون أذيته مقصودة ، ومباشرة على الآخر ؛ لذا ركز على الإنسان بتنوع مراتبه الاجتماعية ، والسياسية ، فضلاً عن الفئة العمرية ، فيتحصن بحفظ الخالق منهم ، وحتى يتم الموضوع ، ونحصل على قيمته، فإن المرسل في النص قد حقق الهدف حينما جعل صيغ الكلام قائمة على تمكنه من فعل المعرفة بهذه المحاذير التي تجلت في قدرته

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٠٧.

على الكشف عن فعل تلك الفئات، فلانطلاق كان في البرنامج السردي ضمن مخطط خاص حتى توسع ، وأصبح شاملاً لكل شر ممكن أن يحيط بالذات ، وهذه الإحاطة إنما جاءت من الكفاءة التي انتظمت في أنظمة الطاقات الكامنة في نفس الإمام (عليه السلام) ، وقدرته على تحريك الفعل ، وإدارة الصراع ، وتحقيق الفعل عِبر التحولات الناتجة في متوالية الدعاء ، وهذه تعد من منطلقات السّيرورات غير المحددة في ذاتها ، إنما تتحقق داخل سيرورة تركيبية ، استوعبها الخطاب في حدودها ضمن نموذجها التّكوينيّ الحاضن لها[١]، ويعتمد التقويم على المتلقي ، الذي يقوم بتأويل الفعل المنجز أمامه.

وقد يخرج مفهوم التحذير في سيمياء العواطف إلى أمور تهتم بالجانب الاقتصادي ، نحو ما نجده في دعاء الإمام (عليه السلام) الآتي: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَالازْدِيَادِ، وَقَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ وَالاقْتِصَادِ، وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَاقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ وَأَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلاَلِ أَرْزَاقِي، وَوَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي، وَازْوِ عَنِّي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أَوْ تَأَدِّياً إِلَى بَغْي، أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَاناً...**))[٢].

أن العمل على وضع برنامجٍ متكاملٍ يكفل للفرد العيش على وفق متطلبات الحياة يحتاج إلى وضع خطة تتضمن أسس رئيسة يسعى عبرها الواضع إلى تطبيق فعلي يمارس على تلك الأفراد ، وهذا ما لمسناه في أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) ، حيث عمل على تطبيق المساواة عبر ميزان اقتصادي مرتبط أشد الارتباط بما ورد في الآيات القرآنية التي تكفل الاقتصاد في الصرف وعدم الإسراف ، فالطور الأول في البرنامج السردي هو تحريك الموضوع الذي جاء نابعاً من الآيات القرآنية

(١) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ١٥.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٣٢.

الكريمة، فالمنع من تجاوز الحد في الإنفاق ، والاعتدال بدل ذلك مما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[1] ، فينبذ التبذير ، ولا سيما التبذير في غير مقصده ، تبعاً لقوله تعالى﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[2] ، فتحريك الذات ، وعملها على تحفيز المتلقي بقبول المطروح عِبر الأدلة ، والبراهين القرآنية ، تجعل المتلقي يذعن لها؛ لأن ((تسلسل الملفوظات في القياس المنطقي لا يتأسس على الملفوظات في حد ذاتها ولكن على القضايا المعبّر عنها بوساطة تلك الملفوظات فهي تتأسس على ما تقوله الملفوظات أو تفترضه في العالم))[3] ، وتأتي الكفاءة في طورها الثاني من البرنامج ضمن الحلقات التي تتحقق في شخص الإمام بما يحمل من إفاضات دلالية تركيبية ، ساعدت على رسم صورة فنية توحي بتلك القدرة ، والإمكانية، في بث ألفاظ تسعى إلى معالجة القضايا الاقتصادية ، التي كانت جزءاً من ضمن قضايا كثيرة عالجها الإمام (عليه السلام)، فالتحول في صيغ الفعل عِبر التوصل إلى الشيء من باب الاستعارة في جعل الرزق الحلال باباً مفتوحاً لكن أين يكون هذا الفتح ؟ جعله محدداً في أبواب البر ، والطاعات ، وأعمال الخير، وهذه تدل على حسن الأرزاق وسعتها في وجوه البرِّ ، وتحقيق القيمة في الموضوع عبر امتلاكها لفعل المعرفة ، فضلاً عن إرادتها ، وقدرتها على فعل الفعل ، ويتمثل الإشباع النصي في انتظام البرنامج من أن الموضوع موضوع سجال قائم على الصراع بين فئات المجتمع في حيازة الفرد ، وتحكمه في تحقيق الكفاءة الذاتية لنفسه على حساب الآخرين ، لكن في تنظيم ملفوظات الدعاء يظهر تمكن ، وكفاءة الإمام

---

(١) سورة العرفان: الآية :٦٧.

(٢) سورة الإسراء : الآية :٢٦–٢٧.

(٣) اللغة والحجاج ، د. أبو بكر العزاوي : ٥٨.

(عليه السلام) في تنظيم الموضوع ، وتحويله لمنفعة الجميع ومصلحته ، في سبيل تحقيق ميزان اجتماعي اقتصادي متساوٍ بين أبناء المجتمع ، وتبقى مرحلة تقويم البرنامج يتم النظر فيها عبر تلك الاتفاقيات التي تمت بين المرسل ، والمرسل إليه في مرحلة سابقة ، يتقبل فيها المرسل إليه ما مطروح في الموضوع من أفعال منجزة، وبالنتيجة يُعطي حُكماً تقييمياُ على عمل المرسل.

تتسلل العواطف في خطابات الصحيفة السجادية لتأخذ مساحةً واسعةً ، تختلف باختلاف التنوع الوارد فيها ، حتى نجد هذا التنوع في النص الواحد ، وهذا يدل على المقدرة البلاغية ، والكلامية التي وظفها الإمام (عليه السلام) في خطابه، ليتبين لنا في البرنامج السردي الذي أتجه باتجاهين الأول: يبحث عن مفهوم الترغيب في العواطف بمختلف أنواعها ، فقد يتجلى في عاطفة الحب عِبر الخشوع ، والخضوع للذات الإلهية ، وقد يرتبط بعاطفة الأمن ، مختصة برضا الخالق وشكره على النعم ، وأحياناً يكون متعلقاً بعاطفة الرحمة، موحية إلى معنى العفو ، والرحمة والمغفرة ، وقد يخرج للتحلي بأفضل الأخلاق وأعلاها، أمَّا الاتجاه الثاني: فيبحث عن مفهوم مغاير للأول ، وهو مفهوم التحذير الذي يكاد يرتبط بعاطفة الخوف ، لكن مع تعدد للموضوع المعالج إذ بحث في التحذير من غضب الخالق ، ثم في التحذير من نار جهنم ، مع تنوع في الموضوعات في النص الواحد ، من تحذير من الشيطان أولاً ، ومن أنواع الحيوانات ثانياً ، وأنواع النفس الإنسانية ثالثاً وبحسب مقاماتها الاجتماعية وغيرها ، ثم نجدُ تحذيراً عبر العواطف في الجانب الاقتصادي ولا سيما في موضوع الإسراف والتبذير.

المبحث الثاني

السيميائيات السردية في الصحيفة السجادية

تنبري السيميائية السردية في حقل التحليل السيميائي لفحص الجوانب المشتركة، على صعيد مستويات الخطاب ، أو الحكاية المختلفة ، فتهتم بما يؤسس الاختلاف بين النص السردي ، وغيره من النصوص ؛ لأنها ظاهرة بناء لتلك المدلولية التي تنبثق عن تتابع الدلالات المكونة للنص، مثل المعنى الذي ينتج عنه اختلاف ، والسردية هي أساس هذه الاختلافات ، عِبر تتبع الحالات والتحولات(١)، وهي من المسلمات البديهية في تحديد التصورات اللّاحقة عِبر تنويع التمفصلات ضمن عملية استحضارها لتلك القيم الدلالية(٢)، فالكشف عن المستويات ، والمضامين ، والتنظيمات، والمقصديات ، والوظائف ، والبنى التي تكون الخطاب عبر وصف تحولات الحالات التي تحملها الأدوار العاملية(٣) ، إنما يتم عبر العمليات السردية ؛ لذا أهتم غريماس بصياغة مفهومي التفضية ، والتزمين داخل النظرية السردية، وعالج مشكلة الزمن ضمن أنتاج المعنى، فتتعلق قضية الزمن بإعطاء بعد زمني للبنية التي تتميز بطابع لا زمني، والقضية ترتبط بالكيفية التي تتحول فيها بنية لا زمنية إلى مجموعة من الأحداث تتكون على وفق عنصر الزمن(٤)، بعدّه العنصر السردي الممتد مع امتداد الأحداث ، لذا فإن الفضاء يشكل عنصراً مركزياً ، فلا يتقيد بالأمكنة

(١) ينظر : هندسة المعنى في القصيدة السردية السيميائية – مقاربة سيميائية " شوقي بزيع" – أنموذجاً– ، بركة نصيرة : ٢٧ . (أطروحة دكتوراه)

(٢) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ١٩.

(٣) ينظر : التحليل السيميائي للنصوص ، فريق انترفان : ٢٦.

(٤) ينظر : مدخل إلى السيميائية السردية : ٨٧.

المتعالقة فيما بينها في النص، والمتجسدة عِبر آلية الوصف ، أو متمثلة بعنصر الزمن الذي يتجسد في آلية السرد ، والظاهر عبر أثره في الأمكنة[١]، فالتداخل بين الزمان ، والمكان لا يمكن فصله؛ لأنهما يعملان على تهيئة تنظيم زماني ، ومكاني له القدرة على استقبال البرامج السردية، التي تظهر على مستوى البنيات السردية ؛ ولأنهما يشتغلان في مستوى التركيب الخطابي كنقطة انطلاق في بناء فعل القراءة، وفعل الإبداع ، المرتبط بحركة العامل النموذجي[٢] ، كما أنه يدخل في علاقات متداخلة ، ومتعددة مع المكونات السردية الأخرى ، ليكون الانسجام ، والاندماج في إكمال العملية السردية[٣]، فـ((إذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فان المكان يظهر على هذا الخط، ويصاحبه ويحتويه، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث))[٤]، وذلك يعود إلى الرابطة التي تجمع بينهما ، إذ إنَّ ((الزمان والمكان مرتبطان مع بعضهما البعض سواء على مستوى الأحداث أو الأفكار أو من خلال تحديد أنماط الشخصيات وسلوكياتها، فهما الوعاء الّذي يحتوي تشكّل المسار السردي على الصعيد الخارجي المنعكس حتما على المحتوى الداخلي))[٥]، وهذا يعطي بعداً دلالياً للتفضية ، والتزمين عبر المكون الخطابي، وأثره في نشأة العلاقة القائمة بين ملفوظات الخطاب، والإدراك الذي يحسب لكل عنصر منهما في إكساب الأحداث بعدها الواقعي ؛ لأن((السيميائية السردية في إطار دراستها للخطاب ينصب جلّ اهتمامها على تتبع كيفية تولد المعاني ونموها عِبر انتقال المعاني من أصغر

---

(١) ينظر : البنية العاملية في رواية ظلمة يائيل للغربي عمران : ٢٢. (بحث)

(٢) ينظر : التحليل السيميائي للخطاب الروائي ، عبد المجيد نوسي : ١٩٤.

(٣) ينظر : بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) ، حسن بحراوي : ٢٦.

(٤) بناء الرواية – دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ– ، سيزا قاسم : ١٠٦ .

(٥) ينظر : سيميائية التفضيء والتزمين في رواية " أصابع لوليتا " لواسيني الأعرج" ، أمينة أونيس :٣٣٠ . (بحث)

مستويات الدلالة إلى أكبرها مع مراعاة العلاقات التي تجمع بين عناصر الدلالة ووحدتها))[١]، والكشف عن المعنى المكون لهذه الدلالات يحتاج إلى عملية تفكيك لوحدات الخطاب ، ومن ثم إعادة بنائه على وفق ترتيب منظم عِبر العودة إلى((النواة الأولية الدلالية وعلاقتها بالبنية الأولية للمعنى حيث تصبح الدلالة الأصولية العميقة هي الماهية أو الجوهر الدلالي))[٢] ؛ لأنها تكشف العناصر الأولية التي ساعدت على تكوين النص ، وجعله في متوالية ، تضم متواليات أخرى ، فتعمل في سبيل ربط المعنى الظاهر الجلي بما هو ضمني خفي ضمن البنيات التركيبة ، وعملياتها الدلالية التي تضمر خلف البنيات العميقة ، وما تضم هذه البنيات من أوليات ، والحديث حول السيميائية السردية ضمن هذا الجزء من الدراسة سوف نركزه على عنصري التزمين والتفضية ؛ لأنهما من العناصر السردية التي تُسهم في بناء النص ، وتكوين معانيه ، فضلاً عن توافره في أدعية الصحيفة السجادية الكاملة بصورة واضحة ؛ لذا سوف نعتمد على التقسيم الآتي:

١ ـ التزمين:

يتسم عنصر الزمن بالضبابية ، والتعتيم ؛ لأنه يمثل خط وهمي لا يتمكن القارئ من الإمساك به[٣]، ((فهو مظهر نفسي لا مادي، ومجرد لا محسوس؛ ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر، لا من خلال

(١) منطق السرد – دراسات في القصة الجزائرية الحديثة – ، عبد المجيد بورايو: ١٥.

(٢) مدخل إلى نظرية القص – تحليلاً وتطبيقاً – ، سمير المرزوقي ، جميل شاكر : ١١٨.

(٣) ينظر : في نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض : ١٧٣.

مظهره في حد ذاته))[1]، وهو من المفاهيم التي يصعب الوقوف معها على تعريفٍ جامعٍ مانعٍ ؛ لذا فـ((إن مقولة الزمن متعددة المجالات، ويعطيها كل مجال دلالة خاصة، ويتناولها بأدواتها التي يصوغها في حقله الفكري والنظري))[2]، ويفصلها عبر استخراج تلك المقولات المندرجة تحته، ولهذا فـ((أن كل عمل سردي له معطيات معينة يكون قوامها الفواعل والأفعال أي الأحداث والشخصيات ، لكن لابد من وجود إطار زمني تتم فيه الأحداث ، ومكان يصلح للحركة ، ويعد الزمن ضروري جداً لأفعال الشخصيات بموضوعاتها فعندما نربط هذه الأفعال مع شخصيات معينة في زمن معين فأننا نثبت لحظة وقوع الفعل ، وتخضع هذه اللحظة بآلية زمنية تتحكم بها وتؤطرها ، ولابد لها من حتمية منطقية))[3] ، والتلاعب الذي يحصل على مجمل الأحداث السردية في الخطاب من تقديم ، وتأخير، يعمل على ولادة المفارقة الزمنية التي تتصل في ((علاقتها بلحظة الحاضر، وهي اللحظة التي يتم فيها اعتراض السرد التتابعي الزمني(الكرونولوجي) لسلسلة من الأحداث لإتاحة الفرصة لتقديم الأحداث السابقة عليها ، ويمكن للمفارقة الزمنية أن تكون استرجاعا أو استباقا))[4]، وفي هذه الحالة فإن هذه التقنيات تتعلق بالغيب ، الذي يراد به إدراك حقيقة الأشياء الغائبة فـ ((هُوَ كُلُّ مَا غَابَ عَنِ الْعُيُونِ، سَوَاءٌ كَانَ مُحَصَّلًا فِي الْقُلُوبِ، أَوْ غَيْرَ مُحَصَّلٍ))[5]، وهذا الغيب محصور بالذات الإلهية ، فلا يعرف مستقلاً عن الخالق ، ويتعلق بالأزمنة ، ففي الزمن الماضي كما في قوله تعالى: ﴿

---

(١) م ، ن : ١٧٤.

(٢) تحليل الخطاب الروائي – السرد– الزمن – التبئير – ، سعيد يقطين : ٧.

(٣) السيمياء السردية وتجلياتها في النقد العربي المعاصر – نظرية غريماس نموذجا – ، قادة عفاف :١٧٢. (أطروحة دكتوراه) .

(٤) قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة : السيد إمام : ١٥.

(٥) لسان العرب : ١/ ٦٥٤ مادة (غيب).

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[1]، وفي الحاضر متجلياً في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2]، و في المستقبل كما في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[3]، وهذا العلم يتفضّل به الله على بعض عباده ، فيمنحهم علم الغيب لا سيما الأنبياء ، ومنهم نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فهم ورثة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد أكدت الروايات ما يثبت أنعام الله عليهم بهذا العلم ، من ذلك الرواية التي جاءت عن الإمام الرضا (عليه السلام) في جواب عمرو بن هذّاب[4] ، عندما تحاور مع الإمام ، ونفى عنه علم الغيب ، وهذا جزء من الحوار: ((إن أنا أخبرتك أنك ستبتلى في هذه الأيام بدم ذي رحم لك كنت مصدقا لي قال: لا، فان الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال عليه السلام: أو ليس الله يقول: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ فرسول الله عند الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة))[5]، فالغيب متعلق بالذات الإلهية ، يهبه

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٤.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣ .

(٣) سورة سبأ ، الآية : ١٤.

(٤) عمرو بن هذاب : وهو من الشخصيات الناصبية التي كانت تنحو نحو الزيدية والمعتزلة ، ينظر: الخرائج والجرائح ، قطب الدين أبو حسين سعيد بن عبد اله الراوندي(٥٧٣هـ) ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (ع) بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي: ١/ ٣٤٣ ، وينظر: الثاقب في المناقب ، ابن حمزة عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي (ت ٥٦٠هـ) ، تحقيق: نبيل رضا علوان : ١٥٧.

(٥) م ، ن ، بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي : ٧٥/٤٩.

الله من يشاء من عباده – الذين يرتضي لهم الحكمة والعلم – ، والإمام يعلم الغيب بتعليم من الله (عز وجل) ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والزمن عنصر مهم في تنظيم الأحداث ، وترتيب الأفعال ، والتلاعب في ترتيب هذه الأحداث زمنياً يولد شكلين في إطار الزمن هما: تقنية الاسترجاع ، وتقنية الاستباق اللتان سنتحدث عنهما في الآتي:

أ ـ الاسترجاعات السردية

وهو من التقنيات الزمنية ، أو زمن ما قبل ، فـ((كل استرجاع يشكل بالقياس إلى الحكاية التي يندرج فيها– التي يضاف إليها – حكاية ثانية زمنيا تابعة للأولى في ذلك النوع من التركيب السردي))[١]، بالعودة إلى الماضي والتركيز عليه ؛ للدور والأهمية التي تكمن فيه ، لذا فهو ((يضيء جوانب الحاضر، ويكشف الطريق، ويبصر بالخطر بما يمكن أن يكون علاجاً لقضايا نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية))[٢] ، وهو على عكس السوابق ((تقنية سردية عمادها الاستذكار RETRASPEATION . فيترك الراوي الزمن الذي وصلت إليه الأحداث ليعود إلى الماضي القريب أو البعيد لاستحضار أحداث فائتة أو إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية أو سد ثغرة حصلت في النص القصصي، أي استدراك متأخر لإسقاط سابق مؤقت))[٣]، وهذا لا يؤثر على بناء الأحداث ، إنما يعمل على إعطاء الخطاب قيمة فنية ، وجمالية ، فضلاً عن القيمة المعنوية التي يحققها في

(١) خطاب الحكاية– بحث في المنهج – ، جيرار جينيت ، ترجمة : محمد المعتصم :٦٠.

(٢) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال: ٤٩٣.

(٣) حركة السرد الروائي ومناخاته في استرتجيات التشكيل ، كمال الرياحي : ١١١ .

نفس المتلقي ، والتزمين عبر تقنية الاسترجاع في الصحيفة السجادية ورد مرتبطاً بالأوقات التي تتصل بالأيام والليل والنهار ، والمناسبات الدينية كدخول شهر رمضان ووداعه ، ويوم عرفة ، وعيدي الفطر والأضحى المبارك، وكذلك عن ملكة الحمية التي وجدت في عصر ما قبل الإسلام والتي تحدثنا عنها في موضع آخر، وقضية النشأة والخلق كانت من ضمن تلك المُدد الزمنية التي أخذت مساحة ضمن الأدعية ، من ذلك ما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام) الآتي: ((**اللهُمَّ وَأنتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِيناً مِنْ صُلب، مُتَضَائِقِ الْعِظَامِ حَرِجِ الْمَسَالِكِ إلَى رَحِم ضَيِّقَة سَتَرْتَهَا بِالْحُجُبِ تُصَرِّفُنِي حَالاً عَنْ حَال حَتَّى انْتَهَيْتَ بِيْ إلَى تَمَامِ الصُّورَةِ وَأَثْبَتَّ فِيَّ الْجَوَارِحَ كَمَا نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَاماً ثُمَّ كَسَوْتَ الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقَاً آخَرَ كَمَا شِئْتَ، حَتَّى إذَا احْتَجْتُ إلَى رِزْقِكَ، وَلَمْ أَسْتَغْنِ عَنْ غِيَاثِ فَضْلِكَ جَعَلْتَ لِي قُوتاً مِنْ فَضْلِ طَعَام وَشَرَاب أَجْرَيْتَهُ لِامَتِكَ الَّتِيْ أَسْكَنْتَنِي جَوْفَهَا وَ أَوْدَعْتَنِي قَرَارَ رَحِمِهَا...**))[1].

تندرج تلك العاطفة المتجلية في كلام الإمام السجاد (عليه السلام) ضمن عاطفة الرحمة ، التي تتغلف بزمن النشأة ، وتكوين العبد من أول لحظة، وصولاً لتكامله بصورته النهائية ، التي تشير إلى أمور مخفية ، وغير ظاهرة للعيان لولا الآيات القرآنية التي أشارت إلى عملية الخلق بالتفصيل الدقيق ، وهذا الخلق دليل على عظمة البارئ (عز وجل) ، وإعجازه في عملية الخلق ، في مراحل زمنية يمرّ بها تكّون الجنين، وهذا يسمى زمن ما قبل ، أي قبل الوصول إلى إنسان متكامل ، فالعودة عبر سلسلة الأحداث إلى الخلف في سبيل الحصول على تلك اللحظات الأولى لنشأة الخلق ، حصل عبر تقنية الاسترجاع الزمني ، فـ ((بقدر ما يكون الموضوع مخصوصاً يكون ابعث على الانفعال ونصل إلى هذه الخصوصية بواسطة

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٤٦-١٤٧.

ذكر الدقائق والرقائق تلك))[١] ، التي تساعد منشئ النص على إثبات أحداث واقعية بقدر ما هي حقيقية ، لا يستطيع السامع إنكارها أو تجاهلها ؛ لأن المرسل قد فصل في جزئيات خطابه ، فـ((كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر، والفقر إلى التأمل والتمهل أشد))[٢]، إذ ذكر الإمام (عليه السلام) المراحل الزمنية التي تمر بها نشأة الجنين في رحم الأُمّ ، وهذا الذكر بحاجة إلى التأمل ، والتوقف في آيات الخالق ، وقدرته ، وعجائبه ، فالحوار مع الذات الإلهية تجلى بصورة مباشرة عِبر أسلوب الدعاء ؛ لأنه هو الذي ينمي الحدث ، ويعمل على بلورته، فيبني الوقائع الصغيرة ، ويساعد في تكوينها، ويدخلها ضمن سياق الأحداث، لتتمازج معاً[٣]، فيا رب أنت أنزلتني من الماء ذليلاً حقيراً ، حتى انتهيت بي إلى صورتي الإنسانية المتكاملة برحمتك ، وعطفك ، وعفوك ، وحُسن صنيعك، الذي اتسع في الآفاق وامتد في الفضاء ، ولهذا فإن البنية الزمنية تعمل على سيرورة القراءة ، وتستدعي تقديم خطوة جديدة نحو المستقبل ، وفي الوقت نفسه تعمل على إثارة خلفية الماضي أو محتويات الذاكرة عبر البعد الزماني ، والبعد الفضائي في لحظاته ، ومراحله المتتالية لتلك العلاقات الدلالية[٤]، التي جمعت ما بين توثيقه لزمن عملية خلق الإنسان ، وفضاء احتوائه ، بأسلوب يستهوي المتلقي بفضل الخطاطة السردية المتحققة في كيفيات مختلفة من النص ، فعلى الرغم من تعدد الذوات السامعة إلاَّ أنها حققت نقطة واحدة مشتركة لكل الفئات بمختلف مستوياتها ، فتلك الدلالات ، والصور ما هي إلا برهان

---

(١) في نظرية الحجاج – دراسات وتطبيقات – ، د. عبد الله صولة : ٣٥ .

(٢) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر : ١٦١.

(٣) ينظر : البناء الفني لرواية الحرب العربية في العراق ،د. شجاع مسلم العاني : ٢١٠ .

(٤) ينظر : من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة – دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة – ، عبد الكريم شرفي : ٢١٠.

على العشق ، والارتباط بالذات الإلهية المتجلية في نفس الإمام (عليه السلام)، الساعي إلى بثها بين المتلقين بالعودة عبر الزمن إلى التكوين البديع في خلق البشرية ، وهذا يعني أن الدعاء قد ولد في سياق ثقافي اجتماعي لم يرتبط بزمانه فحسب إنما انفتح على بقية الأزمنة ، فامتداد الزمن الخطي فيه يرسم صورة يخوض فيها المتلقي داخل فضاء التأمل والتفكر في آيات الخالق ، وعظمته في نشأة الخلق، التي أشار إليها البارئ (عز وجل) في محكم كتابه بقوله الآتي: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1] ، وهذا قمة الإقرار بذلك التفضّل ، والرحمة ، والإنعام في تكوّن الإنسان ، ومروره بمراحل تشكّله المختلفة ، وصولاً إلى صورته النهائية الجوهرية.

ومن الاسترجاعات الأخرى التي وردت في أدعية الصحيفة ما جاء متعلقاً بعاطفة الرحمة مختصاً بعملية خلق الليل والنهار وتعاقبهما وذلك بقوله (عليه السلام): ((**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلٍّ وَاحِد مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُولِجُ كُلَّ وَاحِد مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِير مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِيمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ، فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيْهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ، وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحتِهِ وَمَنَامِهِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ جَمَاماً وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً. وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ، طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرَكُ الأجِلِ فِيْ أخْرَاهُمْ. بِكُلِّ ذلِكَ يُصْلِحُ شَأنَهُمْ، وَيَبْلُو**

(١) سورة المؤمنون : الآية : ١٢-١٣-١٤.

أَخْبَارَهُمْ وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَوْقَاتِ طَاعَتِهِ، وَمَنَازِلِ فُرُوضِهِ وَمَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى...))[1].

إن الركون إلى زمن حقيقي تجسد في تقنية الاسترجاع بالعودة إلى تلك الأحداث التي كونت عبر سيرها الخطي ظاهرة ((اختلاف الليل والنهار ، وما ينشأ من أيام وأسابيع وشهور وفصول وأعوام))[2] ، تمثلت في خلق البارئ لهذه الثنائية، التي تعمل على أحداث حالة من التوازن بين الليل والنهار من جهة ، ومن جهة أخرى هذه الحالة تفصح عن الموازنة في تدبر أمور الحياة الدنيا عِبر العمل ، والكد صباحاً ، والراحة ، والنوم ليلاً ، وهذا يفضي إلى جهة أوسع تتضمن ما يناله كل إنسان جزاء أعماله التي مارسها في الحياة الدنيا ، فالانتقال ما بين الأزمنة السردية لم يؤثر على التركيبة البنائية للنص ، إنما منح التداخل بين الأزمنة ماهية وجود الأحداث داخل النص ، فساعد ذلك في إنشاء عمل جمالي فني ، متكامل في جوانبه[3]، شكّل عاملاً مهماً ساعد الشخصية على إنجاز برنامجها السردي، فاسترجاع البنيات السيميائية التي شكّلت وحدات سردية في تتابع لتلك العملية ، وما يدور داخلها من عمل كلف به كل شخص ، فضلاً عما وفر له من نظام ينظم حياته وفقاً لما تضمنه ذلك النظام الإلهي، إنما يقودنا إلى تلمس عاطفة الرحمة المتغلغلة بين ثنايا الألفاظ ، كما أنها تمثل نعمة من النعم التي منَّ الله بها على عباده ، فلا ينسى تلك النعمة ، إنما يتذكرها دائماً فيشكر الله ، وينظر إلى تلك العظمة المتجلية في هذا الواقع الذي سمح فيه للإنسان بالعيش في ظله ، تبعاً لقوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٤٠-٤١.

(٢) البناء الفني لرواية الحرب العربية في العراق : ٦٨.

(٣) ينظر : الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة : ٨٥ .

فَضْـلًا مِـنْ رَبِّكُـمْ وَلِتَعْلَمُـوا عَـدَدَ السِّـنِينَ وَالْحِسَـابَ وَكُـلَّ شَـيْءٍ فَصَّـلْنَاهُ تَفْصِـيلًا﴾[1]، فالعودة إلى ذلك الخلق تم عبر تقنية الاسترجاع الذي كان مفتوحاً في زمانه ؛ لعدم تحديد زمن تلك العملية ، فضلاً عن الانتقال ما بين الحاضر الذي تضمن ولادة نص الدعاء ، وما فيه من شكر ، وفضل للخالق على هذه النعم، والممارسة الفعلية لما موجود من مضامين في الدعاء، وهي ممارسة حياتية، تجلت في تحديد ثيمة هذه التفضية عِبر العُدّة الكيفية التي تمثلت بمعلومات الإمام (عليه السلام)، فالكشف عن مهمة التفضية هي كشف عن الثابت الكيفيّ ، والهووي بإعطائه بعداً فضائياً يستحضر فيه الفاعلين، مراحل الحياة التي تعد طبيعة تركيبية داخل المحكي[2]، كما أننا نجد أن النص لم يتحدث عن زمن ما قبل تكونه فحسب ، إنما تضمن زمن ما بعد الذي تمثل بتقنية الاستباق متجلياً في قول الإمام (عليه السلام): ((**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**))، إذ مثّل الكلام هنا استباقاً لما سيحصل عليه العباد– في الآخرة – إذ سيحصدون جزاء أعمالهم في الحياة الدنيا.

ب ـ الاستباقات السردية

وهي من الإشارات التي يتم تقديمها في رواية الأحداث ، ممهداً فيها لما سيقع لاحقاً من أحداث ، وهو نقيض الاسترجاع إذ إنّ الاستباق يقفز فيه السرد إلى الأمام لتقديم متواليات حكائية تحل محل أخرى سابقة عليها في الترتيب الزمني للأحداث[3]، مؤدياً بتلك الأحداث دوراً أساسياً في قياس زمن القصة ، وفي بناء المستوى الزمني

(١) سورة الإسراء : الآية:١٢.

(٢) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٣٤٤.

(٣) ينظر : بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن ، الشخصية): ١٣٢.

للخطاب ، إذ يعمل على مشاكسة مسار الزمن بالكشف عن حدث في غير أوانه[١]، عِبر التحرك نحو أحداث استشرافية ، لم يحن زمنها وأعطاها أولوية ؛ لأهميتها وحجم تأثيرها في الواقع ، ويعد الخوف من المصير الذي سوف يؤول إليه العبد بعد الموت من الموضوعات التي طرحها الإمام السجاد (عليه السلام) ضمن أدعيته، فالتأكيد على تدوين أفضل الأعمال في سجل الحسنات ، والترغيب بأمن الموت كانت من البنيات السردية الاستباقية في دعاء الإمام الآتي :

((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَهَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِنَا كَرْبَ السِّيَاقِ، وَجَهْدَ الأَنِينِ، وَتَرَادُفَ الْحَشَارِجِ إِذَا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاق وَتَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوبِ، وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ، وَدَافَ لَهَا مِنْ ذُعَافِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ، وَدَنَا مِنَّا إِلَى الآخِرَةِ رَحِيلٌ وَانْطِلاَقٌ، وَصَارَتِ الأَعْمَالُ قَلاَئِدَ فِي الأَعْنَاقِ، وَكَانَتِ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَى إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلاَقِ...))[٢].

إن الاندماج في العواطف الإنسانية بات من المسلمات التي نجدها في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) ؛ لاكتناز النص واكتماله من نواحٍ متعددة ، إذ تغلف النص بعاطفة الحب – لكتاب الله (عز وجل)– الممزوجة بعاطفة الخوف من الحياة الأخرى ، لكن تغلغلت عاطفة الرحمة بين ألفاظ النص ، حتى غدت الكلمات استباقاً للحصول على أفضل الأعمال عبر تدوينها في سجل الحسنات ومحي السيئات ، وعدم كشفها وإظهارها ، فالتعامل مع الزمن من المسؤوليات التي تتجدّد ، وتولّد كل يوم مع ولادة أعمال العبد ، ونتيجة هذه الأعمال ، سواء أكانت صالحة تسمو في مدارج الكمال ، أم سيئة تهبط إلى أسفل سافلين إنما تتجه بنا نحو نتيجة استباقية يذكرها الإمام (عليه السلام) في زمنها الحاضر ، وما يؤول إليه المستقبل ، عِبر الالتزام بكتاب الله في الزمن الحاضر، والذي نحصد نتيجته في الزمن القادم ،

---

(١) بناء الرواية العربية السورية ، د. سمر روحي الفيصل : ١٦٩.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة : **١٧٥**.

عِبر تسهيل الموت الذي يدور حوله الموضوع ، فذكر التفصيلات الدقيقة التي يمرّ بها العبد عند حضور الموت ، ونزوع الروح ، والمشقة ، والجهد الذي يتتابع ، ويترادف عليه ، وتردد النفس، التي إذا وصلت لمرحلة الرقي أي: صعود روحه ، وأشرافها على الموت ، انكشف ملك الموت له وعاينه ، حتى شبه ذلك الموت بالسهم الذي ينطلق فيصيب العبد ، وتحصل وحشة فراق الدنيا ، بعدما تقلد كل إنسان أعماله في عنقه ، وفيه تلميح لقوله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾[1] حتى يستقر الجسد في مأواه الأخير ، وهذا هو السر الذي يسير نحوه جميع الخلق ، فاستباق الموت ، وكيفية التعامل مع هذا الاستباق عِبر التذكير بالمصير النهائي ، وأخذ العظة ، والعبرة لا تخص فرد واحد فحسب ، إنما هي رسالة موجهة للجميع ؛ لأن هذا النوع من الموضوعات فيه أعمار لحياة العبد ، والسير نحو الصلاح ، وفعل الخير؛ لأنه يمثل ((حالة التنبؤ فتوقع حدوث أمر ما أو الإصرار على فعل شيء معين لاحق لم يحدث بعد، هو ما يشكل بمجموعه استباقا، بمعنى أن الحدث الذي تم التطرق إليه وذكره في لحظة السرد هو حدث آتٍ لم يحدث بعد، وذكره إنما يأتي من باب الإشارة إليه وتوقع حدوثه))[2]، وبالنتيجة يعمل الدعاء عبر تقنية الاستباق على تهيئة الحالة النفسية للمتلقي ، وإعطائه صورة متكاملة عن الأحداث المستقبلية التي سوف تقع له ، ولغيره من الناس ، بالاعتماد على معطيات الواقع الذي يعيشه.

ومن الاستباقات التي جاءت في أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) ما دار حول المكوث في دار الفناء : ((**اللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ وَتَغَمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي**

---

(١) سورة الإسراء : الآية :١٣.

(٢) المغامرة السردية وجماليات التشكيل القصصي (رؤية فنية في مدونة فرج ياسين القصصية)، سوسن هادي جعفر: ١٣٠.

دَارِ الْفَنَاءِ بِحَضرَةِ الإِكْفَاءِ فَأَجِرْنِي مِنْ فَضِيحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الإِشْهَادِ مِنَ المَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالرُّسُلِ الْمُكَرَّمِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، مِنْ جَار كُنْتُ أُكَاتِمُهُ سَيِّئَاتِي وَمِنْ ذِي رَحِم كُنْتُ أَحْتَشِمُ مِنْهُ فِي سَرِيرَاتِي، لَمْ أَثِقْ بِهِمْ رَبِّ فِي السِّتْرِ عَلَيَّ، وَوَثِقْتُ بِكَ رَبِّ فِي الْمَغفِرَةِ لِيْ، وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ وُثِقَ بِهِ وَأَعْطَف مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ وَأَرْأَفُ مَنِ اسْتُرْحِمَ فَارْحَمْنِي...))[1].

إن بناء قاعدة تستند عليها العملية الدلالية يحتاج إلى إستراتيجية خطابية يوفرها السياق الذي تجري فيه ، والنص هنا يجري في سياق زمني يجمع ما بين الزمن الحاضر ، وزمن المستقبل (زمن الاستباق)، الذي يظهر عِبر الألفاظ الواردة في خطاب الإمام (عليه السلام)، في المقارنة المنعقدة ما بين دار البقاء (الدنيا)، ودار الفناء (الآخرة) المنضوي تحت عاطفة الرحمة ، والعفو ، انطلاقاً من الستر الإلهي الممتد على الخط الزمني وصولاً إلى الستر الإلهي في الآخرة، ففي زمنه الحاضر ستر عليه ، وشمله بلطفه ، وعطفه ، فلم يفضحه بالذنوب التي أرتكبها في الدنيا ، فيا رب لا تظهرها يوم الآخرة بحضرة الملائكة ، فالاندماج في الانتقال ما بين الحاضر ، والمستقبل ولّد مفارقة استباقية لتلك الأحداث التي سوف تقع في زمنها ، بما فيها من أعمال ، وشخصيات ، جاءت بمثابة المُشاهد الذي لا يمتلك أي معلومة عن الشخص الذي أمامه ، والفضل في ذلك يعود للخالق وحده الذي ستر على عبده ، فالخطاب المباشر الأسلوب صرح به الباث من دون أن يقصد به نفسه إنما هو رسالة موجهة للخلق في زمانه ، وما تلته من أزمنة ، فمع أن العبد كان يكتم ، ويخفي ما عنده عن الآخر سواء أكان جارا له ، أو من ذوي الأرحام ؛ لأنه لا يثق بهم ، إنما وضع الثقة عند من يمتلك المغفرة ؛ لأنه وثق بالمغفرة الموجودة عنده ، وأنت يا رب أولى من وثقت بك، فإن الله تعالى محل الثقة حقيقةً

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٤٤ ، وينظر : ١٧٢.

بخلاف من سواه، وهذه الصلة والارتباط ما بين الذات والموضوع نابع من علاقة الاتصال التي تجمع بين الثنائية ، إذ تطلبت هذه العلاقة تطوراً على مستوى الأحداث ، والشخصيات المشاركة في أنتاج النص ، عبر محطاتها الزمنية المتمثلة بالحاضر والمستقبل ، وزمن الخطاب ، في سبيل تشكيل برنامج سردي ، لا يقوم على متوالية سردية واحدة تخص مقطع واحد فحسب، إنما متواليات عدة ، تتداخل ، وتنسجم مع بعضها ؛ لتغذي الزمن حدثيّاً ، ومكانياً[١]، فالمتوالية الأولى جاءت تخص دار الدنيا ، وما يدور فيها من أعمال مخفية غير ظاهرة للآخرين ، ثم متوالية دار الآخرة ، وما فيها أيضاً من أحداث ، وشخصيات ، وما انضوى داخل هذه المتواليات الكبرى من متواليات صغرى.

٢ ـ التفضية (التفضيء)

يعد الفضاء من الأنظمة الدالة التي يمكن تفكيكهما عبر الأحداث ، وتعالقها بين محوري الشكل ، والمضمون ، بالنظر إليه ككل مركب[٢]؛ لأنه بمثابة ((وعاء يستوعب عملية القلب فضائيا ، فإذا كان الزمن عنصرا أساسيا في الحديث عن مقطعية توزيعية تسمح بإمكانية التفكيك ، فإنّ الفضاء هو الإطار الذي يرسم حدود الأحداث داخل الزمان))[٣]، فالتوافق النفسي الذي ينشأ بينهما وإن كان بطيئاً بين فعل الأشياء ، والأزمان يكون عكسياً بين فعل المكان في الزمان ورد فعل الزمان في المكان[٤]، وبالنتيجة يجعل التلازم ، والترابط بينهما واضحاً جلياً ؛ ولأن ((الفصل

(١) ينظر : سيميائية التفضيء والتزمين في رواية " أصابع لوليتا " لواسيني الأعرج" : ٣٣١.

(٢) ينظر : معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر : ١٢٣.

(٣) شخصيات النص السردي – البناء الثقافي– ، سعيد بنكراد : ٧٥ . (بحث)

(٤) ينظر : جدلية الزمن ، غاستون باشلار ، ترجمة خليل أحمد خليل : ٨.

بين المكان والزمان قد صار وهماً لا أساس له ، وإن اندماجهما على نحوٍ ما هو وحده الذي يتسم بسيماء الحقيقة))[1]، ومع هذا الارتباط المتين بينهما ، إلاَّ أن هناك حداً فاصلاً لكل عنصر سردي؛ بوصف الكيان الذي يقوم عليه كلٌ منهما فإذا كان عنصر المكان يعبر عن ارتباط الأشياء المادية بعضها بالآخر في تجاوزٍ أو تجاورٍ ، فإن عنصر الزمان يعبر عن حركة التاريخ في سيرها أو يعبر عن تتابع الأشياء وتناولها ، وجدليتها المادية في تناقلها عبر مددها الزمنية[2] ، فضلاً عن العلاقة التي تجمع كل عنصر منهما مع العناصر السردية الأخرى على اعتبار العلاقة الرابطة بينهم.

ويمثل الفضاء بكيانه: ((عالم شاسع منظم تجتمع فيه القوانين وتنتظم فيه الكائنات والأشياء بقدر ما يتعامل الإنسان مع الزمن، حيث لا يكون تفاعل الإنسان مع الزمن وفق هذا النظام إلا من خلال الفضاء الذي تنظم فيه الموجودات))[3]؛ ولذا نجد اهتمام غريماس بهذا المصطلح عِبر ((تحديده المفهوم السيميائي للفضاء ويشير إلى أن مصطلح الفضاء مستعمل في الدلائلية بمفاهيم متباينة انطلاقاً من الامتداد، المعبر كاتساع مملوء، ممتلئ، دون حد للاسترسال – إن بناء الموضوع– الفضاء يمكن فحصه من وجهة نظر هندسية، (بإخلاء أي كلية أخرى)، من وجهة نظر نفسية فيزيولوجية (كظهور متصاعد كخصائص مكانية انطلاقاً من الخلط الأول) ، أو من وجهة نظر اجتماعية (كمنظوم ثقافي مثل الفضاء المعمر) ، وإذا أضفنا الاستعمالات جميعاً لهذه الكلمة نلحظ استعمال مصطلح الفضاء يتطلب حذراً

(١) الزمان الوجودي ، عبد الرحمن بدوي : ١٣٥ .

(٢) ينظر : بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن ، الشخصية) : ٢٩.

(٣) إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر ، نصيرة زوزو :٣ . (بحث)

شديداً من طرف الدلائليين))[١] ، وهذا يعود إلى الطبيعة الموجودة في النص ؛ لأنه ((ليس نظاما لغويا، كما يزعم البنيويون ، أو كما يرغب الشكلانيون الروس ، إنما عدسة مقعرة لمعان ودلالات متغايرة ومتباينة في إطار أنظمة اجتماعية ودينية وسياسية دائمة))[٢] ، وعلى هذا الأساس لا يلتزم المكان دلالة محددة ، إنما تتعدد هذه الدلالات تبعاً للموضوع الذي يشغله، وهنا ارتأت الباحثة أن تقسم المكان على مفتوح ، ومغلق ، بحسب نوع المكان الوارد في أدعية الصحيفة السجادية ، وتأثيره في الحالة النفسية ، وربطه بدلالات المكان المفتوح ، والمكان المغلق ، وكذلك بحسب الكشف عن دلالة الفضاء القائمة على تقاطبات مكانية ، وثنائيات ضدية تجمع بين ألفة ، وكراهية ، وخوف ، وأمن.

أ ـ المكان المفتوح

وهو النوع الذي لا تحدّه الحدود ، إنما يمثل فضاءً مفتوحاً ، تتمتع فيه الشخصيات بحرية أوسع من المكان المغلق، لذا فهو((يوحي بالحرية والانفتاح، لا تحده حدود، ويمنح القدرة على الحركة والانتقال))[٣]، ولهذا قد يتبادر إلى الذهن أن دلالة هذا المكان عادة ما توحي إلى: (الأمان، الاطمئنان ، الألفة)، في حين يوحي المكان المغلق بإشارات: (الخوف ، الحزن ، القلق) وهذا غير صحيح ، فالاتساع لا يدل على حيز المكان الواسع المفتوح فحسب ، إنما يعتمد على ترك الذات في مغامرة التساؤل عن مصيرها المجهول [٤]، كذلك يتكئ على استقرار

---

(١) الفضاء في مملكتي الروح والرماد، محمد المتقن: ١١ . (بحث)

(٢) حوار مع جوليا كرستيفا ، فؤاد منصور : ١٢٢ . (بحث)

(٣) السرد عند الجاحظ – البخلاء نموذجاً – ، فادية مروان احمد الونسة : ١١٧. (رسالة ماجستير)

(٤) ينظر : سيمياء المكان في شعر محمود درويش ، د.حسن غانم الجنابي : ١٧٦.

الشخصية ، ومحبتها للمكان بغض النظر عن نوعه ، وقد جاء المكان المفتوح في الصحيفة السجادية مكاناً طبيعياً متعلقاً بالأرض ، والسماء والأنهار ، ومن تلك النماذج المكان الواقعي المفتوح ما بين فضاء السماء ، والأرض المتسع بسعة عاطفة الرحمة الإلهية في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) عند الصباح ، والمساء :

((اللَهُمَّ إنِّي اشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيداً وَأُشْهِدُ سَمَاءكَ وَأَرْضَكَ وَمَنْ أَسْكَنْتَهُما مِنْ مَلائِكَتِكَ وَسَائِرِ خَلْقِكَ فِي يَوْمِي هَذَا، وَسَاعَتِي هَذِهِ، وَلَيْلَتِي هَذِهِ، وَمُسْتَقَرِّي هَذَا، أنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أنْتَ اللهُ الِذَّي لاَ إلهَ إلاّ أَنْتَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْم، رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، مَالِكُ المُلْكِ رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسَالَتَكَ فَأَدَّاهَا وَأَمَرْتَهُ بالنُّصْحِ لِامَّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا...))[1].

انضوت القيمة المكانية للسلّم العاطفي في دعاء الإمام (عليه السلام) على معانٍ ودلالات حركية جعلت القيمة الدلالية لهذا المكان نابعةً من عاطفة الرحمة الإلهية ، إذ تكشف عملية(الشهادة) اللفظية عن تلك الرؤية الإيجابية المنطلقة من أعلى السلم ، فالله شهيد صادق لا يضل ، ولا ينسى ، وهذه العملية تشارك فيها عناصر سردية متعددة هي: عنصرا الزمان والمكان ، أو عنصر الشخصيات وصنف الملائكة ، أو الجن والحيوانات والنباتات ، حيث جعل السماء ، والأرض من المشخصات التي تؤخذ بوصفها دليلاً على تثبيت تلك الشهادة موضع الشاهد ، فإن السماء ، والأرض كما يظهر من الآيات تعقل ، وتدرك – وإن كنا لا ندرك الكيفية – وتمتثل لأوامر الله جل علاه كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ**

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ٤٤ – ٤٥ ، وينظر : ٧٥-٧٦.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**[2] ، فالانطلاق من الكل الممتد في طوله ، وعرضه ، وارتفاعه ، وانخفاضه ، إلى الجزء الموجود في ذلك الكل بما يحتوي من مخلوقات، حتى بات ذلك المكان قاعدة ، انطلق في ضوئها النص بمفهومه السيميولوجي ، وبانفتاحه الفضائي ، فغدا سلسلة متناهية من الانبثاقات الدلالية والانفعالات النفسية التي مكنته من تأكيد حضوره عبر الزمان ، والمكان ، الأمر الذي دفع به نحو تحقيق وجوده الكينوني[3]، وفضلاً عما ضم المكان من شعور يشير إلى الألفة ، والأمان ، فإن الزمان أخذ دوره أيضاً متمثلاً في الجمل الآتية : (في يومي هذا ، وساعتي هذه ، وليلتي هذه) ثم عاد فجمع ذلك الزمان بـ (مستقري هذا) أي : مكاني الذي أنا فيه ، فتشتغل الرؤية المكانية في انفتاح واحتواء تشكيل الصورة التي ترتسم في جو الشهادة لله عز وجل ، ليعود الخطاب متجلياً بعاطفة الرحمة ، والرأفة ، وتحقيق العدل ، وإنهاء الظلم ، كل هذا لأجل عباده الذين يغمرهم برحمته ، ولطفه الواسع ، ليختم تلك الصورة العبادية برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واختياره من دون الخلق ، لحمل الرسالة التي بيّنها للناس، وعمل بما فيها.

ومن الأماكن الواقعية الطبيعية المفتوحة الأنهار، والجبال، والآبار، التي جاءت ضمناً في دعاء الإمام (عليه السلام) حول الغيث ، وما يخرج من نعمٍ نتيجة نزوله :((**اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقْياً تُسِيلُ مِنْهُ الظِّرابَ، وَتَمْلا مِنْهُ الْجِبَابَ، وَتُفَجِّرُ بِهِ الأَنْهَارَ،**

---

(١) سورة فصلت : الآية: ٣٩ ، وينظر : سورة الحج : الآية : ١٨، سورة الإسراء: الآية:٤٤، سورة مريم : الآية ٩٣، سورة النور: الآية: ٤١، سورة الحشر : ٢١.

(٢) سورة الحشر : الآية :١١.

(٣) ينظر : دلالة الأشياء في الشعر العربي – عبد الله البردوني نموذجا ، ملاس مختار : ١٣.

وَتُنْبِتُ بِهِ الأَشْجَارَ وَتُرْخِصُ بِهِ الأَسْعَارَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ، وَتَنْعَشُ بِهِ البَهَائِمَ وَالْخَلْقَ، وَتُكْمِلُ لَنَا بِهِ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَتُنْبِتُ لَنَا بِهِ الزَّرْعَ، وَتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ، وَتَزِيدُنَا بِهِ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِنَا...))[1].

تشترك البنيات اللغوية والبلاغية التي تستهوي المتلقي في تشكيل فضاء مكانيّ، مكّون سلسلة من الدوال التي وظّفت داخل النص، والدوال هي (اسقنا ، سقياً ، تسيل ، تملأ ، تفجر ، تنبت ، تنعش ، تدرّ) فتعمل على سياق تكوينيّ حركي تدبُّ فيه الحياة ، فبناء النص نتج عن دقة اختيار الألفاظ المناسبة مع كل من الدال والمدلول ، فمفردة تسيل في مقابلها تلك الجبال الصغيرة المنبسطة التي يجري منها الماء بعد سقوط الغيث ، وهذا المكان الأول الذي كان يمثل النزول والهبوط من أعلى ، كأنما تجلت فيه صورة نزول تلك الرحمة الإلهية التي تجري على أهل الأرض، ثم تتدرج تلك العاطفة لتكمل طريقها في ملء الآبار بالمياه ، والآبار نوع من أنواع الأماكن الواقعية والتي توفر المياه للناس في أوقات الحاجة ، وتنتج التأويلات التي تخصصها في ذلك الانفجار الذي يحدث في مكان الأنهار ، فالصياغة المتعددة للمكان قد وسّعت وعمّقت من الدلالة الجمالية المرتبطة بالتنّقلات المكانية ما بين جبل ، وبئر، ونهر، وما يخرج جراء ذلك النزول من نعم أخرى منها تثبيت النبات بالأرض عبر إنباته ، فاكتناز النص بالأماكن أخذ بعداً آخر تمثل بكل ما يتصل اتصالا مركزيا بالحياة ، فالألفاظ لم تقتصر على جانب مكاني فحسب ، إنما نجد تعدداً لمظاهر الحياة المختلفة، يتصل الأول منها بالجانب الاقتصادي ، وتحديداً بالأسعار التي ترخص مقابل الغلاء، وهذه نتيجة من نتائج نزول الرحمة الإلهية ، ويتصل الجانب الثاني بالرقعة الجغرافية في جميع الأمصار ولا يتحدد بمكان واحد ، في حين نجد الجانب الثالث يتصل بالخلق فيتقوى ويترفع ، والبهائم

(١) الصحيفة السجادية الكاملة :٨٣- ٨٤.

التي تتغذى وتجري الضرع ، فضلاً عن طيبات الرزق من المأكل ، والمشرب وما أشبه ، فتكون نتيجتها قوة في الأبدان ، والأموال وما إليها، فتشتغل الآليات المتعددة على التّنوع والتكثيف في آن واحد مع المحافظة على وحدة الحضور الموضوعي والتي تبئّر المكان وتجعله علامة وركيزة أثرت دلالياً ، وولدت تأثيراً مستمراً في خطوط مبنية كشحنة كثيفة لهذه العلامة بكلّ حساسية تلاقت مع مستويات النص المتنوعة، فعالجت عناوين مجتمعة برابط واحد.

ب ـ المكان المغلق

وهو المكان الذي ترتسم حدوده الجغرافية ، فتحده حدوداً معينة ، ويمثل مكان العيش الذي يأوي إليه الإنسان ، ويبقى فيه بإرادته ، أو بغير إرادته ، وفيه من الدلالات ما تشير إلى الأمان ، والاطمئنان ، والألفة ، والمحبة ، وقد يكون العكس مأوى للخوف ، والكره ، والعزلة [١]؛ لأنه ينقل صورة عن الضجر ، وعدم القدرة على القيام بالفعل ، أو الاندماج مع العالم الخارجي[٢]، ولكن ليس بالضرورة أن يعبر المكان المغلق عن الضيق ، وعدم الفسحة ، ويحتوي الخوف ، والقلق ، إنما العكس صحيح ، وهذا ما وجدناه متجلياً في أدعية الصحيفة السجادية ، إذ جاء المكان مغلقاً من حيث تقسيمه ضمن الأماكن المغلقة ، لكنه مغلف بالأمن ، والتحصين ، ومن ذلك ما جاء في دعاء أهل الثغور : ((**اللَّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مِحَالَّ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، وَحَصِّنْ**

(١) ينظر : صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، جودي هنية : ١٧٨. (أطروحة دكتوراه)

(٢) ينظر : بناء الرواية– دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ :٧٧.

بِهِ دِيَارَهُمْ، وَتُمِرّ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ، حَتَّى لا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ وَلاَ تُعَفَّرَ لِاحَد مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ...))[1].

تشكل الرؤية المعرفية العميقة ، والثرية في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) علامة لرفد العمق الدلاليّ تساعد في بيان السياق المكاني بوصفه قاعدة ، ترتسم عِبر ما تفرضه على المكان من احتمالات ، ودلالات ، بوصفها تعبيراً تأخذ من المقاطع خصوصية مكانية توضح فيها التجربة في مسار جديد يؤثّر في القارئ ، بأخذ ما عند المقابل ، ووهبه للطرف الآخر ، فالدعاء ينطلق من وهب القوة الكامنة عند الكفار لأهل الإسلام ، وبالنتيجة تزداد قوتهم ، وشدتهم ، وهذا ينسحب إلى الديار التي يسكنها المسلمون ، بجعلها آمنة ، ومحصنة من كل الأخطار ، لأن ضعف الأعداء يوجب قوة المسلمين ، فتوفر الأمن ، والأمان في المكان يعطي مجالاً في رسم الدوال ، وتسميتها عاطفيّاً ودلاليّاً، وذلك لإفادتها من إمكانات التمثيل الذي اتبعه الباث عبر بيان الصفة الدلالية المكانية، وما تنضوي عليه هذه الدوال من تأويلات تساعد على بث حساسية شعورية مدهشة عِبر رسم التّشكيل الصّوري ، وما ينتج عنه من انعكاسات تصب في النفسية والرؤية ، متمثلة بفسح المجال في استثمار الأموال ، ورواج التجارة ، وكبت الأعداء حتى يفرغ المسلمون عن محاربتهم، فيكون للمسلمين الوقت الكافي للطاعة ، والعبادة ، وتكون محاربتهم (للخلوة بك) في حال العبادة آناء الليل ، وأطراف النهار ، فتشتمل العبادة على الكل فلا تبقى قطعة من الأرض يعبد فيها غيرك كالأصنام وغيرها، ويكون كل تعفير وسجود على الأرض لأجلك لا لسواك ، فالعمل على أسلوب الانتقاء في عبارة مركزة ، موجزة تحمل في طياتها بعض المشاهد الموحية الدالة على الامتلاء الدلالي، على

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٢٢.

وفق معاييرَ ، واستتراتيجيات الخطاب ، أسهم في شحن الموضوع بالانفعالات[١] ، التي تشارك في تكوين العلاقة بين الإنسان والمكان ، وهذا لا يترتب على المكان فحسب ، إنما ما جرى من أحداث جرت في ذلك المكان أيضاً ، فالتأمل في سياق النص يؤدي إلى طبيعة الطاعة لله عز وجل والتي تعكس بين طيّاتها مدى العلاقة الرابطة والقريبة لصاحب النص مع الذات الإلهية من جهة ، ومن جهة أخرى تشير إلى حجم المهمة التي تقع على عاتق الإمام (عليه السلام) ؛ لأنه إمام زمانه.

وقد يأتي المكان المغلق آمناً على عكس ما معروف عنه من خوف ، وقلق من ذلك ما جاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الآتي: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَبَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ البِلَى وَطُولِ الْمُقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرى، وَاجْعَلِ القبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا، وَافْسَحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضِيقِ مَلاَحِدِنَا، وَلا تَفْضَحْنَا فِي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ آثامِنَا، وَارْحَمْ بِالْقُرْانِ فِيْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا، وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَا زَلَلَ أَقْدَامِنَا، وَنَوِّرْ بِهِ قَبْلَ الْبَعْثِ سُدَفَ قُبُورنا...**))[٢] .

تُنتج التأويلات في خطاب الإمام (عليه السلام) عبر تأملات الحالة التي خصّصها للمكان (القبر) ، فتشتغل هذه الرؤية في فضاء المكان على آلية الانفتاح التي جعلت من المكان المغلق مكاناً مباركاً – على الرغم من وجود الصفة المعروفة عنه بالظلمة والعتمة – ، فيشير إلى ثبات الخير والأمن ، والتقابل عِبر عنصر المكان بين الزمن الماضي الزاخر بأعمال العبد ، وبين الحاضر الأمن المغلف

(١) ينظر : بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن ، الشخصية) : ٦٠ ، وينظر: شعرية الخطاب السردي ، محمد عزام : ٧٣

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٧٥-١٧٦.

بـالخير والبركـة ، والرحمـة الإلهيـة ، وبـين المسـتقبل الغائـب عـن الحضـور بسـتره وإخفائـه من قبل الخـالق ، إذ شكَّل ذلك بؤرة الرؤيـة الدلاليـة فـي هذا النص ؛ لأنـه مركـز الحـدث ، ومحـوره ، كمـا أنـه يمـنح الشخصـية هويتهـا، فضـلاً عـن إيصـاله الإحساس بمغزى الحياة[١]، وعندما يكون المكان مأنس النفس وراحتها ، فبالتأكيد تفضل الإقامة والبقاء فيه ، وهذا تجلى في مكان القبر ، مع ما فيه من طبقات توضع على الإنسان ، وما متداول عنه من رهبة وخوف وقلق ، إلاَّ أنه مثّل مكان الراحة ، والاستقرار إلى يوم غير معلوم ؛ لذا فإن الإمام (عليه السلام) يخفف من وطأة ذلك الخوف ، والرهبة من المجهول ، ليتقبلها المتلقي بقبول حسن ، فيدعو تلك القبور بالمنازل ، وليست أيّة منازل ، إنما خيرها ؛ لأن حسن المنزل الأول (القبر) للمسافر الغريب أفضل من حسن المنزل الآخر (المكوث الأخير) ؛ لاستئناس الإنسان بالسفر بعد ذلك ، ومع ضيق المكان فإن الفسحة المعنوية موجودة برحمة الخالق ورأفته ، والانتقال ما بين الأزمنة وارد في النص ، ما بين الحاضر ، والمستقبل المتمثل بتقنية الاستباق لأحداث انقسمت على مرحلتين :

*الأولى دارت حول: مكان القبر وما يتضمن من ألفة واطمئنان.

*والثانية جاءت حول يوم القيامة ، وهذا تضمن أحداثا ، تناولت يوم عرض الأعمال أمام الملأ ، من أجل المحاسبة والمجازاة ، والإنسان خوفه متعلق بذلك العرض ، فلا مفرّ أمامه سوى الفرار إلى الرحمة الإلهية ، ووسيلة الوصول إليها جاءت عِبر القرآن وهي ((ضرورية لتفجير بنية المحور في نصوص لها تشخص القيم وتتعامل مع الحياة من خلال حدود مدرجة ضمن زمنية الفعل الإنساني))[٢] ، فإن الإنسان هناك ذليل خائف ، فيرجو أن يثبت عند اضطراب جسر جهنم الذي يكون مابين

(١) ينظر: تحولات السرد – دراسات في الرواية العربية ، إبراهيم السعافين : ١٦٥.

(٢) سيميائيات النص – مراتب المعنى– ، سعيد بنكراد : ١٠٤.

المحشر ، والجنة، ممدود على جهنم يسقط منه الأثيم إلى النار ، وينجو المؤمن المطيع ، فبالقرآن نور ظلمة قبورنا، فالمراحل الدلالية للوسيلة انطوت على محطات كل محطة منها تضمنت عاطفة انفعالية ، تمثلت بعاطفة الرحمة الإلهية الجامعة لعواطف جمعت ما بين عاطفة الخوف – فسعت للتغلب عليه –، وعاطفة الرحمة بمفهوم النور المعنوي ، فضلاً عن المباركة في القبور.

نتوصل إلى أن السيميائية السردية من المفاهيم التي أسسها غريماس ، وركزنا فيها على ثنائية التفضية والتزمين ؛ لأنهما من العناصر الواردة في أدعية الصحيفة، التي أسهمت في بناء المعنى وإيضاحه ، ضمن متواليات مختلفة الموضوع ، تضمنت عنصر التزمين ، وعنصر التفضية، إذ انقسم عنصر **التزمين** على قسمين **الأول:** تقنية الاسترجاع : التي اعتمدت على العودة إلى زمن ماضٍ بأحداثه ، فتناولت موضوعاتٍ مرتبطة بالأوقات التي تتصل بالأيام ، والليل والنهار، والمناسبات الدينية : كدخول شهر رمضان ، ووداعه ، ويوم عرفة ، وعيدي الفطر ، والأضحى المبارك، وكذلك عن ملكة الحمية التي وجدت في عصر ما قبل الإسلام ، وقضية النشأة ، والخلق ، **الثاني:** تقنية الاستباق التي تعمل على تقديم أحداث ، ومعلومات تقع في المستقبل ، ويعد الخوف من المصير الذي سوف يؤول إليه العبد بعد الموت ، والمكوث في دار الآخرة من الموضوعات الاستباقية.

أمّا عنصر **التفضية** الذي تناول أولاً : المكان الواقعي فقد انقسم على: مكان مفتوح تمثل بـ : بالفضاء المفتوح ما بين السماء والأرض المتسع بسعة عاطفة الرحمة الإلهية ، والمكان الآخر هو الجبال ، والأنهار، والثاني : المكان المغلق: والذي جاء على نوعين الأول: يتعلق بمنازل الدنيا ، والثاني: جاء على عكس ما معروف عنه من ضيق وقلق وخوف ، إنما هو مغلف بالأمن والتحصين ، وقد اختص بالحديث عن منازل الآخرة ، وما يتعلق بتلك المنازل من الموت ، والجزاء

الذي يؤول إلى جنة أو نار ، وقد عملت تلك الاسترجاعات والاستباقات على تنوع العلاقة السرديّةً المتشبعة ؛ لأنها تتمحور حول تنوع الموضوعات الانفعالية ، وتكامل أفكارها التي تدور في حركية الحياة ، من أجل بناء المجتمع العادل الذي يرتكز على الحرية ، والإخاء ، والتعاطف ، والتراحم ، فأدعية الصحيفة السجادية بما فيها من قدرة علمية ، وثقافية ، ودينية جاءت مسخرة في خدمة المجتمع ، عبر تهدئة النفس ، وتطهيرها ، وبناء الإنسان الايجابي ، فالتراحم ، والتعاطف المنضوي في أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) مثّل مظهراً انفعالياً من مظاهر معالجة القلق والاضطراب الذي تمرّ بها الشخصية الإسلامية ، عِبر التوكل على الله ، والعمل على زرع الثقة بالخالق عبر الدعاء ، والمناجيات المتجلية بعالم الغيب.

المبحث الثالث

المكوّن التّصويري في الصحيفة السجادية

وهو من المكونات المهمة التي تشغل موقعاً مميزاً ، داخل البنية الخطابية في المستوى السطحي للخطابات ، بصفته أحد مستويات المسار التوليدي[١] ، ونسقاً متميزاً بقدرته في التمثيل على مستوى اللغة الطبيعية ، والأنساق الأخرى – بغض النظر عن نوع الثقافة التي تحويه – داخل النظرية السيميوطيقية ، لذا عُدَّ من المفاهيم الأساسية القائمة على مبدأ الملاءمة والانسجام في مستوى الدلالة الخطابية؛ كونه يمثل استثماراً دلالياً، يعطي حجماً دلالياً للعناصر التركيبية [٢]، ويقوم بدراسة الأدوار التيماتيكية والعاملية للفاعل ، وهذه الأدوار هي ملتقى الطرق ، ومركز التقاطعات بين المكون السردي والمكون الخطابي [٣]، ويرتبط بالعالم المحسوس في تنوّعه اللّانهائي ، وتترأسه ثنائية التوحّد والتنوّع ؛ لأن الذات المرسلة تعمل على ردّ المتفرّق إلى الواحد والمتعدد إلى المفرد[٤] ، فيتم هذا الخطاب حينما يشحن الموضوع المطروق بشحنة دلالية ، تفسح المجال للذات أن تدركها من حيث هي صورة تمثلية،

---

(١) وهو مفهوم مركزي في السيميائية السردية يشير إلى صيغة تختصر تفاصيل يتحدد عن طريقها نص ما ، عبر أشد المستويات التجريديّة إلى أشدها محسوسيّة ، ينظر: هامش كتاب سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٤٩.

(٢) ينظر : التحليل السيميائي للخطاب الروائي – البنيات الخطابية، التركيب ، الدلالة : ١٧٠–١٧١.

(٣) ينظر : الآليات السيميائية لتوليد الدلالة في النصوص والخطابات ، د.جميل حمداوي https://pulpit.alwatanvoice.com

(٤) ينظر: في الخطاب السردي – نظرية قريماس– : ٧٥.

تتجمع عبر الصيرورات التي تحولها إلى جملة من الأفعال ، و التي تتحرك في إطار معين[١]، بشكلها المتجمع في لفظة واحدة يخرج منها مفاهيم متعددة ، تشير إلى مسار متكامل الدلالة والبناء في معناها الأول ، أو بشكلها المتقابل وأحياناً المختلف ، الذي يشير إلى معنى كلي يتضمنه الخطاب ، تخرج عنه لفظة تعبر عن الكل وهذا يكون في معناها الثاني ، وفي كلا الشكلين تتراكم المكونات المشتركة أو المترادفة لكي تولد لنا المقومات السياقية المرتبطة مع بعضها ببعض الآخر.

وبحسب منهج سيمياء العواطف فإن المكون الخطابي لا يركز على المسار التصويري والأدوار الموضوعاتية/ التيماتيكية فقط ، إنما بتظافرها وتضامنها مع الأدوار الانفعالية ، أي وحدات المضمون ، القائمة على وصف الأدوار والوظائف ؛ لأنها تقوم على طريقة تعتمد على التمثيلات الدلالية ، التي تمثل طريقة مثالية في تأويل ظهور الأدوار الانفعالية والتهذيبية[٢] ، والعلاقة التي تربط بين المستويين السردي والخطابي تتميز بأنها متكاملة في تداخلها وتمازجها ، يظهر هذا التمازج في الاستثمار الدلالي للموضوعات التركيبية في المستوى السردي ، التي يحققها المستوى الخطابي بإعطاء الأشكال السردية بعداً دلالياً ، يستثمرها السردي في توليد وشحن الأقوال ، بعدّه حلقة الوصل الضابطة والمنظمة بين المستويين[٣]، فيعبر عن المضمون الخطابي عنِ طريق الصور التي تجتمع لتكون وحدة سيميائية دلالية ،

---

(١) ينظر : م ، ن : ٧٩.

(٢) ينظر : تأويل البنية العاطفية في ديوان " مقام البوح" ، عبد الله العشي: ٥٥ .(رسالة ماجستير)

(٣) ينظر : التحليل السيميائي للخطاب الروائي – البنيات الخطابية ، التركيب ، الدلالة : ١٥٧ – ١٥٨، وينظر : السيميائيات السردية – مدخل نظري ، سعيد بنكراد :١٢٧.

محددة وظاهرة أثناء الفحص والقراءة[١] ، مكونة صور جوهرية ذات شفافية ورؤية ، يراها غريماس أساسية متضمنة إمكانيات تعبيرية كامنة بالقوة ، ومحققة مسارات في سياق الخطاب[٢] ، وتظهر عبر الحدود والتمفصلات المكونة للخطاب ، وإدراك المعنى الكلي عبر الألفاظ التي تجتمع في اللغة الواحدة ((لكن في صلب هذه الوحدة يكمن التنوع ويستقرّ الاختلاف إذ بوسع المبدع أن يؤدي حكاية بوسائل تعبيرية متنوعة وبأساليب لغوية متعدّدة. والاختلاف يرد بالتحديد إلى تنوع هذه الأساليب أي في نهاية المطاف إلى الفنون التصويرية التي يتوسل بها المؤلف لإكساء النظام السردي المجرّد في كلّ مكوّناته بأردية تتنوّع تنوع العالم المحسوس))[٣] ، ويحتوي المكون التصويري على جملة من المفاهيم الإجرائية التي تمثل عدة تحليلية تساعد الباحثة في تحديد المسارات الصورية ، والأدوار التيماتيكية في التجمع الصوري ، منها المسار الصوري ، والتصوير ، والتصويرية ، والتيماتيكي ، وبما أن المسار الصوري والأدوار الموضوعاتية(التيماتيكية) هي أهم هذه المفاهيم ، لذا سوف ندرجهما في التقسيم الآتي :

أولاً : المسار الصوري لسيمياء العواطف

يقع المسار الصوري ضمن المكون الخطابي ، وتكمن المسارات التصويرية ((داخل الملفوظات غير أنها تخترق هذه الملفوظات لتؤلف شبكة صورية إذْ تقوم

(١) ينظر : السيميائية أصولها وقواعدها :١١٠.

(٢) ينظر : نقلاً عن كتاب : في الخطاب السردي – نظرية قريماس : ٧٦.

(٣) م ، ن : ٧٥.

بينها علاقات متنوعة تمتد على مقاطع من الخطاب مكونة تجمعات صورية))[١] ، والذي أطلق عليه السيميائيون شبكة من الصور ، تمكننا من تحديد تيمات ، نحصل عليها عبر الممثلين وأدوارهم التيماتيكية[٢] ، وهذه الصور (Figure) يراد بها تلك الوحدات الدلالية التي تسهم في التوصيف ، و تتتخذ بعدا قاموسيا ودلاليا، يطلق عليها لفظ السيماتية أو الليكسيمات(lexèmes) وهي تمثل العناصر الدلالية البسيطة أو الكلمات القاموسية الموجودة في معجم لغة ما، ويمكن لهذه الكلمة أن تتخذ معاني سياقية مجازية وحقيقية[٣] ، يتم رصدها في السياق الذي ترد فيه هذه الألفاظ والتي تنتظم في علاقات قد يكون فيها تقابل أو اختلاف ، يتم إرجاعها إلى المعاجم وربطها مع المعنى الوارد في سياق الخطاب وبيان مدى الانسجام والكثافة الدلالية، وعلى هذا الأساس تتجلى الصور التركيبية ضمن السياق الخطابي والاستثمار الدلالي داخل أدعية الصحيفة السجادية كلاً حسب موضوع العاطفة المتناول في الخطاب ، من ذلك الدعاء الذي تغلف بعاطفة الرحمة نحو طريق الوقاية والستر في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَفْرِشْنِي مِهَادَ كَرَامَتِكَ، وَأَوْرِدْنِي مَشَارِعَ رَحْمَتِكَ، وَأَحْلِلْنِي بُحْبُوحَةَ جَنَّتِكَ، وَلاَ تَسُمْنِي بِالرَّدِّ عَنْكَ، وَلا تَحْرِمْنِي بِالْخَيْبَةِ مِنْكَ، وَلاَ تُقَاصَّنِي بِمَا اجْتَرَحْتُ، وَلاَ تُنَاقِشْنِي بِمَا اكْتَسَبْتُ، وَلا تُبْرِزْ مَكْتُوْمِي، وَلاَ تَكْشِفْ مَسْتُورِي، وَلاَ تَحْمِلْ عَلَى مِيزانِ الانْصَافِ عَمَلِي، وَلاَ**

---

(١) التحليل السيميائي للخطاب الروائي – البنيات الخطابية، التركيب ، الدلالة : ١٧٢-١٧٣.

(٢) ينظر : هندسة المعنى في القصيدة السردية : ٨٢ .

(٣) وينظر: الآليات السيميائية لتوليد الدلالة في النصوص والخطابات، د.جميل حمداوي https://pulpit.alwatanvoice.com

تُغْلِنْ عَلَى عُيُونِ الْمَلاَ خَبَرِي. أَخْفِ عَنْهُمْ مَا يَكُونُ نَشْرُهُ عَلَيَّ عَاراً، وَاطْوِ عَنْهُمْ مَا يُلْحِقُنِي عِنْدَكَ شَنَاراً))[1]

تتجلى الصور في هذا الخطاب عبر المسارات الصورية ، التي توزعت بحسب الأعمال الواردة ، ففي المسار الأول يدور الاستثمار الدلالي حول عاطفة الرحمة الإلهية ، في الانتقال ما بين الجمل التركيبية ، ومقاطع الدعاء ، إذْ نجد صورة لتلك الكرامة ، التي عدّت بمثابة المكان الصالح للجلوس والمكوث فيه ، كونه محاط بالعزة والكرامة ، وتتابعها صورة لمشاريع الرحمة المتمثلة بالماء العذب ، الذي يرتوي منه من أراد الراحة واللذة ، لتتضافر الصورة الثالثة مع الأولى والثانية في معنى أوسع وأعمق من حيث الانتقال مكانياً وزمانياً ، فالنزول بتلك الجنة قد يراد بها الحصول على المقام العالي في الدنيا ، والمكوث الدائم في جنان الخلد في الآخرة.

أَفْرِشْنِي مِهَادَ كَرَامَتِكَ — تحقيق الفائدة عبر أعمال الدنيا

أَوْرِدْنِي مَشَارِعَ رَحْمَتِكَ — للحصول على

أَحْلِلْنِي بُحْبُوحَةَ جَنَّتِكَ — الاستقرار الدائم في منازل الآخرة

وفي المسار الثاني تتعالق الصور مع العتبة بتداخلها مع بعضها الآخر ، ففي الصورة الأولى تتجسد بذلك العبد الذي يقف سائلاً الخالق من معروفه وعطفه ، ويجعل علامته الرضا والقبول ، وتتعالق مع الثانية في عدم الحرمان والظفر بالحصول على المطلوب ، لتكملها صورة الحبس الذي أراد به منع الثواب عنه ؛ بسبب السيئات والآثام التي ارتكبها.

لاَ تَسُمْنِي بِالرَّدِّ عَنْكَ

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٦٨-١٦٩ .

لا تَحْرِمْنِي بِالْخَيْبَةِ مِنْكَ التوسل في سبيل تجاوز المعوقات التي

لاَ تُقَاصَّنِي بِمَا اجْتَرَحْتُ تحول من دون الوصول إلى طريق النجاة

لاَ تُنَاقِشْنِي بِمَا اكْتَسَبْتُ

وتتضافر الصور مجتمعة حول عدم كشف الأعمال في الحياة الدنيا أمام الخلق وكتمها ، ووضع تلك الأعمال في ميزان العدالة الذي يجازى به العبد بحسب حسناته وسيئاته ، كما في قوله تعالى﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1]، والواضح أن قلة الحسنات وكثرة السيئات تؤدي إلى هلاك العبد ، وتتبع تلك الصور في الجمل الآتية :

لا تُبْرِزْ مَكْتُوْمِي

لاَ تَكْشِفْ مَسْتُورِي إخفاء الأعمال في الدنيا بتوفيق الله وستره

لاَ تَحْمِلْ عَلَى مِيزانِ الإنْصَافِ عَمَلِي

لاَ تُعْلِنْ عَلَى عُيُونِ الْمَلاَ خَبَرِي

أَخْفِ عَنْهُمْ مَا يَكُونُ نَشْرُهُ عَلَيَّ عَاراً واستتباع الستر في الآخرة برحمته

وَاطْوِ عَنْهُمْ مَا يُلْحِقُنِي عِنْدَكَ شَنَاراً

فتفصح تلك المسارات عن صورة العرض أمام الملأ ، والتي تصل إلى العيون قبل الأسماع ، فتبدو وكأننا أمام فيديو تسجيلي سابق يتم تقديمه في حاضره ، متضمناً الأعمال الحسنة والسيئة ، لذا فإن الإنسان بصورة عامة لا يرغب بحدوث

(١) سورة الزلزلة : الآية :٧– ٨ .

ذلك ، فيطلب من الخالق إخفاء ما يسبب له العار والمذمة ، وكتم ما هو أقبح من العيب والعار.

ومن النماذج التي جاءت في سيمياء عاطفة الأمن ، متضمنة مساراً صورياً ، متعلقة بظهور الهلال و رؤيته في دعاء الإمام (عليه السلام) الآتي : ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَى مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَزْكَى مَنْ نَظَرَ إليْهِ، وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ، وَوَفِّقْنَا فِيهِ لِلتَّوْبَةِ، وَاعْصِمْنَا فِيْهِ مِنَ الْحَوْبَةِ، وَاحْفَظْنَا فِيهِ مِنْ مُبَاشَرَةِ مَعْصِيَتِكَ، وَأَوْزِعْنَا فِيهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَلْبِسْنَا فِيهِ جُنَنَ الْعَافِيَةِ، وَأَتْمِمْ عَلَيْنَا بِاسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ فِيهِ الْمِنَّةَ**))[1].

أن اجتماع مجموعة من الصور تدور في إطار واحد يحيلنا إلى تأليف مسار صوري ، يتجسد عبر الألفاظ الواردة في الدعاء ، فتسير في اتجاه مفهوم كلي يتضمن تلك الصور التي خرجت ، ففي الصورة الأولى حدوث الرضا بمجمله ، فيكون من أرضى الناس عند الخالق ، وفي الصورة الثانية من أطهر الذين نظروا إلى الهلال ، وتتبعها الصورة الثالثة متصلة بالعبادة وأنواعها ، التي تترك انفعالها ويظهر أثرها جلياً من تحقيق السعادة ، والشعور بالاطمئنان ، وتتوالى تلك الصور متشابهة في موضوعها ، باحثة فيه عن الراحة والأمن والأمان في ظل تلك الرؤية ، فتستكمل صورها بالتوفيق في الابتعاد عن المعاصي ، والركون إلى التوبة ، والحفظ من الخطيئة ، أو مباشرة المعصية ، لتكتمل تلك الصور في مسارها نحو تحقيق الشكر والحمد على النعم التي لا تُعد ولا تُحصى ، ليختمها بالوقاية من المكاره والآفات ولباس العافية وتمامها ، وإتمام النعم بالطاعة التي منَّ الله بها على عباده ، وقد تكللت رؤية الهلال عبر محطات ومسارات تميزت بالوحدات التي انتظمت داخل الدعاء ، فولدت في سياقها جملة من الدلالات التي إشارات في كل تركيب ، انطلاقاً

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٧٩ –١٨٠.

من النواة التي أسست للخطاب وصولاً إلى سمة الطاعة والعبادة ، وتمثل هذا المسار في الآتي :

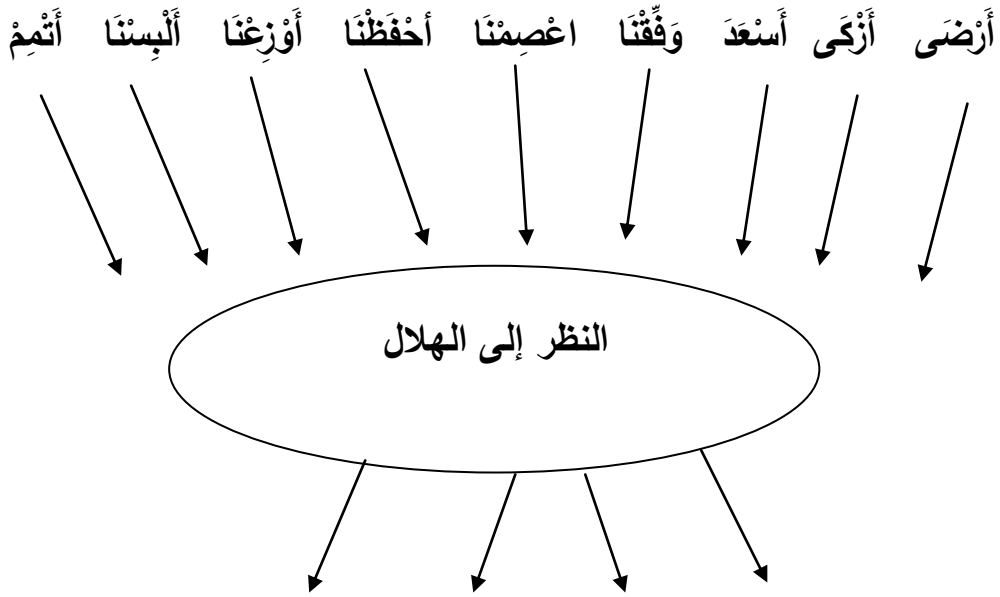

ويتضح من الترسيمة السابقة أن المسار واحدٌ ، لكن الصور متعددة ، تكاتفت لتخرج أكثر من معنى لتلك الألفاظ ، مثلت صورة متكاملة تبعث على الأمان والشعور بالسعادة ، تخلفها رؤية الهلال ، استبشاراً بقدومه ، فيؤثر في المتلقي بحسب الصور المرسومة.

ويتنوع المسار الصوري في خطابات الصحيفة السجادية فنجده متعدداً ، لا يختص بجانب دون جانب آخر ، إنما شمل أكثر من عاطفة ، فمع أن الموضوع يدور حول التوبة إلاَّ أن الصور فيه متعددة ، ومثال ذلك نجده في دعاء الإمام السجاد(عليه السلام) في ذكر التوبة وطلبها : ((**اللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ أَوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي وَلَحَظَاتِ عَيْنِي وَحِكَايَاتِ لِسَانِي،**

تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَة عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيْمِ سَطَوَاتِكَ. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَاضْطِرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامَتْنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ))[1].

تبرز فاعلية المسار الصوري عبر تشكيله حلقة من الصور التي تفضي بعضها إلى بعضها الآخر، انطلاقاً من مفهوم التوبة وذكرها ، الذي شكل حضوراً في النفس أولاً ، وفي القلب ثانياً ، وفي اللسان ثالثاً ، ففي المسار الأول نجد صورة التوبة تنطلق من المخالفة مع الآخر– بغض النظر عن مقامه ومكانه – في سبيل تحقيق رضا الخالق ، لأن أرادة الله (جل علاه) إنما فيها من الثواب والإحسان بما يوقع العبد على نهج الصواب ، وتتبع بنفس المستوى ، لكن بصورة ثانية للمسار عبر حرف (أو) في مفهوم الإزالة عن المحبة ، من باب تضمين مفهوم الموافقة بين المخالفة والإرادة ، لتساوي الشيئين في الشك ، فالتوبة من كل ما خالف أو أزال التائب عن توبته[2] ، ويمكن أن نوضح الاستثمار الدلالي عبر المسارات الصورية في الترسيمة الآتية :

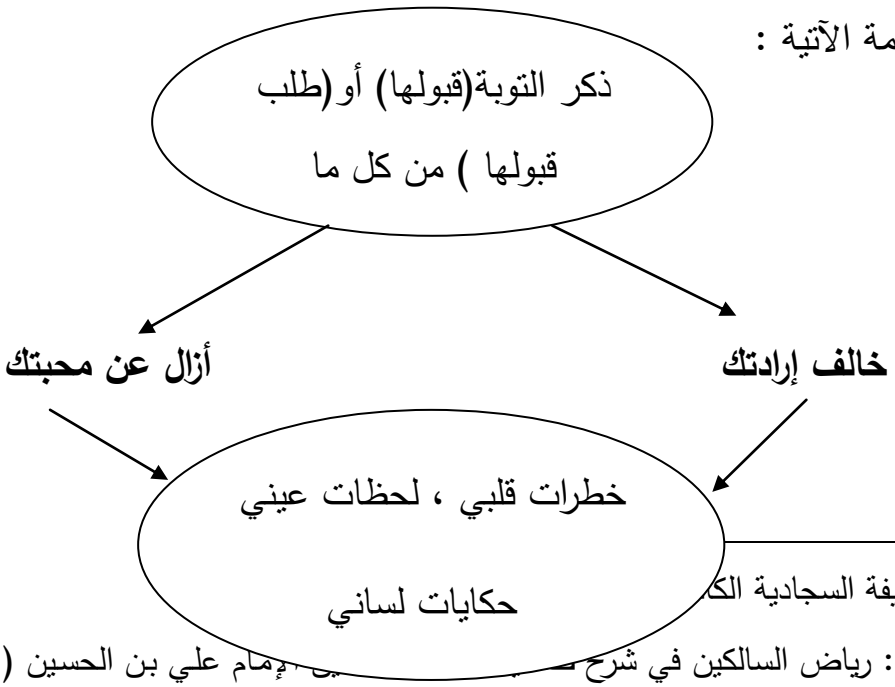

(١) الصحيفة السجادية الك

(٢) ينظر : رياض السالكين في شرح ص الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) : ٤/٤٥١.

فالخطاب منبني في مساره على مفهوم التوبة والطاعة والابتعاد عن كل ما يسبب مخالفة أو إزالة عن تلك التوبة ، عبر الخطرات التي تجعل القلب يعمل بما يخالف أوامر الله تعالى ، لأن الخطرات كثيرة منها ما يكون رباني وهو لا يخطئ ، ومنها ملكي يستند إلى الصلاح ويطلق عليه الإلهام ، والنفساني الذي يعرف بالهاجس ، والشيطاني الذي يحث على مخالفة الحقّ [1]، والدلالة الثانية تبحث في عمق النظرة التي يحددها بأقل تلك النظرات ويقننها باللحظة ، ويستثمرها في معناها الذي يدور حول ما هو خارج الشريعة الإسلامية ومخالف لها؛ لأنه ناتج عن مخالفة للذات الإلهية ومحبتها ، وفي الدلالة الثالثة التي تكون أشد تأثيراً كونها تتمثل بالمحكي الذي يتجاوز به العبد حدود الخالق بالقول، حتى تتغلف كل الجوارح تباعاً للجارحة الأخيرة بحدوث السيئات ووقوع الآثام ، فتتمكن المخالفة من النفس وتدنّس جوهرها ، لكن وقوع التوبة يوجب الأمن في القلب ليسكن ويستقر ، على عكس ألم الخوف الذي ينتاب المتجاوزين لحدود الله.

وفي المسار الثاني ينتقل مفهوم التوبة إلى عاطفة الرحمة المتجلية في أركان الخطاب ، انطلاقاً من الوحدة التي يتقوقع فيها العبد ، كونه انفرادي اتجاه الخالق ، وهو من باب التمثيل ، ثم الرجفة والخفقان الذي يصيب قلبه خشية من الله ، وهذه الخشية من باب التعظيم لله ، كون صاحب الخطاب على معرفة تامة بالذات الإلهية، فالوحدة في ظل الذنوب توجب مقام الخزي والذل أمام الله جل علاه ، فالتمثيل الخطابي الذي خرج عن عاطفة الرحمة نبرزه في الرسم الآتي:

(١) ينظر : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) : ٤/٤٥٢-٤٥٣.

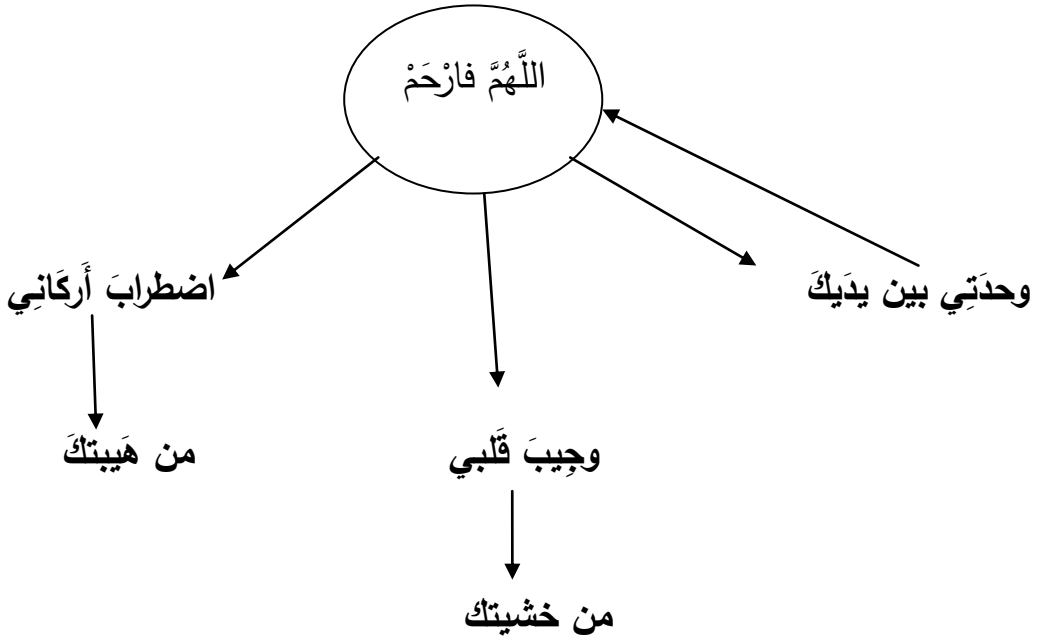

فالتمثيل الخطابي في الانتقال ما بين طرح لمفهوم التوبة ومناقشته وما يترك من أثر في الجوارح بمختلف أنواعها ، وما بين الاتجاه نحو عاطفة الرحمة والحصول على مغفرة الخالق وعطفه ولطفه ، قد حقق استثماراً دلالياً لتلك التراكيب التي مثلت كل لفظة فيها معنىً قائماً بذاته.

تقديس الذات الإلهية وتنزيها عن أحكام الأوهام من الخطابات التي تضمنت المسار الصوري في دعاء الإمام (عليه السلام) : ((**سُبْحَانَكَ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، وَأَقْهَرَ سُلْطَانَكَ، وَأَشَدَّ قُوَّتَكَ، وَأَنْفَذَ أَمْرَكَ! سُبْحَانَكَ! قَضَيْتَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ الْمَوْتَ: مَنْ وَحَّدَكَ وَمَنْ كَفَرَ بِكَ، وَكُلُّ ذَائِقُ المَوْتِ، وَكُلٌّ صَائِرٌ إِلَيْكَ فَتَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ**))[1].

(١) الصحيفة السجادية الكاملة :٢٥٦- ٢٥٧.

إن السير في انتظام ضمن المكون التصويري في مساره بحاجة إلى انتقال ما بين تلك الصور التي تحمل دلالة ترتبط بالمعجم الخاص بكل ثقافة ، والثقافة الدينية الإسلامية واحدة من تلك الثقافات التي تبرز ما موجود فيها عبر بث أهم المرتكزات المنضوية داخلها، فالدعاء من باب الإلحاح والتشدد والملازمة والتمسك به ، ومن باب بيان الفضائل المخصوصة المتعلقة بالمعني في الخطاب ، ((**وإنّما أحبّ الله تعالى الملحّين من عباده لدوام ملازمتهم لبابه وإنزال فقرهم وفاقتهم بعزّ جنابه ونشر آمالهم ومهمّاتهم لديه وعكوفهم في سؤال حوائجهم عليه ، سواء كانوا في محنة وبلاء أو في نعمة ورجاء**))[1]، وهذه الملازمة صادرة عن معرفة يقينية بعظم شأن الذات الإلهية و تنزيهها ، منضوية على صورة كبرى ينطلق فيها المسار نحو التنزيه والتمجيد بصفات تنزه عن صفات الخلق ، لتتكون صور فرعية عن تلك الصفات في أولها التعجب من هذه العظمة التي يخضع لها الجميع ، والثانية بقهر كل شيء ، والثالثة تتعلق بالقوة ، لأنها أشد من كل قوة ، و الرابعة أوامره نافذة على الجميع، لتنفتح على مسار آخر قائم على مفهوم الموت ، الذي به يقضي على جميع الخلق من دون تمييز ، والانتقال في المسار الصوري يحدث في عنصر الزمن أيضاً ، عندما تقع صورة البعث والنشور ويحشر الخلق ، ليختمها بصورة عن تلك المباركة المتمثلة بالبركة وكثرة الخير الموحية إلى الدوام والبقاء ، وصورة أخرى عن لفظة تعاليت التي تشير إلى الارتفاع عن أن يكون له شريك ؛ لأنه منزه في ذاته وصفاته وأحواله ، ويمكن أن نمثل المسار الصوري عبر الترسيمة الآتية:

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) : ٧ /٣٧٠.

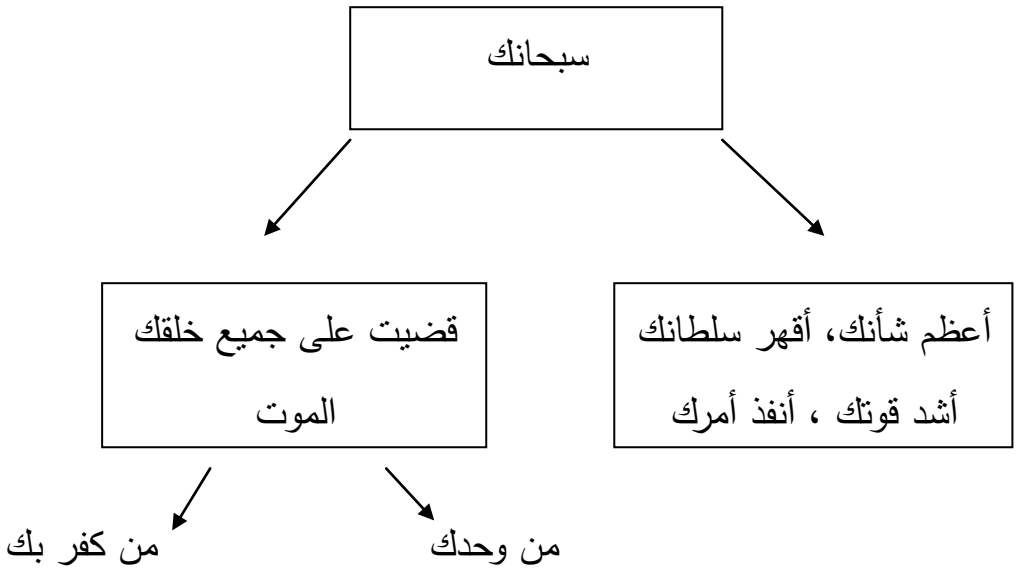

فالتمثيل الخطابي للمسار الصوري انطلق من صورة كبرى (سبحانك) ليتجه باتجاه مسارين الأول في صفات الخالق ، والثاني في قدرته في القضاء على الجميع ، بغض النظر عن إيمانهم أو كفرهم ، ليختم المسار ضمن مفهوم التنزيه بالتعالي والمباركة.

ثانياً: الأدوار التيماتيكية(الموضوعاتية) لسيمياء العواطف

تتحدد التيمة في السيميائيات بوصفها مفهوماً إجرائياً يرتبط بالمكون التيماتي ، فإذا كان هذا المكون ((يتميز بأنه استثمار دلالي مجرد ذو طبيعة مفهومية وليست له أية علاقة ضرورية مع فضاء العالم الطبيعي فإن هذا يعني أن التيماتيكي

يعتمد على التيمات التي يبنى من خلالها المسار التصويري))[١] ، وهي من الأدوار التي تتركب في أصلها من عنصرين الدور الثيمي ويتحكم بممكنات الفعل عند الذات ، ويرتبط بالنطاق الاجتماعي ، والدور الباتيمي الذي يتعلق بكينونة الممثل وعلاقته بالبعد الانفعالي ، فيه يتم تجاوز حدود الثقافة ؛ لأن الانفعالات التي في أصلها حاجة إنسانية طبيعية ، تتحول إلى حالة غير طبيعية عندما تتجاوز الحدود التي تضعها الثقافات، تبعاً لها نحكم على الأهواء[٢] ، في حال أكانت ضمن أحكام وميولات طبيعية معتدلة ، أم خرجت إلى ما يدمر ويعيق ثقافة المجتمع.

وقد أطلق غريماس على هذا الدور مصطلح (القائم بالفعل) ويأتي بمثابة محطة لقاء وتقاطع بين البنى السردية والبنى التصويرية ، وتحدد كفاءته وحدود فعله وكيانه ضمن الدور الذي يشغله، ويمكن له أن يشغل أكثر من دور واحد[٣] ، ويبحث الدور الثيمي في الاستثمارات الدلالية عبر عملية الفصل ، التي يجب أن يتم داخلها تأويل ظهور الأدوار الباتيمية والأدوار الأخلاقية ، في حين يبحث الدور الباتيمي عن الاستثمارات التركيبية في شكل أدوار عاملية وكيفيّة[٤] ، لذا تشغل الأدوار التيماتيكية ازدواجية على مستوى الإنجاز، في حقل الدور العاملي التركيبي ، وكذلك في الدور التيماتيكي الدلالي ، الذي يرتبط بدوره بالمجموعات البشرية وبنياتها السوسيو – ثقافية ، المتعلقة بالبنية الرمزية التي تُسن الممارسات والإنجازات داخل

---

(١) نقلاً عن مقال : إشكالية المصطلح وامتداداته ، ليلى احمياني
https://m.ahewar.org/index.asp?cid

(٢) ينظر : هامش كتاب : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس : ٥٧.

(٣) ينظر : في الخطاب السردي – نظرية قريماس : ٨٣– ٨٤ .

(٤) ينظر : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس: ٢٢٣.

المجتمع ، إذ تحيل هذه الأدوار إلى الإنجازات المهنية أو العائلية أو النفسية[١]، وقد تجلت تلك الأدوار في أدعية الصحيفة السجادية ضمن الممارسات الدينية المتعلقة بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن سبقه من الأنبياء (عليهم السلام) ، هذا في الجانب الأول ، أمَّا في الجانب الثاني جاءت ضمن الأدوار العائلية ، تحديداً الدور الذي يتحمله الأبوان ، ومن الأدعية التي تحققت في الجانب الديني ، الدعاء الذي ورد ضمن أدعية الصحيفة في الصلاة على نبي الله آدم (عليه السلام) مع الإشارة إلى الدور الذي كلف به : ((**اللَّهُمَّ وَآدَمُ بَدِيعُ فِطْرَتِكَ، وَأَوَّلُ مُعْتَرِف مِنَ الطِّينِ بِرُبوبِيَّتِكَ، وَبَدْوُ حُجَّتِكَ عَلى عِبادِكَ وَبَرِيَّتِكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى الاسْتِجَارَةِ بِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَالنَّاهِجُ سُبُلَ تَوْبَتِكَ، وَالْمُوَسَّلُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِكَ. وَالَّذِي لَقَّنْتَهُ مَا رَضَيْتَ بِهِ عَنْهُ، بِمَنِّكَ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِكَ**))[٢].

يتضمن المسار الصوري في هذا الخطاب الدور الثيمي الذي مثّل الذات المرسلة ، فضلاً عن النطاق الديني ضمن بيئة المجتمع الذي يحدّه ، وكذلك ضم الدور التيماتيكي (القائم بالفعل) ومدى كينونته وعلاقته بالبعد الانفعالي في أدواره العاملية ، والفاعل الذي ورد في الخطاب مثّل فاعل الحالة ، الذي ارتبط مع الموضوع في علاقة الوصل ، القائمة على علاقة الرغبة في تناول شخصية النبي آدم (عليه السلام) ، لأن المهمة والوظيفة الموكلة إلى المرسل تتمثل بالمحافظة على القيم والممارسات وصيانتها ، والعمل على استمرارها ، عبر تبليغها إلى المرسل إليه [٣]، في حين جاء فاعل الفعل متجلياً بفاعل الإنجاز بما قدم من

---

(١) ينظر : التحليل السيميائي للخطاب الروائي – البنيات الخطابية، التركيب ، الدلالة :١٦١ – ١٦٢.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة : ٢٦٩.

(٣) ينظر : في الخطاب السردي – نظرية قريماس : ٤٢.

ممارسات وإنجازات ضمن مجتمعه ، على أساس العمل الذي كلف به ، ولكن قبل الخوض في تلك الممارسات فإننا نجد صورةً تحكي عن ذلك الابتداع في الخلق الذي لم يسبق له من قبل ، فابتداع صورته ابتداء منه جل علاه ، فشكّل ذلك نقطة الانطلاق في الممارسة الفعلية بأداء الدور وتمثيله عبر الواقع ، فالابتداء بالتطبيق في أوله كان الاعتراف بخالق الكون ، كونه المحطة الثانية بعد عملية الخلق ، والمسار الصوري تجلى في رسم صورة الاعتراف عبر تجسيدها التركيبي والدلالي المرتبط بالانفعالي وما يخلفه عند المتلقي ، لأنه أول الحجج على جميع الخلق ، ويتحقق الدور التيماتيكي بأدوار عديدة ، عبر الدليل الذي مثله بملفوظات العفو والمغفرة ، عبر تأسيس منهج وطريق في التوبة لأولئك المذنبين ، كذلك أنهج لهم منهجاً واضحاً بيّن لا غشاوة فيه، أيضاً كانت بمثابة الوسيلة إلى معرفة الخالق والحصول على رضاه ، وتتمثل الأدوار التي شغلها الفاعل في الخطاب بالمخطط الآتي:

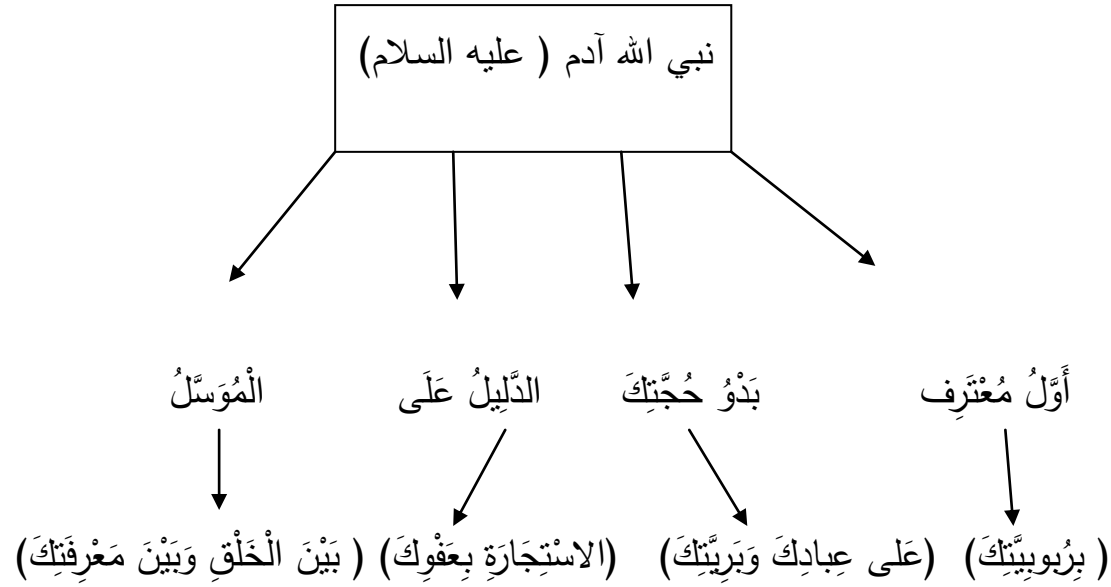

ويتبيّن من الترسيمة أن النبي آدم (عليه السلام) قد شغل أكثر من دور موضوعاتي ، أسهم في إنجاز رسالته السماوية بالشكل المطلوب منه ، ابتداءً من

عملية الاعتراف ، ومن ثم جعله ممثلاً بوصفه حجة الله في الأرض على أبناء جنسه ، ومن ثم الدليل القاطع بوقوع مغفرة الخالق وعفوه تبعاً للمغفرة التي حصلها عليها عندما أذنب وتاب عليه الخالق، ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[١] ، وصولاً إلى تمثيله وسيلة اتصال بين الذات الإلهية والخلق.

ونجد في أحد أدعية الصحيفة السجادية دوراً موضوعاتياً يختص بشخص النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان دوره في تأدية ما كلف به في دعاء الإمام (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ اجْزِهِ بِمَا بَلَّغَ مِنْ رِسَالاتِكَ وَأَدَّى مِنْ آيَاتِكَ وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**))[٢].

يقوم البناء النموذجي للعامل على موضوع يشير إلى فضائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما قدم من ممارسات دينية ، ولأهميته نجد الذات تشير في أكثر من موضع [٣]، فضلاً عن التركيز على عامل المرسل إليه من أجل لفت نظره ، ولأنه ((يوحي بوجود عالم مؤسس على منظومة من القيم يتحكم بمقتضاها على الأفعال سلباً أو إيجابا))[٤]، فالموضوع ينطلق من مفهوم كلي يقوم على ما يقابل تقديم العمل من جزاء أو ثواب ، فالأدوار التيماتيكية تتوزع على أربع صور ضمن مسارها العاطفي ، ففي الصورة الأولى والتي تتمثل بمهمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودوره في تبليغ رسالة السماء والوحي الرباني ، وفي الصورة الثانية

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٣٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٧٧– ١٧٨.

(٣) ينظر : م ، ن : ٢٦ –٢٧ –١٧١ – ١٧٢ – ٢٦٨.

(٤) الأدوار العاملية في الرواية العراقية – دراسة وتطبيق في منهج غريماس – ، عالية خليل إبراهيم : ٦ . (بحث)

يوحي إلى تلك الآيات الدالة والواضحة التي جاءت برهاناً على ذلك التلبيغ فأصبحت الصورة الناطقة ، والدليل القاطع ، وتتجلى صورة أخرى يمثلها النصح والإرشاد الذي تمثل بأقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعاله مع الآخرين – بغض النظر عن جنسهم ودينهم – ، وتغلفها صورة الجهاد الذي كان جهاداً وسعياً في التغيير العقلي للسامعين في زمانه ، ونقلهم من ترسبات متراكمة إلى إمكانيات تختلف عنها كل الاختلاف في سبيل تحقيق الاستقامة ، وإعلاء كلمة الدين وجعلها العليا ، ليختم ذلك المسار بحصول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أفضل وأكمل ما يحصل عليه الأنبياء والمرسلين والملائكة تحديداً المقربين منهم ؛ لأنه استحق أفضل ما يكون أو ما ممكن أن يحصل عليه السابقين الذكر ، وهذا يوحي بالمنزلة والمكانة التي حظي بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كذلك يوحي بالتضحية والممارسات التي بذلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل أمته ، ويبيّن الرسم الآتي الدور الذي ورد في الدعاء :

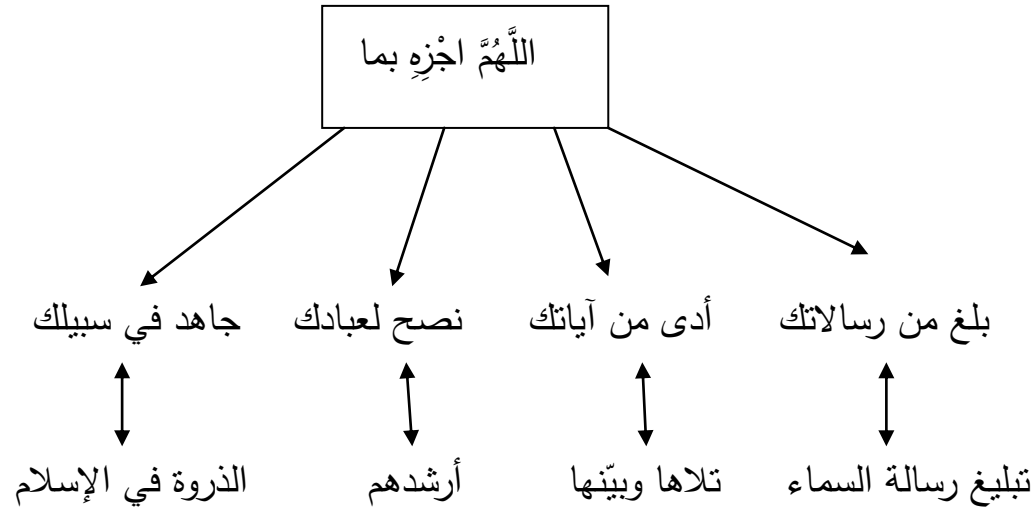

فالأدوار التي وردت في الخطاب مثلت محطات للمهمة التي كلف بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكل واحدة منها تمثل بحد ذاتها مرحلة متكاملة

ومتفرعة لتلك المعاناة والآلام التي كابدها شخص النبي من أجل إيصال رسالته وتحقيق الإنجاز فيها ، ثم أن هذه المراحل لا تغطي كل الأدوار الموجودة في شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إنما جاءت مختصرة على الصورة التي ذكرناها في الأعلى .

ومن الأدوار العائلية ما جاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) :((**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وَأَبَرُّهُمَا بِرَّ الأُمِّ الرَّؤُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبِرِّيْ بِهِمَا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ حَتَّى أوثِرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا وَأُقَدِّمَ عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ. أَللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي، وَأَطِبْ لَهُمَا كَلاَمِي، وَأَلِنْ لَهُمَا عَرِيْكَتِي، وَاعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وَصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقاً، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقاً**))[1].

يتحرك الخطاب في ظل أجواء الوالدين وما يدور فيها من طمأنينة وأمن وفرح ، يدغدغ مشاعر القارئ والسامع وانفعالاتهما ، فالدور الموضوعاتي الذي يقوم الوالدان به اتجاه أبنائهم يكمن في العلاقة التي تقوم على عنصر الحنان والعاطفة والمحبة ، لا سيما العلاقة التي تكون فيها العاطفة ايجابية ، فالدور الذي يمثله الولد أمامهما يتجلى بصورة أظاهر الهيبة والتسامي لهما كأنهما في مقام السلطان أو صاحب المقام العالي ، ولكن ليس من باب الخوف والخشية منهما ، إنّما من باب إظهار التعظيم والتبجيل لهما ، ثم ينتقل المسار الصوري إلى حالة تتغلف بالحنان والمحبة ، عندما يصف البرّ بهما مثل برّ الأَمِّ الرّؤوف ، لينتقل إلى صورة تتضمن الطاعة لهما فتمثل نوعاً من أنواع الرضا الشعوري ، ويأتي بتصوير غاية في الروعة حينما يشبه تلك الطاعة بالشخص الذي يغلب عليه النعاس وهو في قمة الراحة

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٠٩-١١٠.

والاسترخاء أو الظّمآن للماء ، والحصول على برِّهما وأن كان قليلاً ، فالإجراءات الخطابية التي قامت بتشكيل الخطاب بشكله التركيبي لديه القدرة والإمكانية في الاستناد إلى عمليات الوقف والوصل؛ لأنها تمثل قاسماً مشتركاً يساعد على الاحتفاء باللفظ ، من حيث الصياغة والخاصية والمرجعية[1] ، ويجعل الاهتمام بهما عبر ممارسة فعلية تحدث بين الأطراف توحي بالاحترام والإجلال تتمثل بـ (خفض الصوت ، الكلام الطيب، الرفق ، فتح القلب ، الإشفاق) وهذا كله يمثل نوعاً من الحنان والحب والرعاية والعناية بالوالدين جزاءً لما قدما للأبناء ، فالدور التيماتيكي للوالدين يتمثل بالعطاء الذي لا تحدّه الحدود ، وبالعمق الثرّ الذي ينساب بكل ما يوحي بالشعور الجميل، ويمكن أن نستخرج الأدوار الموضوعاتية في الخطاب عبر الترسيمة الآتية :

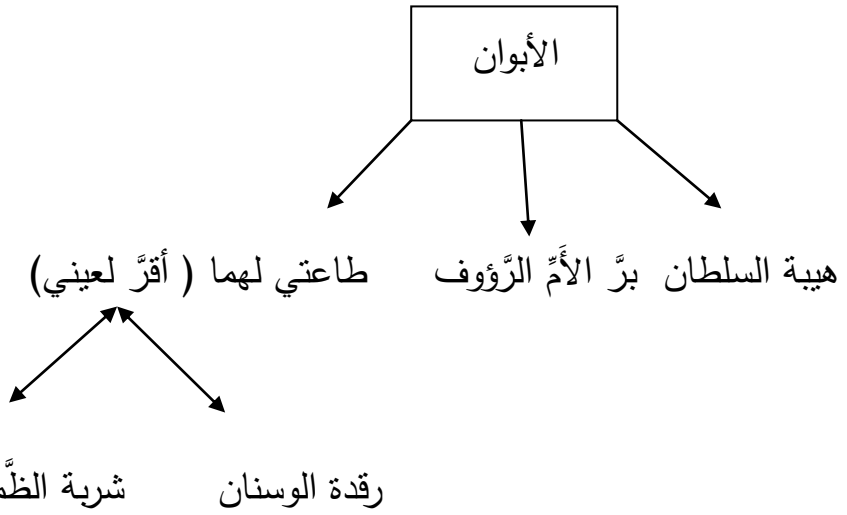

وهذا المسار قد مثّل دوراً موضوعاتياً يتعلق بما يقدم الأبناء من احترام ، ثم عاطفة ، ثم طاعة لهما مقرونة بالحب والعناية ، ويمكن أن نمثل الجزء الآخر من الدعاء عبر الترسيمة الآتية :

(١) ينظر : السميائيات السردية – مدخل نظري – : ١٣٢ – ١٣٣.

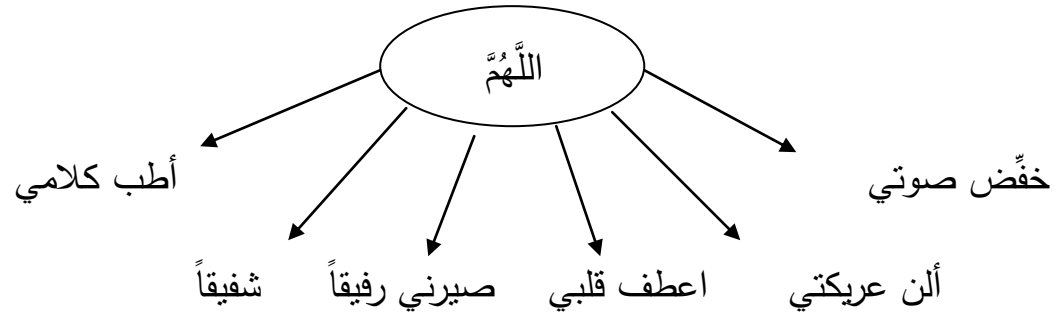

فالعمل التطبيقي لهذه الممارسة إنما يؤدي بنا نحو مدارج الكمال ، التي يسعى الأفراد إلى الحصول عليها.

ويمكن أن نصل عبر كل ما تقدم إلى أن المسار الصوري قد تشكل في اتجاهين ، بحث الأول في المحطات والحلقات التي يمرّ عبرها المسار الصوري وهذا المسار قد تجلى في الصحيفة السجادية ضمن السياق الخطابي والاستثمار الدلالي ، كلاً بحسب موضوع العاطفة المتناولة في الخطاب ، فقد تكون ضمن عاطفة الرحمة في دعاء الوقاية والستر أو في دعاء ذكر التوبة وطلبها ، أو ضمن سيمياء عاطفة الأمن كما في دعاء ظهور الهلال و رؤيته ، أما الاتجاه الثاني بحث في الأدوار التيماتيكية ، وقد تجلت تلك الأدوار في أدعية الصحيفة السجادية ضمن الممارسات الدينية المتعلقة بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن سبقه من الأنبياء (عليهم السلام) هذا في الجانب الأول ، أمَّا في الجانب الثاني جاءت ضمن الأدوار العائلية ، ولا سيما في دور الأبوين.

الخاتمـــــــة

الخاتمة

بعد هذه الجولة في سيمياء العواطف توجب علينا تثبيت مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها بعد تطبيق النظرية في رحاب أدعية الصّحيفة السجّادية ندرجها على النحو الآتي :

– إن ما عُرف بين الأوساط الثقافية والأدبية اشتهار النظرية باسم (سيمياء الأهواء) ولكننا أثبتنا أن الأصح تسميتها بـ (سيمياء العواطف) بحسب ما جاء في كتاب غريماس وجاك فونتاني ، و بحسب الترجمة المناسبة لها ، فضلاً عن عدم مُلاءمة لفظة (الأهواء) استعمالاً عند الغرب وعند العرب ؛ لأنها تقود إلى الفوضى، وتشويش العقل، وتقوده إلى المعاصي ، وبالنتيجة تتحول إلى طاقة تعيق من تقدم المجتمع ونموه، وتقضي على مؤهلاته الثقافية.

– أمَّا الهدف من النظرية فهو البحث في كيفية الأثر الذي تتركه العواطف ، فضلاً عن المنطق الحاكم لها من توترات وانفعالات ضمن أفق محدد ، ولكن بتنوعات ثقافية مختلفة في بعدها العاطفي المسؤول عن الأحاسيس والعواطف والحالات الشعورية المختلفة التي تمرّ بها الذات الانفعالية.

– تبيّن أن العاطفة بمجملها ترتبط بإحساس المنتج ، وإحساسه يتشكل تبعاً للثقافة التي ينتمي إليها والموقف الذي يمرُّ به ويُملى عليه وإلا فإن العملَ خارجُ ثقافة غالباً ما يكون نوعاً من الاستلاب الذهني والفعلي تبعاً لمنطق العاطفة .

– جاء العنوان في الأدعية السجّادية متنوعاً ، جامعاً ، شاملاً لموضوعات عدة ، فكل عناوينها موازية للنص ، مما تعطي دليلاً على السعة التي تمنحها العناوين لمتلقيها في إنتاج الدلالة وتأويلها بحسب مرتكزات النص.

– ما لاحظناه أن العناوين في أدعية الصّحيفة السجّادية تسير على وفق أنساق متعددة و لكن هناك نسق واحد يجمع موضوعات عدة ، من مثل : النسق الديني المتعلق بالتوحيد ، والعدل ، والميعاد ، والصلاة على الرسول وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) و الرسل وإتباعهم ، ثم النسق الاجتماعي ، من مثل : الدعاء للأهل من الوالدين والأبناء ، والصاحب ، والجار ، والنسق الاقتصادي المتعلق بكيفية تنظيم العبد لأموره ، فضلاً عن نسق المناسبات الدينية ، ونسق العبادات وغيرها.

– لقد ضمت الأدعية علاقات التضاد وشبه التضاد الناتجة عن علاقات التضمين والاقتضاء ، ما عدا علاقة التناقض التي تعمل على نفي العنصر وإثبات غيره ، وبالنتيجة يرتبك النص في انسجامه وتناسقه ، بيد أن هذا لا ينطبق على الأدعية كلها ، إنما بحسب العلاقات و الوظيفة الجوهرية العاملة على تأسيس العمليات الدلالية.

– تشكّلت العواطف في الأدعية السجّادية عبر المخطط العاطفي فحسب ، فجاءت مرة مكتملة المراحل من يقظة عاطفية واستعدادٍ للوقوع أمَّا في اللذة أو في الألم ، ثم نكون أمام مرحلة المحور العاطفي ومسارها في تهديد أمن الذات أو اطمئنانها، ومرة أخرى غير مكتملة المراحل.

– استبعدنا تطبيق المخطط التوتري من المخططات العاطفية على نصوص الأدعية في الصّحيفة السجّادية ؛ لأننا وجدناه لا يتلاءم مع العواطف الواردة في أدعية الصّحيفة السجّادية ولا ينسجم معها ؛ لأن العواطف في المخطط التوتري تعتمد الإحساس الحاصل بين الشدة والانفعال ، وإخفاء النقص العاطفي وملء فراغه بوساطة الامتداد العاطفي وشدته ، وعدم التوازن في الانفعال ما بين هيجان وهدوء ، وهذا ما لم نجده في الصّحيفة السجّادية عبر رصِدنا للعواطف فيها وتتبعنا لها في الدراسة.

- حققت سيمياء عاطفة الرحمة ارتفاعاً في المسار السيميائي قياساً لعاطفة الظلم ، إذْ جاءت مكثفة شاملة لأكثر من جانب موزعة ما بين عاطفة الرحمة الإلهية التي اتسعت وأخذت مساحة واسعة، ممتدة ما بين عاطفة شاملة للعطف الإلهي وشكر وحمد على النعم ومغفرة وعفو، ومحو للذنوب، وسعت الرزق، ومختلطة مع العطف المحمدي ، وعاطفة رحمة متعلقة بالنبي وآله الأطهار(صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين) ، ومرة بعيداً عن هذا النوع ، مرتبطة بالأيام والأشهر من مثل يوم عرفة ، وشهر رمضان.

- سجلت العواطف الإيجابية (الحب ، الأمن ، الرحمة) حضوراً مكثفاً في داخل أدعية الصّحيفة السجّادية ، مقارنة مع العواطف السلبية المتمثلة بـ (الكره ، الخوف ، الظلم)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على المسارات الكبرى التي سارت فيها أدعية الصّحيفة ، ومعالجتها للإمراض المنتشرة في المجتمع الإسلامي والقضاء عليها عن طريق تلك العواطف والتأثير في النفوس وجذبها إلى الطريق السوي ، فالإمام السجّاد (عليه السلام) صاحب رسالة هادفة ، تقوم على تقويم مجتمع قد نُخِرَ فكريّاً ، وإعادة بنائه يحتاج إلى مواد تساعد في تكوينه من جديد ، فجاءت أدعية الإمام(عليه السلام) بمثابة تلك المواد التي ساعدت على تقويم المجتمع وإخراجه بحلة جديدة ، لذلك كانت العواطف الإيجابية الوسيلة الأنجع في كسب المشاعر والأحاسيس، وهذا السلوك هو ما تعلم عليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بوصفهم بشراً قبل أن يكونوا قادة للأمة الإسلامية فهم من نسل نبي الرحمة والهدى.

- بدأت الأدعية السجّادية بالعواطف الكبرى ثم تدرجت ، إذْ انطلقت من عاطفة مركزية وهي عاطفة حب الخالق عز وجل ، ثم الانتقال إلى عاطفة البشر وهذه العاطفة أيضا كانت متدرجة من الأعلى إلى الأدنى ، بدءاً من حب الرسول وآله (صلى الله عليه واله وسلم) ، مروراً بحب الرسل والأنبياء (عليهم السلام) ، وصولاً إلى حب

الإنسان الصالح ، و انتهاءً بالعواطف التي تخص الفضائل والأخلاق بوصفها صفات نافعة ومفيدة لبناء الفرد والمجتمع.

- مثّل عامل الشيطان محوراً مركزياً للكره في الصّحيفة السجّادية ، إذْ كانت هذه العاطفة ضمن المسارات الكبرى ، لما لها من تأثير في الواقع.
- توزعت عاطفة الأمن على جوانب متعددة بعضها متعلق باللجوء إلى الذات الإلهية وحبها وتقديسها وبعضها متعلق بالدنيا ، وهذا الجانب انشق منه تفرعات: منها ما جاء بالدعاء لشخصيات تستحق الأمن والأمان ومنها على النقيض لا تستحق هذا الأمن ، وبعضها متعلق بالآخرة ، فضلاً عن ذلك نجد جانباً آخر بعيد عن هذه التقسيمات متعلق بالظواهر الفلكية ولا سيما ما يخص رؤية الهلال والبشارة بظهوره.
- تمثّل الخوف في سيمياء عاطفة الخوف التي جاءت في الصّحيفة السجّادية بخوف طبيعي مقترن بالعبادة والمحبة والمودة والخشوع والخضوع والتذلل للذات المقدسة ، وهذا الخوف ممدوح وإيجابي، يحمل العبد على الابتعاد عن المعصية والمكاره والمناهي ، ويجعله يعمل على أداء العبادات والفرائض الواجبة عليه .
- تبين لنا في مفهوم الترغيب في البرنامج السردي تجلي عاطفة الحب عِبر الخشوع والخضوع للذات الإلهية ، و ارتباطه بعاطفة الأمن عبر السعي لرضا الخالق وشكره على النعم ، فضلاً عن ذلك يكون الترغيب متعلقاً بعاطفة الرحمة و موحياً إلى معنى العفو والمغفرة ، وقد يخرج إلى التحلي بأفضل الأخلاق وأعلاها.
- ارتبط مفهوم التحذير بالبرنامج السردي بعاطفة الخوف و لكن مع تعدد للموضوع المعالج ومع تنوع في الموضوعات في النص الواحد وهذا ما يتيح إمكانية إيراد أكثر من برنامج واحد في النص ، إذْ بحث في التحذير من غضب الخالق ، ثم في التحذير من نار جهنم ، وهناك تحذير من الشيطان أولاً ، و من أنواع الحيوانات ثانياً ، و من أنواع

النفس الإنسانية ثالثاً ، بحسب مقاماتها الاجتماعية وغيرها ، ثم نجد تحذيراً عبر العواطف في الجانب الاقتصادي ، ولا سيما في موضوع الإسراف والتبذير.

– كشفت أدعية الصّحيفة السجّادية عن تمازج بين برنامج يعمل على ترغيب المتلقي وبرنامج يعمل على تحذيره عبر العواطف على اختلاف أنواعها فكلا البرنامجين بحثا بما يعمل على استقرار الذات الإنسانية وتوجيهها بالاتجاه الذي يوفر لها الجانب الإيجابي في الحياة، وإبعادها عن الجانب السلبي.

– كانت ثنائية التفضية والتزمين من العناصر الواردة في نصوص الصّحيفة السجّادية ، وقد أسهمت في بناء المعنى وإيضاحه وقد انقسم عنصر التزمين على تقنيتين الأولى الاسترجاع : والتي اعتمدت على العودة إلى زمن ماضٍ بأحداثه فتناولت موضوعاتٍ مرتبطة بالأوقات التي تتصل بالأيام والليل والنهار، والمناسبات الدينية نحو: دخول شهر رمضان ووداعه ، ويوم عرفة ، وعيدي الفطر والأضحى المبارك، وكذلك عن مَلِكةِ الحمَّيةِ التي وجدتْ في عصرِ ما قبلَ الإسلامِ ، وقضية النشأة والخلق ، والتقنية الأخرى الاستباق التي تعمل على تقديم أحداث ومعلومات تقع في المستقبل ، ومنها الخوف من المصير الذي سوف يؤول إليه العبد بعد الموت والمكوث في دار الآخرة.

– عملت تلك الاسترجاعات والاستباقات على تنوع العلاقة السرديّةً المتشعبة ؛ لأنها تتمحور حول تنوع الموضوعات الانفعالية ، وتكامل أفكارها التي تدور في حركية الحياة من أجل بناء المجتمع العادل الذي يرتكز إلى الحرية والإخاء والتعاطف والتراحم ، فأدعية الصّحيفة السجّادية بما فيها من قدرة علمية وثقافية ودينية جاءت مسخرة في خدمة المجتمع ، عبر تهدئة النفس وتطهيرها وبناء الإنسان الايجابي ، فالتراحم والتعاطف المنضوي في أدعية الإمام السجّاد (عليه السلام) مثّل مظهراً انفعالياً في معالجة القلق والاضطراب الذي تمرّ به الشخصية الإسلامية ، عِبر التوكل على الله ، والعمل على زرع الثقة بالخالق عن طريق الدعاء والمناجاة المتجلية في عالم الغيب.

– أمَّا عنصر التفضية الذي تناول أولاً : المكان الواقعي وانقسم على قسمين : الأوّل المكان المفتوح وتمثل بالفضاء المفتوح ما بين السماء والأرض المتسع بسعة عاطفة الرحمة الإلهية ، وكذلك تمثل بالجبال والأنهار، والآخر المكان المغلق والذي جاء على نوعين الأول: يتعلق بمنازل الدنيا ، والثاني : جاء على عكس النقيض عما عُرف عنه من ضيق وقلق وخوف ، وقد جاء مغلفاً بالأمن والتحصين ، وقد اختص بالحديث عن منازل الآخرة وما يتعلق بتلك المنازل من الموت والجزاء الذي يؤول إلى جنةٍ أو نار.

– تشكل المسار الصوري في أدعية الصّحيفة السجّادية في اتجاهين بحث الأول في المحطات والحلقات التي يمرّ عبرها المسار الصوري ضمن السياق الخطابي والاستثمار الدلالي ، بحسب موضوع العاطفة المتناولة في الخطاب ، فقد يكون ضمن عاطفة الرحمة كما في دعاء الوقاية والستر أو في دعاء ذكر التوبة وطلبها ، و قد يكون ضمن عاطفة الأمن كما في دعاء ظهور الهلال و رؤيته ، وبحث الثاني في الأدوار التيماتيكية ، وقد تجلت تلك الأدوار في أدعية الصّحيفة السجّادية ضمن الممارسات الدينية المتعلقة بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن سبقه من الأنبياء (عليهم السلام) هذا من جانب ، ومن جانب آخر جاءت ضمن الأدوار العائلية ولا سيما في دور الأبوين.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: الكتب

١ - آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية ، آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، ط١ ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .

٢ - آليات أنتاج النص الروائي – نحو تصور سيميائي ، عبد اللطيف محفوظ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر، ط١ ، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣ - الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي ، إسكندر غريب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق- بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م.

٤ - الاتجاهات السيميوطيقية – التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية ، د. جميل حمداوي ، مكتبة المثقف ، ط١ ، ٢٠١٥م.

٥ - أسرار البلاغة ، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط١ ، ١٩٩١م.

٦ - أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة : د.طلال وهبه ، مراجعة :د. ميشال زكريا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١ ، ٢٠٠٨م.

٧ - الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، د. عبد الله عبد المحسن التركي ، موقع وزارة الأوقاف ، السعودية ، (د.ط)، (د.ت).

٨ - أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة – مدخل إلى السيميوطيقا ، إشراف: سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد ، دار الياس العصرية ، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، (د.ط) ، (د.ت).

٩ – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس الله سره)(ت ١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان، (د.ط) ، (د.ت).

١٠ – بناء الرواية العربية السورية (١٩٨٠–١٩٩٠) ، دراسة نقدية ، سمر روحي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق ، ١٩٩٥م.

١١ – بناء الرواية– دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ– ، سيزا قاسم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

١٢ – البناء الفني في الرواية العربية في العراق(بناء السرد) ، د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٩٤م.

١٣ – البنية السردية في النظرية السيميائية ، د. رشيد بن مالك ، دار الحكمة ، الجزائر ، ٢٠٠١م.

١٤ – بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ،الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ١٩٩٠م.

١٥ – بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ، محمد العمري ، دار طوبقال للنشر ، المغرب – الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٦م.

١٦ – تحصيل نظائر القران ، للحكيم الترمذي ، تحقيق : حسنى نصر زيدان ، مطبعة السعادة ، ط١، ١٣٨٩هـ– ١٩٦٩م.

١٧ – تحليل الخطاب الروائي – السرد– الزمن – التبئير – ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٨٩م.

١٨ – التحليل السيميائي للخطاب الروائي / البنيات الخطابية – التركيب – الدلالة ، عبد المجيد نوسي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق– سوريا ، ٢٠٠٥م.

١٩ – التحليل السيميائي للنصوص ، فريق انترفان ، دار نينوى – دمشق ، ط١، ٢٠١٢م.

٢٠ – تحولات السرد – دراسات في الرواية العربية ، إبراهيم السعافين ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م.

٢١ – تذوق الأدب – طرقه ووسائله – ، محمود ذهني ، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٩٧م.

٢٢ – التعريفات ، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه : محمد باسل سواد العيون ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

٢٣ – التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق : عبد الخالق ثروت، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠م.

٢٤ – الثاقب في المناقب ، ابن حمزة عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي (ت ٥٦٠هـ) ، تحقيق: نبيل رضا علوان ، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٤١٢هـ .

٢٥ – جدلية الزمن ، غاستون باشلار ، ترجمة: خليل أحمد خليل ، ديوان المطبوعات الجزائرية للدراسات والنشر والتوزيع ، الجزائر، (د.ط) ، (د.ت).

٢٦ – الحب والكراهية ، أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، (د.ت).

٢٧ – حركة السرد الروائي ومناخاته في استرتجيات التشكيل ، كمال الرياحي ، دار مجدولاي ، ٢٠٠٥م.

٢٨ – الخرائج والجرائح ، قطب الدين أبو حسين سعيد بن عبد الله الراوندي(٥٧٣هـ) ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (ع) بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٢٩ – خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، جيرار جينيت ، ترجمة محمد معتصم ، عبد الجليل الازدي ، عمر حلي ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط٢ ، ٢٠٠٠م.

٣٠ – الدّلالات المفتوحة – مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، أحمد يوسف، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٣١ – دلالة الأشياء في الشعر العربي – عبد الله البردوني نموذجا ، ملاس مختار ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرعاية ، الجزائر ، ٢٠٠٢م.

٣٢ – دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة – ، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٤م.

٣٣ – الرحمة في حياة الرسولﷺ، د. راغب الحنفي السرجاني ، المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته ، المملكة العربية السعودية – الرياض ، ط١ ،٢٠٠٩م.

٣٤ – رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) ، العلامة السيد علي خان المدني ، تحقيق : السيد محسن الحسيني الأميني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط٦ ، (د.ت).

٣٥ – الزمان الوجودي ، عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، لبنان – بيروت ، ط٣، ١٩٧٣م.

٣٦ – السلوك الإنساني ، د. انتصار يونس ، دار المعارف ، (د.ط) ، ١٩٩٣م.

٣٧ – السيمياء العامة وسيمياء الأدب – من أجل تصور شامل – ، د. عبد الواحد لمرابط ، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

٣٨ – سيمياء المكان في شعر محمود درويش ، د.حسن غانم الجنابي ، الشؤون الثقافية العامة ، العراق– بغداد ، ط١ ، ٢٠١٦م.

٣٩ – السيميائيات – مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بنكراد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية – اللاذقية ، ط٣ ، ٢٠١٢م.

٤٠ – سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، ألجيرداس.ج. غريماس ، جاك فونتني ، ترجمة وتقديم وتعليق : سعيد بنكراد ، دار الكتاب الجديد المتّحدة ، ط١ ، ٢٠١٠م.

٤١ – السيميائيات السردية ، رشيد بن مالك ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٢ – السيميائيات السردية – مدخل نظري ، سعيد بنكراد ، منشورات الزمن ، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، ٢٠٠١م.

٤٣ – السيميائيات الواصفة – المنطق السيميائي وجبر العلامات ، د. أحمد يوسف ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٤٤ – السيميائيات أو نظرية العلامات ، جيرار دولو دال ، جوويل ريطوري ، ترجمة : د.عبد الرحمن بو علي ، دار الحوار ، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٥ – السيميائيات والتأويل – مدخل لسيميائيات بورس ، سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٤٦ – السيميائية أصولها وقواعدها ، ميشال أرنيه ، جون بيار جيرو ، لوى بانينيه ، جوزيف كورتيس ، ترجمة: رشيد بن مالك : مراجعة وتقديم : عز الدين المناصرة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، (د.ط)،٢٠٠٢م.

٤٧ – السيميوطيقا السردية (من سيميوطيقا الأشياء إلى سيميوطيقا الأهواء) ، جميل حمداوي ، دار معرفة النشر ، الرباط – المغرب ، (د. ط) ، ٢٠١٣م .

٤٨ – سيميوطيقا العنوان ، جميل حمداوي ، دار الريف للنشر والطبع الالكتروني ، المملكة المغربية ، ط٢ ، ٢٠٢٠م.

٤٩ – شخصيات النص السردي – البناء الثقافي– ، سعيد بنكراد : سلسلة دراسات وأبحاث ، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس – المغرب ، ١٩٩٤م.

٥٠ – شعرية الخطاب السردي: محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠٥م٠

٥١ – الشعور بما يحدث (دور الجسد والعاطفة في صنع الوعي) ، انطونيو داماسيو ، ترجمة : رفيف كامل غدّار ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠١٠م .

٥٢ – الصحيفة السجادية الكاملة ، من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام ويلية رسالة الحقوق ، تقديم: سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، العراق – كربلاء المقدسة ، ط١ ، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

٥٣ – طرائق تحليل السرد الأدبي ، مجموعة مقالات مترجمة ، لمجموعة مؤلفين ، منشورات اتحاد كُتاب المغرب ، ط١، الرباط ، ١٩٩٢م.

٥٤ – طوق الحمامة في الألفة والألاف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) تحقيق: د. إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ،١٩٨٧م.

٥٥ – الظلم وانعكاساته على الإنسانية – رؤية شرعية، م د. عثمان محمد غنيم ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر – الدوحة ، ط١ ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

٥٦ –العاطفة كالماء – مقاربة سيكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها ، جاسم حسين المشرف ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ٢٠١٢م.

٥٧ – عتبات من النص إلى المناص ، جيرار جينيت، ترجمة : عبد الخالق بلعابد، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٨ – العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، أمبرتو إيكو ، ترجمة : سعيد بنكراد ، مراجعة : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب– الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠١٠م.

٥٩ – علم الدلالة ، بيار جيرو ، ترجمة : أنطوان أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس ، ط١، ١٩٨٦م.

٦٠ – فرديناند دوسوسير – تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات – ، جوناثان كللر ، ترجمة: محمود حمدي عبد الغني ، المجلس الأعلى للثقافة ، (د.ط) ، ٢٠٠٠م.

٦١ – في الخطاب السردي _ نظرية قريماس_ ، محمد الناصر العجيمي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩١م.

٦٢ – في نظرية الحجاج – دراسات وتطبيقات – ، د. عبد الله صولة ،مسكيلياتي ، تونس ، ط١ ،٢٠١١م.

٦٣ – في نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨م.

٦٤ – قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة السيد إمام ، ميرت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م.

٦٥ – قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص – عربي ، انكليزي ، فرنسي – ، رشيد بن مالك ، السيميائيات ، دار الحكمة ، الجزائر ، ٢٠٠٠م.

٦٦ – اللغة والحجاج ، د. أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٦م.

٦٧ – ما هي السيمولوجيا ، برنار توسان ، ترجمة: محمد نظيف ، افريقيا الشرق ، بيروت – لبنان ،٢٠٠٠م.

٦٨ – مباحث في السيميائية السردية ، د. نادية بوشفرة ، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة الجديدة – تيزي وزو، ٢٠٠٨م.

٦٩ – محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر– دراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية ، بشير تاوريريت ، دار الفجر للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٦م.

٧٠ – مدخل إلى نظرية القص – تحليلاً وتطبيقاً – ، سمير المرزوقي ، جميل شاكر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد ، ١٩١٦م.

٧١ – معالم السيميائيات العامة – أسسها ومفاهيمهما ، عبد القادر فهيم الشيباني ، سيدي بالعباس ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

٧٢ – معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي ، نادية بوشفرة ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١١م.

٧٣ – معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ط١، الجزائر ، ٢٠٠٠م.

٧٤ – معجم اللغة العربية المعاصرة ، عمر أحمد مختار ، عالم الكتب، القاهرة، ط١،١٤٢٩ هـ– ٢٠٠٨م.

٧٥ – معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٧٦ – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م.

٧٧ – معجم مصطلحات السرد ، بوعلي كحال ،عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

٧٨ – معجم مصطلحات الطب النفسي ، د. لطفي عبد العزيز الشربيني، مراجعة د. عادل صادق ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، (د.ط) ، (د.ت).

٧٩ – المغامرة السردية وجماليات التشكيل القصصي (رؤية فنية في مدونة فرج ياسين القصصية)، سوسن هادي جعفر ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٠م.

٨٠ – مفاهيم سردية ، تزفيطان تودوروف ، ترجمة: عبد الرحمن مزيان ، منشورات الاختلاف ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

٨١ – مقاييس اللغة ، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٨٢ – مقدمة السيميائية السردية ، رشيد بن مالك ، دار القصبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ٢٠٠٠م.

٨٣ – من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة – دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة – ، عبد الكريم شرفي ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، ط١، الجزائر ، ٢٠٠٧م.

٨٤ – المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين – دراسة أسلوبية– ، د. إدريس طارق حسين ، العتبة العباسية المقدسة ، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات ، جمهورية العراق – كربلاء المقدسة ، ١٤٤٣هـ–٢٠٢٢م.

٨٥ – منطق السرد – دراسات في القصة الجزائرية الحديثة – ، عبد المجيد بورايو ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٤م.

٨٦ – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي، تقديم: د. رفيق العجم ، تحقيق: د.علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية : د. عبد الله

الخالدي ، الترجمة الأجنبية : د. جورج زيناتي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م.

٨٧ – النص والخطاب في الصحيفة السجادية ، د. محمد كريم الكوّاز، منشورات كلية الإمام الكاظم(عليه السلام) للعلوم الإسلامية ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٨٨ – النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٦ ، ٢٠٠٥م.

٨٩ – النقد والدلالة – نحو تحليل سيميائي للأدب ، محمد عزام ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ١٩٩٦م.

ثانياً : الرسائل والأطاريح:

٩٠ – اشتغال النموذج العاملي في رواية " تلك المحبة " للحبيب السايح – دراسة سيميائية- ، محمد بودالي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والفنون ، جامعة أحمد بن بلة – وهران ، ٢٠١٦م.

٩١ – تأويل البنية العاطفية في ديوان " مقام البوح" ، عبد الله العشي ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري ، تيزي- وزو ، ٢٠٠٩م.

٩٢ – تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر ، شرشار فاطمة زهرة (أطروحة) ، جامعة جيلالي ليباس – سيدي بلعباس ، ٢٠١٧-٢٠١٨م.

٩٣ – السرد عند الجاحظ (البخلاء نموذجاً) ، د. فادية مروان احمد الونسة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

٩٤ – سوسيولوجيا النص – تاريخ المنهج وإجراءاته – ، نعيمة بو لكعيبات ، جامعة الحاج لخضر- باتنة ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٠-٢٠١١م.

٩٥ – سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير لمالك الحداد) ، بشار سعيدة ، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري ، تيزي- وزو ، د.ت .

٩٦ – سيمياء الأهواء في الأعمال القصصية الكاملة للقاصة ذكرى لعيبي ، كوثر عاشور عبد الحسين ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – جامعة ميسان ، ٢٠٢٣م.

٩٧ – سيمياء الأهواء في ديوان بشار بن برد ، درقاوي سميرة، بن حامد رقية ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٩م.

٩٨ – سيمياء الأهواء في رواية " ٢٠٨٤حكاية العربي الأخير" لواسيني الأعرج" ، عطا الله مليزة ، رسالة ماجستير ، جامعة أكلي محند أولحاج ، الجزائر ، ٢٠١٦م.

٩٩ – سيمياء الأهواء في رواية مالك الحزين لإبراهيم أصلان ، بلعور مليكة ، رسالة ماجستير ، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥قالمة ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٤م.

١٠٠ –السيمياء السردية وتجلياتها في النقد العربي المعاصر – نظرية غريماس نموذجا – ، قادة عفاف، أطروحة دكتوراه ، إشراف: رشيد بن مالك ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسيدي بلعباس ، ٢٠٠٧م.

١٠١ – سيمياء العواطف في قصيدة" أراك عصي الدمع " لأبي فراس الحمداني ، عمي ليندة، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي– وزو، ٢٠٠٨م.

١٠٢ – سيمياء العواطف في نهج البلاغة، حيدر نعيم مغتاض ، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة ذي قار ، ٢٠١٨ م.

١٠٣ – سيميائيات جوزيف كورتيس، أسسها النظرية وآفاقها التطبيقية، دايري مسكين، رسالة الماجستير، جامعة وهران، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨م.

١٠٤ – سيميائية التوتر وعلاقاتها بتفاعلات الأهواء في السينما المغاربية ، هشام عبادة ، أطروحة دكتوراه ، كلية علوم الإعلام والاتصال – جامعة الجزائر ، ٢٠١٩م.

١٠٥ – السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة – دراسة في ثلاثية " حكاية بحار لحنا مينه" ، جريوي آسيا (أطروحة) ، جامعة خيضر– بسكرة – ، ٢٠١٢–٢٠١٣.

١٠٦ – صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، جودي هنية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر ، ٢٠١٢–٢٠١٣م.

١٠٧ – قراءة في الأسس الإبستيمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة ، جمال بلعربي ، أطروحة ، جامعة الجزائر ، ٢٠١١-٢٠١٢م.

١٠٨ – المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك ، كمال جدي ، جامعة قاصدي مرباح ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٢م.

١٠٩ – النموذج العاملي واستنطاق البنواسيني الأعرج ، جريوي آسيا ، رسالة الماجستير، جامعة محمد خيضر– بسكرة ، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.

١١٠ – هندسة المعنى في القصيدة السردية السيميائية – مقاربة سيميائية " شوقي بزيع" – أنموذجاً– ، بركة نصيرة، أطروحة ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس، ٢٠١٨-٢٠١٩م.

ثالثاً : الدوريات

١١١ – الأدوار العاملية في الرواية العراقية – دراسة وتطبيق في منهج غريماس – ، عالية خليل إبراهيم ، مجلة جامعة واسط – مجلس كلية التربية ، العدد (٢٠) ، تموز ٢٠١٥م.

١١٢ – إشكاليات المصطلح السيميائي ، محمد العبد ، مجلة الدراسات اللغوية ، المجلد(١) ، العدد(٢) ، سبتمبر ١٩٩٩م.

١١٣ – إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر ، نصيرة زوزو ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد(٦) ، بسكرة ، جانفي ، ٢٠١٠م .

١١٤ – إشكالية مقاربة النص الموازي وتعدد عتبة العنوان نموذجاً، د. محمد التونسي جكيب ، مجلة جامعة الأقصى ، عدد خاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب / جامعة الأقصى ، جمادى الأول ١٤٢٧هـ- يونيو ٢٠٠٦م.

١١٥ – الاقتضاء في التداول اللساني، د. عادل فاخوري ، مجلة عالم الفكر ، المجلد (٢٠)، العدد(٣).

١١٦ – أهواء الشخصيات في (حكاية التاجر أيوب وأبنه غانم وأبنته فتنة) حكاية من ألف ليلة وليلة – مقاربة سيميائية– ، سهام صالح العبودي ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد(١٩)، العدد (٣) ،٢٠٢٢م.

١١٧ – براعة الاستهلال في صناعة العنوان ، محمود الهميسي ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد(٣١٣)، ١ مايو ١٩٩٧م.

١١٨ – البنية العاملية في رواية ظلمة يائيل للغربي عمران ، حفيظة قاسم سلام غالب ، مجلة السعيد للعلوم الإنسانية والتطبيقية ، المجلد (١) ، العدد (٢) ، ديسمبر ٢٠١٧م.

١١٩ – حوار مع جوليا كرستيفا ، فؤاد منصور ، مجلة الفكر العربي ، العدد (١٨) ، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.

١٢٠ – الخطاب الروائي في الكويت، أنماط العنونة ومستويات الصوت السردي، مرسل فالح العجمي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي لجامعة الكويت، العدد(٩٢)، خريف ٢٠٠٥م.

١٢١ – الخطاطة الاستهوائية وفاعلية الانجاز – قراءة في رواية " ظلال جسد ضفاف الرغبة " لسعد محمد رحيم ، حسين عمران محمد ، مجلة كلية التربية ، مجلد (٥) ، العدد(٤) ، ٢٠١٨م .

١٢٢ – سيمياء الأهواء في تائية الشنفرى، حمزة العيفاوي ، د. إبراهيم فضالة ، مجلة المدونة ، جامعة البليدة ، المجلد(٥)، العدد(١) ، ٢٠١٨م.

١٢٣ – سيمياء العواطف – قراءة في قصيدة الأسود بن يعفر ، موسى ربابعه ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، المجلد(١٥) ، العدد(١) ، ٢٠١٨م .

١٢٤ – سيمياء العواطف في القصيدة المغربية المعاصرة – قصيدة نداء لنبيلة حماني نموذجاً ، مرشد ماجد قائد قاسم ، مجلة المرتقى ، المجلد (٤) ، العدد (١) ، مارس ٢٠٢١م.

١٢٥ – سيمياء العواطف في دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام ، د. أحمد عباس كامل الأزرقي ، مجلة جامعة ذي قار للعلوم الإنسانية ، المجلد(١١) ، العدد(١) ، ٢٠٢١م.

١٢٦ – سيميائيات الثقافة وتحليل الخطاب – سيموزيس السلطة والذات في خطاب الإشادة – ، عبد الفتاح يوسف ، مجلة فصول ، العددان (٩١– ٩٢) ، خريف ٢٠١٤.

١٢٧ – سيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة أبيستمولوجية) ، محمد بادي ، مجلة عالم الفكر السيميائيات ، العدد ٣ ، المجلد ٣٥ ، الكويت ، مارس – ٢٠٠٧م.

١٢٨ – السيميائيات واللسانيات – المصطلح وأيديولوجيا التأصيل ، د. عبد السلام أبو زكري شرماط ، مجلة الجامعة الأسمرية ، ليبيا ، المجلد (٩) ، العدد (١٦) ، ٢٠١٢م .

١٢٩ – السيميائية أحدث العلوم الإنسانية ، كمال أبو ديب ، مجلة العربي ، العدد ٣٣٤ ، سبتمبر ١٩٨٦م ، الكويت .

١٣٠ – سيميائية الأهواء ، محمد الداهي، عالم الفكر ، المجلد (٣٥) ، العدد (٣) ، يناير– مارس ٢٠٠٧م.

١٣١ –سيميائية التفضيء والتزمين في رواية " أصابع لوليتا " لواسيني الأعرج" ، أمينة أونيس ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، العدد(٥) مجلد(٨) ، ٢٠١٩م.

١٣٢ – سيميائية العنوان في ديوان شظايا ورماد للشاعرة نازك الملائكة ، د. لطيف يونس حمادي الطائي ، مجلة مداد الآداب ، معهد الفنون الجميلة – ديالى ، العدد (١٢).

١٣٣ – الصحيفة السجادية الكاملة – مقاربة سيميائية –، حسن عبد الزهرة ، مجلة دواة ، العدد (١٦) .

١٣٤ – العاطفة موضوعاً سيميائياً – قراءة في خطابات النبي الأعظم محمد ، د. هادي شندوخ حميد ، مجلة العميد ، المجلد (٨) ، العدد(٣٠)، ٢٠١٩م.

١٣٥ – عفيفي مطر وسميوطيقا الجسد ، صبحي موسى، مجلة الكلمة، العدد (٢٨)، ابريل ٢٠٠٩م.

١٣٦ – الفضاء في مملكتي الروح والرماد ، محمد المتقن: مجلة المشكاة ، المغرب ، المجلد(٧)، العدد(٢٥)، لسنة ١٩٩٧م.

١٣٧ – كيفية تحليل البنية العميقة للنص الأدبي في ضوء المنهج السيميائي ، بو معزة رابح ، مجبة علامات ، المجلد(٥٦) ، العدد(١٤)، يونيو ٢٠٠٥م.

١٣٨ – مبادئ سيمياء الأهواء تطبيق خطاطة " فونتاني " على تائية الشنفرى ، د. حمزة العيفاوي ، مجلة " مدارات في اللغة والأدب " الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث ، تبسة – الجزائر، المجلد (١)، العدد (١) ، ٢٠١٨م.

١٣٩ – المخطط العاطفي للذات في رواية الفيل الأزرق لأحمد مراد – بحث في سيميائية الأهواء – ، لخضر هني ، مجلة اللغة العربية ، المجلد(٢٣)، العدد(٢).

١٤٠ – المداخل المفاتيح لسيميائيّة الأهواء ، آمنة بلعلى ، بحوث سيميائية ، جامعة مولود معمري تيزي وزر ، المجلد (٦) ، العدد (٩) ، ٢٠١٦م.

١٤١ – المرجعية المعرفية للسميائيات السردية – جريماس نموذجا ، سعيد بوعيطة ، مجلة سيمات الدولية ، المغرب ، المجلد(١) ، العدد(١) ، ٢٠١٣م.

١٤٢ – المكون السردي في النظرية السيميائية الغريماصية – المفاهيم والإجراءات– ، د. مهدية ساهل ، المجلد (٢) ، العدد(٦) مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية ، ٢١ مارس ،٢٠١٩م.

١٤٣ – نظرية " المربع السيميائي " لقريماس ، ترجمة : عبد الملك مرتاض ، مجلة علامات ، المجلد (١٠)، العدد (٣٨) ، ديسمبر ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

رابعاً : المواقع الإلكترونية :

١٤٤ –إشكالية المصطلح وامتداداته ، ليلى احمياني ،

https://m.ahewar.org/index.asp?cid

١٤٥ – الآليات السيميائية لتوليد الدلالة في النصوص والخطابات ، د.جميل حمداوي

https://pulpit.alwatanvoice.com

١٤٦ – العواطف والأهواء عند أسبينوزا ، محمد الخشين

http://tafalsouf.com/PagePassionSpinoza.htm

١٤٧ – سيميائية الأهواء – مصطلح قار.. ودلالات متفلتة ، د. خالد بن محمد الجديع

https://www.al-jazirah.com

١٤٨ – سيميائية الأهواء (مداخلة مقدمة لليوم الدراسي : الرواية الجزائرية في ظل المناهج النقدية المعاصرة) ، د. سعدية بن ستيتي ،

http://dspace.univ-msila.dz

١٤٩ – سيميائية الأهواء ، مريم أجرعام

https://diwanalarab.com

١٥٠ – السردية ومستويات التحليل السيميائي للنصوص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجاً) ، د. عقاق قادة ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر (مقال).

"http://dspace.univ-msila.dz

١٥١ – سيمياء العواطف من السيمياء الأدبية لدوني بيرتران ، ترجمة: أ عمي ليندة ،

https:philpapers.org/rec

١٥٢ – المكون السردي في النظرية السيميائية ، د. رشيد بن مالك :

http:tafalsouf.com/pagepassionspinoza.htm

Abstract

That the incident of the killing of Imam Hussein (peace be upon him) was not a historic event, or tragic incident after its symbolism, and the color of the widowhood of violence, and the movies and literature, which came in the accounts of the death of Imam Hussein (peace be upon him) of events and personalities and the multiple dialogue conducted by him The characters of the Son across, the knights and the place that contained these, have helped to reveal the aesthetic and artistic aspects in the texts of the murder.

The theses consists of four chapters, introduction and ends with conclusion.

The introduction consists of three sections. First section deals with the concept of killing. The second one deals with the codification of the killing Husseini, while the third section focuses on define the term narrative.

The first chapter involved the study of the event element, from (external and internal event), and the event formats (sequential, circular, and embedding), with the study of the presentation of the events and the types of narrators.

Second chapter is concerned with the element of personality, and divided into two sections, the first one dealt with the character as a narrative news, and the second study of the character as an illustrative narrative.

Third chapter dealt with the elements of time and space. It is divided into two parts: the first was about (time), and the study of the types of real-time and psychological. In addition to the study of relations arrangement of retrieval and anticipation, study of techniques to accelerate the

narration of deleting and summarizing, The narration of the pause and scene. The second study was the element (place), which examined the types of the place of the pet and the hostile.

As for the fourth chapter is entitled the element of "Dialogue". It was divided into three sections: The first topic was to talk about the types of dialogue (external and internal). The second topic is titled (the parties to the dialogue). (Dialogue with the enemy).

The third topic dealt with (the forms of dialogue), and addressed the most important methods of asking (question, order, vocative) In addition to the term "Al.Hajaj" to this subject as one of the formulas used by Imam Hussein (peace be upon him) in an attempt to persuade the other side. on the other hand, it provides this formula frequently in the texts of the killing.

The conclusion ends with the most prominent results that resulted from those chapters. The existence of the elements of narrative importance as the event recorded presence on the rest of the other elements.

Ministry of Higher Education and
Scientific research

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic

Semiotic of Emotions in Sahifa Al Sejjadiyah

A Dissertation submitted to the council of College of Education/

Kerbala University as a Partial Fulfillment for the Requirements

of Ph.D. Certification in the Philosophy of Arabic language and its Literature

By:

Zahra Abd Al hameed Ghali AL-Massoudi

Supervised By:

Prof. Dr Harbi Naeem Mohammed Al – Shibli

(٢٠٢٣A.D.) (A.H.١٤٤٥)